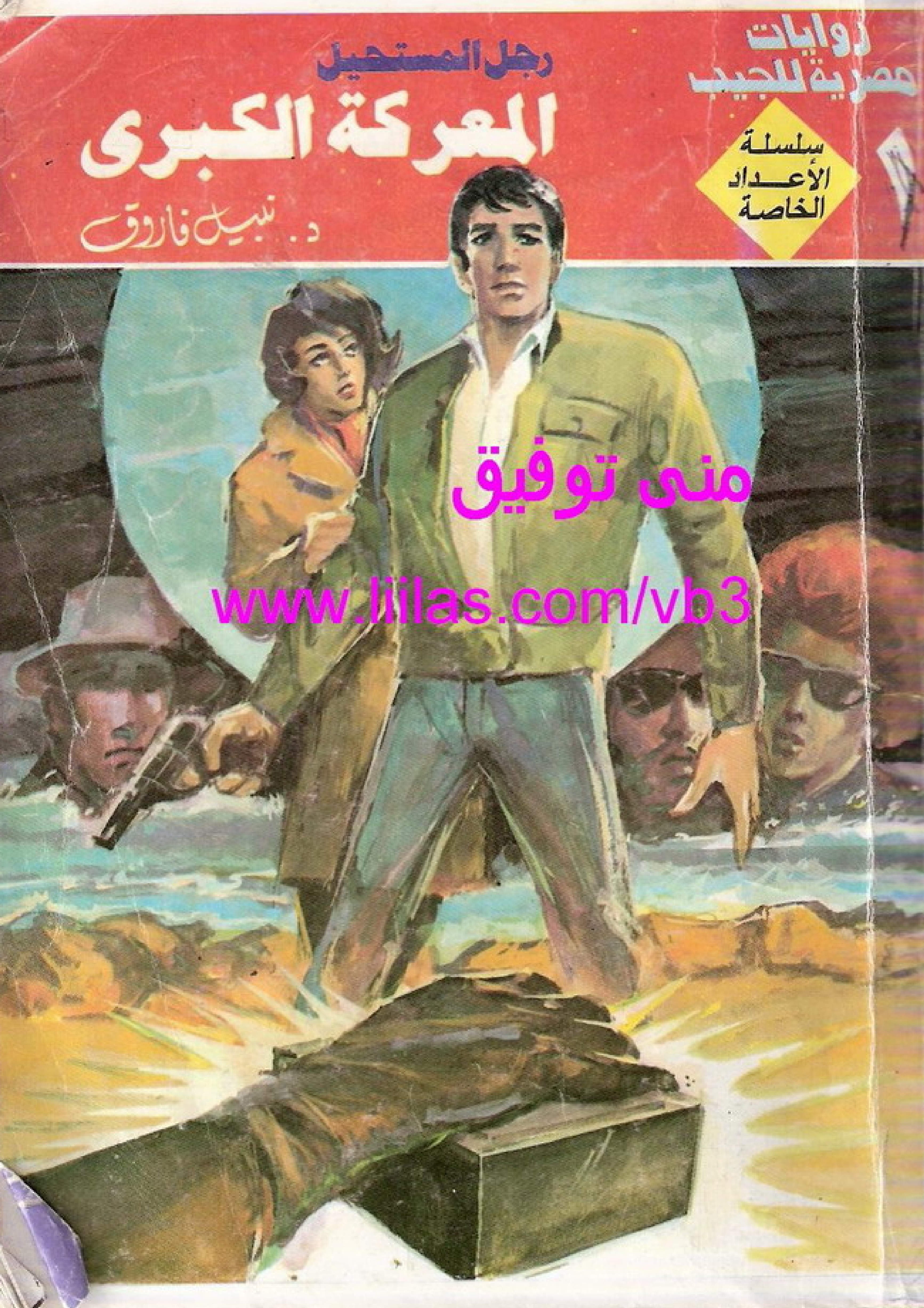

روايات مصرية للجيب
سلسلة الأعداد الخاصة
رجل المستحيل
المعركة الكبرى
د. نبيل فاروق

رجل المستحيل .

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى ، يرمز إليه بالرمز (ن ــ ١) .. حرف (النون) ، يعنى أنه فئة نادرة ، أما الرقم (واحد) ، فيعنى أنه الأوّل من نوعه ؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص ، فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتى (التايكوندو) .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لعدة لغات حيّة ، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكُّر و (المكياج) ، وقيادة السيارات والطائرات ، وحتى الغواصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعددة ..

لقد أجمع الكل أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد ، فى عمر (أدهم صبرى) ، كل هذه المهارات مجتمعة ..

ولكن (أدهم صبرى) حقَّق هذا المستحيل ، واستحقَّ عن جدارة ذلك اللقب ، الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة ..

لقب (رجل المستحيل) .

د . نبيل فاروق

١ ــ ذكريات ..

انطلق صفير متصل خافت ، فى حجرة (قدرى) ، خبير التزوير والتقليد ، فى إدارة المخابرات العامة المصرية ، وراح مصباح أحمر صغير يتألّق على نحو متقطّع ، فهبّ (قدرى) من مقعده ، بجسده البالغ البدانة ، ووضع الشطيرة التى كان يلتهمها ، على مقعد قريب ، وهو يندفع نحو جهاز صغير ، أشبه بتلفاز متنقّل ، وضغط ذلك المصباح الأحمر ، وهو يغمغم :

ــ أتعشم أن تكون هذه التجربة قد نجحت .

توقّف المصباح الصغير عن التألّق ، إثر ضغطة (قدرى) ، وتلاشى مع توقّفه ذلك الصفير الخافت ، فأمسك (قدرى) باب الجهاز الصغير فى حرص ، وفتحه فى حذر ، ثم مدّ سبّابته وإبهامه ، والتقط بهما بطاقة صغيرة من قلب الجهاز ، قلّبها أمام عينيه فى اهتمام ، قبل أن يقول :

ــ الشكل الخارجى يوحى بالنجاح .

والتقط عدسة كبيرة ، وضعها أمام عينه ، وعاود بها فحص البطاقة فى عناية بالغة ، ثم هتف فى ارتياح :

ــ رائع .

انبعث من خلفه صوت أنثوى هادىء ، يقول :

ــ ماهذا الذى تصفه بالروعة ؟

قفز من مكانه فى ذعر ، واستدار فى سرعة ، لم يستجب لها جسده الضخم ، فاختلّ توازنه ، وكاد يسقط على وجهه ، فوق صاحبة

الصوت ، لولا أن تشبث بمنضدة كبيرة ، وألقى جسده فوق مقعد قريب ، وهو يهتف :

ـــ يا إلهى ! .. لقد أفزعتنى كثيرًا يا (منى) .. كيف تسللت إلى هنا ؟

ابتسمت (منى توفيق) ، وهى تقول :

إننى لم أتسلل .. لقد طرقت الباب ، وفتحته ، ودخلت إلى هنا ، دون أن تشعر بى .. يبدو أن بدانتك قد تسللت إلى أذنيك ، فحجبت شحومها عنك مايدور حولك .

قهقه ضاحكًا ، وهو يقول :

ـــ يا إلهى !! .. لقد أصبحت تتحدثين بأسلوب (أدهم) تمامًا .

هزت كتفيها قائلة :

ـــ لا تنسَ أننى تلميذته ، ورفيقة مغامراته الدائمة .

غمز بعينه ، وهو يقول :

ـــ لقد نسيت صفة أكثر أهمية .

تضرج وجهها بحمرة الخجل ، عندما أدركت ما يقصده ، وقالت بسرعة ، محاولة جذب اهتمامه إلى نقطة أخرى :

ـــ إنك لم تخبرنى ، ما هذا الذى تصفه بالروعة ؟

أدرك محاولتها لتغيير مجرى الحديث ، ولكنه لم يعترضها ، وإنما تجاهل استمرارية الحوار بدوره ، وقال :

ـــ إنها تجربة جديدة ، كنت أبحث عن نتيجة مرضية فيها .

ثم ناولها البطاقة ، قائلًا :

ـــ أتعلمين ما هذا ؟

أمسكت البطاقة ، وفحصتها فى سرعة ، وهى تقول :

ـــ إنها بطاقة هوية ، تحمل شعار (الموساد) ، واسم أحد رجاله .

ثم رفعت عينيها إليه ، تسأله فى دهشة :

ـــ كيف حصلت عليها ؟

تجاهل سؤالها ، وهو يقول فى اهتمام :

ـــ افحصيها جيدًا ، وأخبرينى : أهى حقيقية أم زائفة ؟

عادت تفحص البطاقة باهتمام شديد ، قبل أن تهز رأسها ، قائلة :

ـــ إنها حقيقية بالتأكيد ، وسأدعوك إلى وجبة دسمة ، لو قلت أنها من صنعك .

تهللت أساريره ، وهو يقول :

ـــ ابدأى فى إعداد الوجبة إذن .

ارتفع حاجباها ، وهى تهتف مبهورة :

ـــ مستحيل ! .. لقد بلغت مهارتك شأنًا مخيفًا إذن ، فجهاز (الموساد) يتباهى ويزهو ببطاقته الأمنية الجديدة هذه ، ويؤكد مسئولوه أن تزويرها أمر مستحيل ، بذلك الختم البارز ، والرقم المطبوع بالليزر ، والغلاف الشمعى الممتزج بالورق والصورة ، و ...

قاطعها فى سعادة :

ما من شىء يستحيل تزويره يا عزيزتى .. الأمر يحتاج فقط إلى النظرة الثاقبة ، والفحص المتأنى ، وشىء من المهارة والخبرة .

قالت ضاحكة :

— شيء من المهارة والخبرة ؟! .. يالك من متواضع !

تابع في حماس ، وكأنه لم يسمع عبارتها :

— صنع البطاقة والختم البارز لم يكن أمرًا عسيرًا ، أما الرقم المطبوع بالليزر ، فقد استخدمت نوعًا من الطلاء ، ابتكرته معاملنا ، لأمنحه شكل طباعة الليزر ، ثم استخدمت فرن الأشعة فوق البنفسجية ، لوضع الغلاف الشمعي ، ومزجه بالورق والصورة ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يتلفّت حوله ، قائلًا :

— ولكن أين شطيرتي ؟ .. إنني أذكر أنها كانت هنا .. لقد وضعتها فوق أحد المقاعد ، عندما ارتفع الصفير ، وأسرعت لـ ...

مرة أخرى بتر عبارته ، وازداد وجهه المكتظ احتقانًا ، وهو يتمتم في هلع :

— يا إلهي !

نهض من مقعده في بطء ، وألقى نظرة على الشطيرة ، التي سحقها جسده الضخم ، ثم أزالها عن المقعد في حركة سريعة ، وهو يتمتم في خجل :

— يبدو أنني لم أنتبه ، عند جلوسي على هذا المقعد .

انفجرت (منى) ضاحكة للمشهد ، وقالت :

— يا إلهي !.. كم يزيل جلوسي معك متاعب يومي كله يا (قدري) .

ابتسم في مرح ، وهو يقول :

— إنني أعتبر نفسي محظوظًا ؛ لأنك توليتني هذا الاهتمام يا أميرتي .

حملت شفتاها ابتسامة حالمة ، وهي تشرد ببصرها ، قائلة :

— لن يبلغ حظك نصف حظي أبدًا يا (قدري) ، فأنا أعتبر نفسي أكثر أفراد المخابرات العامة حظًا ، فأنا أوّل فتاة تنضمّ إلى المخابرات رسميًا ، وأوّل فتاة تعمل مع (أدهم صبري) .

قال (قدري) في سرعة :

— ثاني فتاة .

انعقد حاجباها في شدة ، وتلاشت الابتسامة الحالمة عن شفتيها ، وهي تهتف مستنكرة :

— ثاني فتاة ؟! .. أي قول أحمق هذا يا (قدري) ؟.. الجميع يعلمون أن (أدهم صبري) لم يعمل مع فتاة قبلي .

رفع سبّابته أمام وجهه ، وهو يقول :

— ليس بصفة رسمية .

سألته في توتر :

— ماذا تعني ؟

أجابها في بساطة :

— لم تكن (فدوى) تنتمي رسميًا للمخابرات المصرية ، ولكنها شاركته تلك المهمة القديمة ، و ...

قاطعته (منى) في انفعال :

— من (فدوى) هذه ؟.. إن (أدهم) لم يذكر اسمها أمامي أبدًا .

ضحك وهو يقول :

ـــ (أدهم) كتوم بأكثر مما يمكنك تصوّره يا (منى) .. أتعلمين أن نصف أفراد الإدارة يجهلون قصة حياته الحقيقية .. أنا نفسى أخبرنى بثلاث قصص مختلفة عن حقيقة منشئه ، ولم أعرف القصة الحقيقية منها ، إلا عندما راجعت ملفه السرى ذات مرة ، عندما اقتضت الضرورة ذلك .

غمغمت ، وذهنها منشغل بتلك المرأة الأخرى :

ـــ إلى هذا الحد ؟

أجابها ببساطته المعهودة :

ـــ من المؤكَّد أن لديه أسبابًا لذلك .. ربما يحاول إخفاء شخصية والده الحقيقية ، أو يحيط نفسه بشىء من الغموض ، أو ...

قاطعته فى اهتمام :

ـــ وكيف شاركه (قدرى) هذه مهمة قديمة ، دون أن تنتمى رسميًا للمخابرات المصرية ؟

ابتسم مشفقًا ، عندما رأى الانفعال المتراقص فى ملامحها ، وانتبه إلى رنة الغيرة فى صوتها ، وأجاب :

ـــ إنها قصة طويلة .

قالت بشىء من العصبية :

ـــ لست مرتبطة بأية أعمال اليوم ، ويمكننى سماعها منك .

تنهّد قائلًا :

ـــ لا بأس .. لقد قرأت ملف تلك العملية ـــ للمرة الخامسة ـــ منذ

أيام قليلة ، ومازلت أذكر كل حرف فيه ، ويمكننى أن أقصه على مسامعك .

صمت لحظة ، بدت لها أشبه بدهر كامل ، وهو يرتب أفكاره ، قبل أن يقول :

ـــ كان هذا فى بدايات عمل (أدهم صبرى) بجهاز المخابرات العامة ، بعد حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ م بثلاثة أعوام تقريبًا ، وكان هو شابًا ، فى أواخر العشرينيات من عمره ، ولم يكن أثر هزيمة الإسرائيليين ، فى حرب أكتوبر ، قد تلاشى من نفوسهم بعد ، وكانوا يبحثون عن وسيلة عنيفة للثأر ، واسترجاع ما استعدناه نحن من أرضنا ، عندما بدأت هذه المغامرة .

سألته (منى) فى لهفة :

ـــ إنها إذن قضية صراع مع (الموساد) .

ابتسم (قدرى) ، وقال :

ـــ ليس بشكل مباشر ، وإن كاد ذلك يُودِى بحياة (أدهم) .

هتفت :

ـــ قصّ علىّ الأمر إذن .

ضحك وهو يقول :

ـــ سأفعل .. لا داعى لقتل من أجل ذلك .

ثم اعتدل ، واستطرد فى جدية :

ـــ هيا .. أعيرينى سمعك .

وبدأ يروى القصة ..

* * *

٢ ــ البداية ..

لم يكن مدير المخابرات العامة الجديد قد أمضى أسبوعًا واحدًا فى عمله ، عندما استدعى النقيب ــ آنذاك ــ (أدهم صبرى) إلى مكتبه ، ولم يكد هذا الأخير يقف أمام مدير المخابرات الجديد ، حتى تفحّصه مدير المخابرات بنظره فى صمت واهتمام ، قبل أن يخفض بصره إلى الملف الموضوع أمامه ، قائلًا :

ــ ملفك مثير للاهتمام بالفعل أيها النقيب ، فلقد أديت للمخابرات المصرية خدمات جليلة ، قبل حتى أن تنضمّ إليها .(*)

توقف مدير المخابرات ، فى انتظار أن يعلّق (أدهم) على هذا القول ، إلا أن (أدهم) بقى صامتًا ، يتطلعّ إليه فى اهتمام وانتباه ، فتابع مدير المخابرات :

ــ وهذا الملف هو الذى دفعنى لاستدعائك اليوم أيها النقيب .

ثم نهض من خلف مكتبه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يتحرّك عشوائيًا داخل الحجرة ، مستطردًا :

ــ لا ريب أنك ، ومن خلال عملك بجهاز المخابرات ، قد أدركت أن صورة العالم ، التى يراها العامة ، تختلف كثيرًا عن صورته ، التى نراها نحن ، فلقد واجهنا بأنفسنا عددًا لاحصر له من المصادمات العنيفة الوحشية ، التى تؤكّد استعداد بعض البشر ، لارتكاب كل ما يمكن

(*) راجع قصتى (الخطوة الأولى) ، و (خيط اللهب) .. المغامرتين رقم (٣١) ، (٣٢) .

ارتكابه ، من مجازر ومذابح ، دون أن يطرف لهم رمش واحد ، فى سبيل بلوغ هدف ما ، ورأينا كيف أن هذا الهدف قد يختلف ، من شخص إلى آخر ، ومن مجموعة إلى أخرى ، تبعًا لمقتضيات الظروف ، فقد يتسبّب شخص واحد فى اندلاع حرب شعواء ، من أجل تحطيم دولة ، أو حتى من أجل صفقة أسلحة رابحة .

توقّف لحظات عن الحديث ، وهو يتطلّع فى شرود ، عبر نافذة حجرته ، قبل أن يلتفت إلى (أدهم) ، ويسأله :

ــ هل قرأت شيئًا عن حادث الباخرة المصرية ، التى غرقت فجر اليوم ، أمام الساحل اليونانى ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء ، لايخلو من نبرة اهتمام :

ــ بالطبع يا سيّدى .. لقد التقط قسم الاستماع خبر غرق الباخرة المصرية ، فور إذاعته من المحطة القومية اليونانية ، وأنا أتابع تقارير قسم الاستماع أوّلًا فأوّلًا .

أومأ المدير برأسه مؤيدًا ، وشرد ببصره لحظات ، عبر النافذة ، قبل أن يقول فى حزم :

ــ إنه لم يكن حادثًا قدريًا أيها النقيب .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يسأله فى لهجة جامدة ، لم تنقل ماتموج به نفسه من انفعالات :

ــ ماذا تعنى يا سيّدى ؟

استدار المدير يواجهه ، وهو يقول :

ــ هذه الباخرة لم تكن مجرّد باخرة ركاب عادية أيها النقيب ، بل كانت

نحوى — فى قسم كبير منها — نقطة مراقبة بحرية ، تتبع مخابراتنا العسكرية مباشرة ، ولقد نجح أحد عملائنا ، داخل (اسرائيل) ، فى نقل بعض الصور والوثائق ، الخاصة بعملية كبرى من عمليات (الموساد) ، إلى الباخرة ، فى اليوم السابق لغرقها ، وأبلغنا أن هذه الوثائق تختص بعملية خاصة ، نجح (الموساد) خلالها فى التسلل إلى قلب جهاز المخابرات السوفيتى (كى . جى . بى) ، وجهاز المخابرات البريطانى ، المعروف باسم (المكتب الخامس) ، وجهاز مخابراتنا ، عن طريق عملاء من نوع خاص ، يتعهدهم (الموساد) برعايته ، منذ عشر سنوات ، ويمنعهم من القيام بأى عمل خاص ، منذ تم تجنيدهم ، مما جعل ملفاتهم نظيفة نقية ، يستحيل أن يتطرق إليها الشك .

غمغم (أدهم) :

— يا لها من خطة !

أومأ المدير برأسه موافقًا ، وتابع :

— ولما كان من المستحيل أن نحيط كل رجالنا بالشك ، وإلا أصيبت كل عملياتنا بالشلل ، فقد أصبح من المهم أن نحصل على الصور والوثائق ، التى تحدد الخونة على الفور ، وتنهى العملية كلها .

قال (أدهم) :

— أو نسأل عميلنا فى (تل أبيب) عنهم .

تنهد المدير ، وقال :

— للأسف أيها النقيب .. لقد كُشِف أمر عميلنا ، بعد إرساله الصور والوثائق مباشرة ، وألقى الإسرائيليون القبض عليه ، ومن الواضح أنه لم يحتمل التعذيب الشديد ، الذى تعرَّض له ، فأخبرهم بأمر الصور والوثائق ، ودفعهم هذا إلى ملاحقة باخرتنا ، ونسف جزء من قاعها ،

بواسطة ضفادعهم البشرية ، لإغراقها ، وتدمير الوثائق والصور ، قبل وصولها إلينا .

مط (أدهم) شفتيه فى أسف ، وهو يقول :

— يا للخسارة !

أشار إليه المدير ، قائلاً :

— إننا لم نخسر كل شىء بعد أيها النقيب ، فالذى لا يعلمه (الموساد) ، هو أن الباخرة كانت تضمّ خزانة من نوع خاص ، تُعرف باسم (الصندوق الأسود) ، نضع فيها — عادة — الأوراق الشديدة السرية والخطورة ، وهى مصنوعة من مادة مضادة للانفجارات ، وهذا يعنى أن الانفجار لم ينجح فى تدميرها ، وأن الوثائق والصور ماتزال سليمة داخلها ، فى قرار البحر ، فى مكان سرى ، لا يعلمه سوانا .

قال (أدهم) فى هدوء :

— هل المطلوب منى أن أغوص لإحضارها يا سيِّدى ؟

كانت المهمة تبدو له تقليدية عادية ، مما أورثه شيئًا من خيبة الأمل ، ولكن المدير أجاب :

— لن يكون ذلك سهلاً أو هينًا يا (أدهم) ، فربما بلغ الأمر الـ (كى . جى . بى) ، و (المكتب الخامس) ، وسيحاول كل منهما انتشال الخزانة ، والوصول إليها ، قبل أن نفعل نحن ، كما سيكون (الموساد) على رأس هؤلاء ، عندما يعلم أن الوثائق والصور سليمة .

وانعقد حاجباه ، وهو يقول فى صرامة :

باختصار .. ستكون معركة أيها النقيب .. معركة كبرى .

ثم أشار إلى (أدهم) ، مستطردًا فى حزم :

— معركة تحتاج إلى رجل واحد .

كان هذا يُثلج صدر (أدهم) بالطبع ، ولكنه سأل فى اهتمام :

ــ ولماذا رجل واحد يا سيِّدى ؟

أجابه المدير :

ــ لأننا لا نرغب فى نشر أمر بحثنا عن (الصندوق الأسود) ، فى الصحف العالمية أيها النقيب .. إننا سنرسل رجلاً واحدًا ، يملك من المهارات والقدرات ما يجعله أكثر فائدة وفاعلية من فرقة كاملة ، ويمكنه أن يختفى ويتخفّى ، دون أن يشعر أحد بوجوده ، فى الوقت ذاته .

وضرب براحته على ملف (أدهم) ، الموضوع على مكتبه ، مستطردًا :

ــ ولهذا وقع اختيارى عليك أيها النقيب .

قال (أدهم) فى حزم :

ــ ولن أخذلك أبدًا يا سيِّدى .

ابتسم المدير ، أمام هذا الحماس ، ووضع يده على كتف (أدهم) ، قائلاً :

ــ ينبغى أن تدرك طبيعة مهمتك جيِّدًا يا ولدى ، فإما أن تنجح فى الحصول على الصور والوثائق ، بأية وسيلة كانت ، أو تمنع أى مخلوق آخر من الحصول عليها .. هل تفهم ؟

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ أفهم ياسيِّدى ، وأعدك أننى سأنفذ مهمتى على أكمل وجه .. أو ألقى حتفى فى سبيل هذا .

وكان قوله بمثابة تعاقد غير مكتوب ..

مع الموت .

★ ★ ★

٣ ــ شقراء ..

أسدل الليل ستاره فى نعومة ، على العاصمة اليونانية (أثينا) ، فى المساء نفسه ، وبدا الطقس خانقًا ، شديد الحرارة ، مما جعل تلك الشقراء الفاتنة ، التى تجلس فى شرفة أحد الفنادق اليونانية الشهيرة ، تطلق زفرة حنق ، وهى تلوِّح بكفها فى اتجاه البحر ، قائلة فى عصبية :

ــ لم أعد أحتمل ذلك الطقس السخيف .. إننا لم نجد مثله قط فى (موسكو) .

التفت إليها شاب مفتول العضلات ، فارع الطول ، عريض الصدر ، يطلق لحيته السوداء الكثة ، لتحيط بوجهه البيضاوى ، وتأمَّل جسدها الجميل ، فى ثوب الاستحمام الصغير ، قبل أن يبتسم قائلاً :

ــ حاولى اعتياده أيتها الرفيق (نوفا) ، فسنبقى هنا حتى نحسم أمر تلك الباخرة الغارقة .

مطَّت شفتيها الجميلتين فى امتعاض ، وهى تقول :

ــ ألم تجد تلك الباخرة اللعينة طقسًا أفضل من هذا ، لتغوص إلى أعماق البحر . أشعل الشاب سيجارة ، وهو يقول :

ــ ربما كانت تبحث عن بعض الترطيب لجسدها .

قالت فى برود :

ــ دعابة سخيفه يا (شيلنكو) .

ثم مدّت يدها إليها ، فناولها السيجارة المشتعلة ، وأشعل لنفسه أخرى ، فى حين نفثت هى دخان سيجارتها ، وهى تقول :

— لا تنسَ أننا لم نحسم بعد أمر تلك الباخرة ، والقادة لا يعلمون ما إذا كانت الصور والوثائق ، التى سرقها العميل المصرى ، قد دُمِّرت مع انفجار الباخرة ، أم أنها لا تزال سليمة .. والفارق أخطر مما تتصوَّر يا رجل ، فهذه الوثائق تحوى أسماء عملاء (الموساد) فى جهازنا ، وحصولنا عليها يعنى إحباط خطة (الموساد) ، وتنقية جهازنا من الخونة والجواسيس .

مطّ شفتيه ، وقال :

— ولكننا فتشنا الباخرة فى الأعماق يا (نوفا) ، ولم نجد أى أثر لهذه الصور والوثائق .

قالت فى حزم :

— إنها فى مكان سرى حتمًا ، لا يعلمه سوى المصريِّين .

قال فى سخرية :

— وكيف نقنعهم بإخبارنا عن مخبئهم السرى ؟ .. هل نقدِّم لهم طلبًا متموغًا ؟

رمقته بنظرة نارية ، وهى تقول :

— يبدو أنك تنسى أحيانًا من منا صاحب الرتبة الأعلى ، أيها الرفيق (شيلنكو) .

ارتبك أمام نظرتها ، وغمغم :

— لا أيتها الرفيق (نوفا) .. إننى لا أنسى هذا .

بدت علامات الرضا على وجهها ، من خوفه الواضح منها ، واسترخت فى مقعدها ، ونفثت دخان سيجارتها ، وهى تتطلَّع إلى البحر فى تراخ

قائلة :

— كل ما علينا فعله هو أن ننتظر يا (شيلنكو) ، فموقف المصريين هو الذى سيرشدنا إلى ما ينبغى فعله .. لو تجاهلوا الأمر سيعنى هذا أن الانفجار دمَّر الوثائق ، أما لو أرسلوا رجالهم إلى هنا ، فسيعنى هذا أن الوثائق سليمة فى القرار ، وأنهم يسعون خلفها .

قال فى حماس :

— وعندئذ نسبقهم نحن و ...

قاطعته فى غضب وازدراء :

— غبى .

تطلَّع إليها فى دهشة ، فتابعت فى صرامة :

— كيف نسبقهم إلى شىء نجهل مكانه ؟ .. إننا سنفسح لهم الطريق ، حتى يمكنهم العثور على الوثائق ، وبعدها ..

فرفعت سبَّابتها وإبهامها ، فى معنى واضح ، فتألَّقت عينا (شيلنكو) ، وهو يهتف فى لهفة :

— نقتلهم .

أومأت برأسها فى بطء ، وهى تبتسم ابتسامة مخيفة ، تتناقض تمامًا مع جمالها الفاتن ، وهى تقول :

— بالضبط .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى اندفع شاب أشقر نحيل إلى الحجرة ، وهتف :

— لقد فعلوا يا (نوفا) .. فعلوا ما توقعته .

اعتدلت فى انفعال ، وسألته فى لهفة :

— حقًا ؟!

كان يلهث من شدة الانفعال ، وهو يجيب :

— نعم أيتها الرفيق (توفا) .. لقد تلقيت الآن رسالة لاسلكية ، من عميلنا فى (مصر) ، يقول فيها أن المصريين قد أرسلوا أحد رجالهم إلى هنا ، من أجل الباخرة الغارقة .

هتفت مستنكرة :

— رجل واحد ؟! ... هل أرسلوا رجلًا واحدًا ؟

قال (شيلنكو) ساخرًا :

— ربما يحاولون إبعاد الأنظار عنهم .

قلبت شفتها السفلى فى امتعاض وازدراء ، قائلة :

— يا للسخافة !

ثم التفتت إلى الشاب الأشقر ، تسأله :

— ومتى يصل رجل المخابرات المصرى هذا يا (زاج) .

تطلع إلى ساعته ، وقال :

— الآن أيتها الرفيق (توفا) .. المفروض أن تكون طائرته قد هبطت الآن .

★ ★ ★

نقل ضابط الجوازات اليونانى بصره ، من جواز السفر المصرى ، الذى يمسك به ، إلى وجه الشاب الهادىء ، ذى الشارب الكث ، والمنظار الصغير ، الذى يقف أمامه ساكنًا ، وقال :

— اسمك (أدهم صبرى) .. أليس كذلك ؟

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال :

— بلى .. هذا اسمى أيها الضابط .

سأله الضابط فى اهتمام :

— لماذا تزور (أثينا) يا سيِّد (أدهم) ؟.. أهو عمل ، أم سياحة ؟

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وهو يجيب :

— مزيج من هذا وذاك أيها الضابط .

أومأ الضابط برأسه متفهمًا ، وقال :

— أتمنى لك إقامة طيبة هنا ياسيِّد (أدهم) .

وختم جواز السفر بخاتم الدخول ، وأعاده إلى (أدهم) ، ثم بدأ يفحص جواز المسافر التالى ، ويوجه إليه الأسئلة نفسها ، فى حين حمل (أدهم) حقيبته الصغيرة ، وغادر المطار فى هدوء ، وتوقف لحظة يدير بصره بين سيارات الأجرة العديدة ، التى يزدحم بها المكان ، ثم اتجه إلى إحداها مباشرة ، وقال لسائقها :

— هل تحمل رخصة قيادة قديمة ؟

أجابه السائق فى تراخ :

— إنها ليست أقدم من أهرام الفراعنة .

قال (أدهم) :

— ولكنها صفراء مثلهم .

وهنا نهض السائق فى بساطة ، وفتح باب السيارة ، وهو يقول :

— تفضل يا سيِّدى .

جلس (أدهم) على المقعد المجاور للسائق ، الذى انطلق بالسيارة على الفور ، وهو يقول لـ (أدهم) ، دون أن يلتفت إليه :

— مرحبًا بك فى (أثينا) أيها النقيب .
قال (أدهم) فى هدوء :
— أشكرك أيها الزميل .. أخبرنى .. هل أعددتم كل شىء ؟
أومأ السائق برأسه إيجابًا ، وقال :
— نعم .. لقد استأجرنا كابينة صغيرة على الشاطىء ، ستجد داخلها ثوب الغوص ، ومصباحًا يدويًا صغيرًا ، وأدوات التنكر التى طلبتها .
وناوله مفتاح الكابينة ، مع خريطة لها ، وهو يستطرد :
— ولكن أخبرنى .. ألا تحتاج إلى أسلحة ؟
قال (أدهم) فى هدوء :
— ليس بالضرورة .
هزّ السائق كتفيه ، وقال :
— أنت وشأنك ، ولكن تذكّر أنك قد تواجه جيشًا كاملاً ، يسعى خلف صندوقنا الأسود ، ومن العسير فى عالمنا أن تحارب دون سلاح .
قال (أدهم) فى تراخ عجيب :
— سأحصل على السلاح عند الضرورة .
تطلّع إليه السائق لحظة بنظرة جانبية ، ثم هزّ رأسه ، قبل أن يقول ، فى لهجة تحمل شيئًا من السخط :
— أتظن نفسك فى نزهة يا فتى .
ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :
— شىء من هذا القبيل .
تطلّع إليه السائق فى دهشة ، وهمّ بقول شىء ما ، ولكنه لم يلبث أن

أطبق شفتيه ، وهو يوقف السيارة أمام الفندق ، فغادرها (أدهم) فى هدوء ، حاملاً حقيبته الصغيرة ، ونقد السائق أجرًا سخيًا ، وهو يقول فى صوت مرتفع ، سمعه الجميع :
— أشكرك يا صديقى .. بلغ تحياتى إلى أسرتك الكبيرة .
مطّ السائق شفتيه ، وانطلق بالسيارة مبتعدًا ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين حمل (أدهم) حقيبته ، واتجه إلى موظف الاستقبال بالفندق ، وقال باللغة الانجليزية :
— اسمى (أدهم صبرى) .. وأنا صحفى بجريدة (أخبار اليوم) ، وهناك حجرة محجوزة باسمى ، و ...
قاطعه صوت حاسم ، يقول بالعربية :
— أنت كاذب .
التفت فى هدوء إلى مصدر الصوت ، ووقع بصره عليها لأوّل مرة .. على (فدوى) .

★ ★ ★

بدا الضيق على وجه (منى) ، عندما بلغ (قدرى) هذا الجزء من الرواية ، وأطلّت الغيرة من عينيها واضحة ، فابتسم (قدرى) فى خبث ، وتوقف عن رواية الأحداث ، يمنحها لحظات من الصمت والتفكير ، قبل أن تسأله ، محاولة التظاهر باللامبالاة :
— أهى جميلة ؟
سألها فى مكر :
— من ؟



التفت فى هدوء إلى مصدر الصوت ، ووقع بصره عليها لأوّل مرة .. على (قدوى) .

هتفت فى عصبية :

ـ (قدوى) .. ألسنا نتحدث عنها ؟

تراجع فى مقعده ، وصنع من سبّابته وإبهامه حلقة أمام وجهه ، وهو يلوّح بأصابعه الثلاثة الأخرى ، قائلاً :

ـ بل فاتنة .

تضاعف الضيق والغيرة فى ملامحها ، وهى تقول :

ـ إلى هذا الحد .

ابتسم قائلاً :

ـ لقد اعتدنا الدقة فى عالم المخابرات .. أليس كذلك ؟ .. لقد كانت (قدوى) جميلة الملامح ، كستنائية الشعر ، تجمع عيناها بين زرقة البحر ، وصفاء سماء الصيف ، لها أنف دقيق جميل ، وفم أشبه بفاكهة ناضجة ، وعنق طويل كالمرمر ، و...

قاطعته فى عصبية :

ـ هل سنقضى الوقت فى التغزّل فى جمالها وفتنتها ؟

ضحك قائلاً :

ـ لن نفعل هذا بالطبع .

قالت فى حدة :

ـ حسنًا .. أخبرنى لماذا اتهمت (أدهم) بالكذب ؟

قال فى اهتمام :

ـ كان لديها سبب قوى .

غلبها فضولها ، وهى تسأله :

ـ ماهو ؟

اعتدل ، وراح يواصل القصة ..

ويروى ..

★ ★ ★

تطلّع (أدهم) فى هدوء إلى وجه (فدوى) ، قبل أن يسألها دون انفعال :

ــ لماذا تتهميننى بالكذب يا سيّدتى ؟

أجابته فى خفة مدهشة :

ــ إننى أفضل لقب آنسة ؛ فأنا لم أتزوّج بعد ، أما عن جواب سؤالك ، فهو أننى أعلم تمامًا أنك لست صحفيًا بجريدة (أخبار اليوم) .

ثم مالت نحوه ، مستطردة فى مرح :

ــ لأننى أنا صحفية فى هذه الجريدة .

قالتها وتراجعت مبتسمة فى زهو ، شأن من كشف أمر شخص ما ، فى حين حافظ (أدهم) على هدوئه ، وهو يضع على شفتيه ابتسامة باردة ، قائلًا :

ــ عجبًا ! .. كيف لم نلتق هناك إذن ؟

أدهشتها جرأته ، فهتفت :

ــ لا تواصل كذبك ، وإلا ..

حمل صوته بغتة صرامة مدهشة ، وهو يقول بلهجة آمرة :

ــ اصمتى

وعلى الرغم من روح العناد والتحدّى ، التى اشتهرت بها (فدوى) ، فى أروقة الجريدة ، التى تعمل بها ..

وعلى الرغم من اعتدادها الشديد بشخصيتها وكرامتها ، إلا أن شيئًا ما فى لهجة (أدهم) ، وفى نظرة عينيه الصارمة ، جعل الكلمات تتجمّد على شفتيها ، والدماء تتوقّف فى عروقها ، وهو يستطرد بنفس اللهجة :

ــ من حسن حظك أن موظف الاستقبال هذا لا يجيد العربية ، وإلا اضطررت لانتزاع لسانك من حلقك .. لا تنطقى بحرف واحد ، حتى انتهى من حديثى معه .. أفهمت ؟

أرادت أن تستنكر وتعترض على أسلوبه فى مخاطبتها ، إلا أنها فوجئت برأسها يومىء إيجابًا ، وبلسانها ينكمش مرتجفًا فى حلقها ، فى حين واصل هو حديثه مع موظف الاستقبال فى هدوء عجيب ، حتى حصل على مفتاح حجرته ، فالتفت إليها ، وقال فى صرامة ..

ــ اتبعينى .

أرادت أن تعترض هذه المرة أيضًا ، ولكن لهجته بدت لها أشبه بالسحر ، حتى أنها لم تملك سوى طاعته ، فتبعته فى استسلام إلى استراحة الفندق ..

وفى حذر شديد ، تابعهما موظف الاستقبال ببصره ، وهما يبتعدان ، ثم التقط سمّاعة الهاتف ، وأدار القرص فى سرعة ، ولم يكد يسمع صوت محدثه ، حتى قال فى خفوت :

ــ مساء الخير يا سيّد (جولدمان) .. إنه أنا .. (بورغو) .. أظننى قد تعرّفت رجل المخابرات المصرى ، الذى أرسلوه بشأن الباخرة .. نعم .. إنه يقيم هنا .. فى الفندق .

وألقى نظرة أخرى على (أدهم) ، الذى اتخذ مقعدًا يجاور مقعد (فدوى) ، فى ركن بعيد من أركان استراحة الفندق ، واستطرد :

ــ نعم يا سيّد (جولدمان) .. لقد وقع الصيد فى الفخ ، وحانت لحظة ذبحه .

وضاقت الحلقة أكثر ..

★ ★ ★

٤ ـ الحصار ..

أشعل سير (مايكل أوليفر) ، نائب رئيس المخابرات البريطانية غليونه ، ونفث دخانه فى بطء وبرود ، وهو يقف فى شرفة فيلا صغيرة ، تطلّ على شاطىء البحر فى (اليونان) ، وقال للشاب الواقف إلى جواره ، دون أن يلتفت إليه :

ـ لقد وصل رجل المخابرات المصرى يا (آرثر) .

قال الشاب فى اهتمام :

ـ وصل ؟! .. حقًا يا سيّدى ، أين يقيم ؟ وأى اسم يحمل ؟

التقط سير (مايكل) نفسًا عميقًا من غليونه ، ونفثه فى بطء ، قبل أن يجيب ..

ـ إنه يقيم فى فندق (كوستا) ، تحت اسم (أدهم صبرى) ، وهذا ليس اسمه الحقيقى بالطبع .

قال (آرثر) :

ـ بالطبع .. ما من رجل مخابرات يستخدم اسمه الحقيقى ، فى عملية كهذه .

ثم تطلّع إلى رئيسه فى إعجاب ، وهو يستطرد :

ـ ولكن كيف بلغتك هذه المعلومات يا سيّدى ؟

ابتسم سير (مايكل) فى زهو ، وهو ينفث دخان غليونه ، قائلًا :

ـ إنها دائرة شديدة التعقيد يا (آرثر) ، لم يستطع أساتذتك ، فى مدرسة المخابرات الملكية شرحها لك ؛ لأنها تفوق إدراكهم حتمًا ، ولكن

خبرتى الطويلة فى عالم المخابرات ، منذ الحرب العالمية الثانية ، يجعلنى أفوقهم حتمًا فى هذا المجال .

قال (آرثر) مبهورًا :

ـ بالطبع يا سيّدى .. بالطبع .

أومأ سير (مايكل) برأسه فخورًا ، وتابع ..

ـ لقد غرس الإسرائيليون أحد رجالهم ، فى جهاز المخابرات المصرى ، وهذا الرجل أبلغهم أن المصريين قد أرسلوا أحد رجالهم إلى هنا ، ليلتقط شيئًا ما ، من قلب الباخرة الغارقة ، وعندما تلقى الإسرائيليون هذا الخبر أسرع أحد العملاء السوفيت ، فى قلب (الموساد) ، ينقله إلى (موسكو) ، التى أبلغته بدورها إلى عميليها هنا (نوفا) و (شيلنكو) ، اللذين أبلغا رجالهما بالطبع ، ولأن لنا عميلًا مخلصًا ، وسط صفوف السوفيت ، فقد نقل إلينا عميلنا الخبر بدوره ، وبعدها وصل رجل المخابرات المصرى إلى (أثينا) ، وتعرّفه أحد رجال (الموساد) ، فأبلغ قائده (جولدمان) ، الذى أبلغ رجاله بالطبع ، فنقل إلىّ أحدهم الخبر .

ارتفع حاجبا (آرثر) ، وهو يهتف مبهورًا مشدوهًا :

ـ يالها من دائرة شديدة التعقيد بالفعل !!

ابتسم سير (مايكل) ، وهو يقول فى خيلاء :

ـ ألم أقل لك ؟

سأله (آرثر) فى خفة :

ـ وما الذى ينبغى علينا فعله ، مع ذلك العميل المصرى يا سيّدى ؟

أجابه سير (مايكل) ، وهو ينفث دخان سيجارته فى هدوء :

— لا شيء .
عقد (آرثر) حاجبيه ، وهو يسأله فى دهشة :
— ماذا تعني يا سيِّدى ؟
أجابه سير (مايكل) ، بابتسامة خبيثة :
— أعني ما سمعته بالضبط يا عزيزى (آرثر) .. إننا لن نفعل شيئًا .. بل سنترك رجل المخابرات المصرى يبذل أقصى طاقاته ، حتى يستعيد الصور والوثائق ، وبعدها يأتى دورنا .
تهللت أسارير (آرثر) ، وقال :
— فهمت يا سيِّدى .
كان شديد الزهو والإعجاب برئيسه ، الذى بدا له أشبه بثعلب ماكر ، بشاربه الأحمر الكث ، المفتول على الطريقة القديمة ، وأسنانه الكبيرة البيضاء ، وذلك النمش الكثيف ، الذى يحيط بأنفه ، ثم لم يلبث أن تذكَّر أمرًا آخر ، فسأل رئيسه فى اهتمام :
— ومتى فى رأيك يبدأ المصرى عمله يا سيِّدى ؟
مطَّ سير (مايكل) شفتيه فى برود ، ونفث دخان غليونه فى عمق ، قبل أن يقول فى حسم :
— الليلة .
وكان على حق ..

* * *

أطاعت (فدوى) (أدهم) ، وجلست على المقعد المجاور له ، فى استراحة الفندق ، وتطلَّعت فى صمت إلى ملامحه الوسيمة ، وبدا لها شاربه

كثًا أكثر مما ينبغى ، وخيِّل إليها أنه سيبدو أكثر وسامة ، دون هذا الشارب ، ثم لم تلبث طاقة العناد فى أعماقها أن تفجَّرت ، فقالت فى حدة :
— هأنذا قد تبعتك إلى هنا ، والآن ماذا لديك ، لتبرِّر به موقفك ؟
قال (أدهم) فى هدوء :
— ولماذا أحاول تبرير موقفى ؟. إننى بالفعل صحفى فى (أخبار اليوم) .
مالت نحوه فى حركة حادة ، وقالت :
— كاذب .. سأكرِّر هذا القول ألف مرة ، لو اقتضى الأمر ، فأنا أعرف كل محرِّر فى أخبار اليوم ، من الأستاذ (مصطفى أمين) نفسه ، حتى أصغر محرِّر تحت التمرين ، فى قسم الإعلانات المبوَّبة .
كان من الواضح أنه يواجه فتاة ذكية وعنيدة ، لذا فقد بدا له أن محاولة خداعها مضيعة للوقت ، فمال نحوها بدوره ، وقال فى حسم ..
— حسنًا .. إننى أكذب .. لست محرِّرًا فى (أخبار اليوم) .
تراجعت هاتفة فى ظفر :
— أرأيت ؟.. لقد كنت على حق ، عندما ...
قاطعها فى صرامة :
— ولكن أحدًا غيرنا لن يعرف هذه الحقيقة .
مرة أخرى بدت لها لهجته حازمة حاسمة آمرة ، بأكثر مما يمكنها معارضته ، حتى أنها ، عندما أرادت أن تهتف به :
— ولماذا أفعل هذا ؟
وجدت نفسها تقول فى خنوع ، لم تعرفه فى نفسها قطّ :

ـــ لماذا ؟

أجابها فى صرامة :

ـــ لأن عملى يحتم انتحالى هذه الصفة .

رددت فى حيرة :

ـــ عملك ؟

ثم تطلّعت إليه لحظات فى صمت وتساؤل ، وعقلها يعمل فى سرعة كعادتها ، بحثًا عن جواب شاف ، لهذا اللغز الجالس أمامها ، قبل أن تقول فى بطء ، وكأنها قرّرت أن تمنحه حق مشاركتها تفكيرها :

ـــ حسنًا .. دعنا ندرس الأمر فى هدوء وروية ، وسنتوصّل حتمًا إلى الحقيقة .. لقد كان المفروض أن أعود إلى (القاهرة) اليوم ، ولكن الجريدة اتصلت بى هاتفيًا ، وطلبت منى البقاء ليوم إضافى ، لتغطية حادث غرق الباخرة المصرية ، وهذا هو الحادث الوحيد ، الذى أثار الانتباه هنا ، فى هذه الأيام .. هل أتيت أنت أيضًا بشأنه ؟

لم يجب ، وهو يتطلّع إليها فى تكاسل عجيب ، ولكن تراخيه هذا لم يخدعها ، بل زادها حماسًا ، وجعلها تستطرد :

ـــ نعم .. من المؤكّد أنك هنا لهذا السبب ، فلقد أجريت حديثًا مع أحد خبراء السفن والبواخر هذا الصباح ، وأخبرنى أنه ليس من المنطقى أن تنفجر محركات باخرة ، بالقرب من الشاطىء ، لأنها فى كل الأحوال ، سواء أكانت مبحرة ، أو فى طريقها للرسوّ ، لا تستخدم محركاتها بكامل طاقتها ، فى هذه المرحلة ، وهذا يعنى أن حادث الباخرة مفتعل .. أليس كذلك ؟

انصرف فى قرارة نفسه بذكائها ، ولكنه لم يمنحها جوابًا ، وإن راح يتطلّع إليها فى اهتمام واضح ، وهى تتابع :

ـــ أستطيع أن أجزم بأن هذا هو سبب وجودك هنا بالفعل .. ولكن لماذا يهتم مصرى بهذا الأمر ، ما لم يكن أحد رجال الأمن ، أو ..؟

صمتت لحظة ، وهى تتأمّله فى اهتمام ، قبل أن تميل نحوه ، وتهمس فى أذنه :

ـــ أو المخابرات .

كاد يهتف إعجابًا بذكائها ، وعقلها المنظّم المنسّق ، إلا أن هذا لم يتجاوز أعماقه ، وظلّ وجهه جامدًا ، وهو يقول :

ـــ يا للخيال الجامح !

هتفت فى حماس ظافر :

ـــ أراهنك أنه ليس كذلك .

ثم همست فى أذنه بلهفة :

ـــ هل تعدنى بالحصول على القصة الكاملة ، بعد أن تنتهى مهمتك ؟

هزّ كتفيه فى استهتار ، قائلًا :

ـــ هذا لو كانت هناك مهمة بالفعل .

ضحكت فى جذل كالأطفال ، وقالت :

ـــ هل تراهن ؟

نهض فى حسم ، وهو يقول :

ـــ لا أيتها الصحفية النشطة .. لن أراهن .

وابتعد عنها فى خطوات سريعة حاسمة ، فتابعته ببصرها فى انبهار ،

وهتفت فى أعماقها :

فليكن أيها الوسيم .. من حقك ألا تراهن ، ولكن من حقى أيضًا أن أحصل على قصة جيِّدة .

وارتفع صوتها قليلًا ، وهى تضيف فى جذل :

ـــ وفريدة .

* * *

أنهى موظف الاستقبال اليونانى (يورغو) عمله ، فى تمام العاشرة مساءً ، فأبدل ثيابه ، واتجه إلى سيارته الخاصة ، وهو يمنّى نفسه بنوم هادىء عميق ، بعد كل ما واجهه من متاعب هذا الصباح ، ولم يكد يلقى جسده على مقعد القيادة ، حتى هتف فى ارتياح :

ـــ لا يوجد أفضل من البيت .

تجمَّدت الدماء فى عروقه بغتة ، عندما التصقت فوهة مسدس باردة بمؤخرة عنقه ، وسمع صوتًا أنثويا صارمًا ، يقول من المقعد الخلفى :

ـــ هذا لو ذهبت إليه .

ارتجف (يورغو) من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، وهو يرفع يديه عن عجلة القيادة ، ويقول فى ذعر :

ـــ لست أحمل مالًا يا سيِّدتى .. أقسم لك .

أجابه الصوت الأنثوى فى سخرية :

ـــ مال ؟!.. أتظننى أسعى خلف مالك أيها الحقير ؟

قال وهو يقارب الانهيار :

ـــ ما الذى تسعين إليه إذن ياسيِّدتى بالله عليك ؟

قبل أن يسمع منها جوابًا ، فوجىء برجل بالغ الوسامة ، أشيب الفودين ، يفتح باب سيارته الآخر فى هدوء ، ثم يجلس على المقعد المجاور له ، وهو يقول فى هدوء شديد :

ـــ أبعدى فوهة مسدسك عن مؤخرة عنقه قليلًا يا عزيزتى (مارى) .. ألا ترين أنه يرتجف من قمة رأسه ، حتى أخمص قدميه ؟

أطاعت (مارى) على الفور ، وأبعدت الفوهة الباردة القاتلة ، عن مؤخرة عنق (يورغو) ، وهى تقول فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـــ نعم .. أرى ذلك يا سير (ويلكوكس) .

ضاعف هذا القول ارتجافة (يورغو) عشرات المرات ، وهو يهتف فى رعب :

ـــ سير (ويلكوكس) ؟!.. الزعيم الأكبر ، لمنظمة الجاسوسية الحرة ؟!

ابتسم الوسيم ، الذى يبدو فى منتصف الأربعينيات من عمره ، وهو يقول :

ـــ من حسن الحظ أنك تعرف شيئًا عن تاريخى يا فتى ، حتى لا نضيع الوقت فى تعارف ومجاملات سخيفة ، ولكن يبدو أنك لا تعرف صديقتى العزيزة (مارى) . إنهم يطلقون عليها اسم (مارى الدموية) ، ليس لأنها تحمل على رأسها أجمل شعر أحمر رأيته فى حياتى ، ولا لأنها تعشق الشراب المعروف بهذا الاسم (بلودى مارى) ، بل لأن هوايتها المحبَّبة هى إراقة الدماء ، وإطلاق النار على الرءوس .

كاد (يورغو) يفقد وعيه من شدة الرعب ، وهو يقول :

— ماذا تريد منى يا سير (ويلكوكس) ؟.. ماذا تريد منى بالله عليك ؟

أشعل سير (ويلكوكس) سيجارًا كبيرًا في بطء وهدوء ، ونفث دخانه في عمق ، قبل أن يسأله :

— أريد أن أعرف كل مالديك عن تلك الباخرة المصرية ، التي غرقت بالقرب من سواحل اليونان يا صديقي .

قال (بورغو) بصوت مرتجف :

— لست أعلم شيئًا عنها يا سير (ويلكوكس) .. إنها مجرّد ..

قبل أن يتمّ عبارته ، رفع سير (ويلكوكس) سبّابته بإشارة خاصة إلى (مارى) ، وسمع (بورغو) من خلفه صوت رصاصة مكتومة ، تنطلق من مسدّس مزوّد بكاتم للصوت ، وشعر بآلام رهيبة في أذنه اليسرى ، ورأى بقعة دم كبيرة ترتطم بزجاج السيارة الأمامي ، ثم يتوسّطها ثقب مستدير ، وسقط شيء رطب دافىء لزج في يده ، فصرخ :

— أذنى .. لقد قطعت تلك اللعينة أذنى .

أوقفه سير (ويلكوكس) في صرامة :

— وستقطع أذنك الأخرى برصاصة ثانية ، لو واصلت الصراخ على هذا النحو ، وستعقبها بأنفك ، ثم عينك اليمنى ، ثم ..

هتف (بورغو) في ارتياع :

— لا ..لا يا سير (ويلكوكس) .. الرحمة !!.. لن يمكننى احتمال هذا !

نفث (ويلكوكس) دخان سيجاره ، وهو يقول :

— أسرع بإلقاء مالديك على مسامعي إذن ، فعزيزتنا (مارى) تبتسم في جذل وتلذذ ، ويبدو أنها تتمنى ألا تتعاون معنا ، حتى يمكنها ممارسة هوايتها معك .

هتف (بورغو) في هلع :

— لا .. لا .. سأخبرك بكل ما تريد يا سير (ويلكوكس) .. كل ما تريد .

بدت خيبة الأمل على وجه (مارى) ، في حين ارتسمت على شفتي سير (ويلكوكس) ابتسامة ظافرة ، وهو يقول :

— حسنًا يا فتى .. هيا .. قصّ علينا مالديك .

واندفع (بورغو) يروى له كل مالديه ..

وزاد عدد الجيوش المتصارعة ..

* * *

٥ ـ الأعمـاق ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثانية وعشر دقائق ، بعد منتصف الليل ، عندما أوقف (أدهم) تلك السيارة الصغيرة ، التى استأجرها من مكتب تابع للفندق ، أمام كابينة الشاطىء ، وهبط من السيارة فى هدوء ، وتلفَّت حوله فى حذر ، قبل أن يتجه إلى الكابينة ، ويدس مفتاحها فى ثقب الباب ، ويديره ، ثم يدفع الباب ، ويدلف إلى الداخل فى خفة ..

كانت الكابينة بسيطة الأثاث ، تتكوَّن من حجرة واحدة ، وردهة صغيرة ، وحمام ضيق ، وكانت حلة الغوص موضوعة فى عناية فوق الفراش ، وفوقها المصباح اليدوى الصغير ، وإلى جوارها حقيبة أدوات التنكر ..

وفى هدوء ، أزاح (أدهم) ستارة النافذة ، وألقى نظرة على الشاطىء القريب ، وقدَّر موضع غرق الباخرة ، ثم اتجه إلى الفراش ، ونزع ثيابه ، وراح يرتدى حلة الغوص فى مهارة واضحة ، تشفُّ عن خبرة طويلة فى هذا المجال ، وبعدها انحنى يلتقط أسطوانتى الأكسوجين ، و ..

وفجأة تسمَّرت يده فى مكانها ..

لقد التقطت أذنه الحسَّاسة المدرَّبة صوت خطوات تقترب فى حذر ..

وفى حركة حادة ، اعتدل (أدهم) ، وأرهف سمعه جيدًا ..

كان من الواضح أن صاحب الخطوات يسير على أطراف أصابعه ، ويبذل أقصى جهده لإخفاء صوت قدميه ، ولكن أذن (أدهم) ميَّزت صوت الرمال ، التى تلتصق بقدمى القادم ، ثم تتساقط عنها فى إيقاع خافت بطىء ..

والتصق (أدهم) بالحائط الخشبى المجاور لباب الكابينة ، وسمع وقع الأقدام يقترب ، ويقترب ، فتحفَّزت عضلاته لقتال عاجل ، خاصة عندما رأى مقبض الباب يتحرَّك ، موحيًا بأن أحدهم يحاول فتحه من الخارج ..

ثم انفتح الباب ..

انفتح فى حذر شديد ، ورأى (أدهم) يدًا تمتد إلى الداخل ، و ...

وتحرَّكت الأحداث بسرعة مذهلة بغتة ..

لم يكد (أدهم) يلمح تلك اليد ، حتى جذب الباب فى حركة سريعة ، وانقضت قبضته على معصم اليد ، وجذب صاحبها إلى الداخل ، ثم أشعل ضوء الكابينة فى حركة خاطفة ، امتزجت بشهقة أنثوية ، قبل أن يهتف هو فى مزيج من الغضب والدهشة والاستنكار :

ـ أنت ؟!

حدقت (فدوى) فى وجهه ، وزى الغوص الذى يرتديه ، قبل أن تهتف فى ظفر :

ـ إنك ترتدى زى غوص !

دفع الباب يغلقه فى عنف ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ما الذى أتى بك ؟ .. لماذا تبحثى إلى هنا ؟

قالت فى عناد :

ـ اترك معصمى أوَّلًا .

أفلت يدها فى حركة حادة ، وهو يقول :

ـ ألا تدركين ما تفعلينه ؟ .. إنك تعرضين حياتك للخطر ، دون مبرِّر .

قالت فى خفة :

— كنت أعلم أنك ستحاول بلوغ الباخرة الليلة ، فظللت مستيقظة عند نافذة حجرتى ، حتى رأيتك تستقل سيارة صغيرة ، بعد أن هدأ الليل ، وتنطلق بها نحو الشاطىء ، فتبعتك إلى هنا .

قال فى صرامة :

— أنت كاذبة ، لو تبعتنى إلى هنا لكشفت أمرك على الفور .

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

— أعلم هذا .. لقد أدركت أنك محترف ، وستكشف أمرى ، لو تبعتك بصورة مباشرة ؛ لذا فقد بقيت فى حجرتى ، وتابعت ضوء مصابيح سيارتك ، ولم يكن ذلك عسيرًا ، فالفندق مقام على ربوة عالية كما تعلم ، ويمكنك من نافذة حجرتى رؤية الشاطىء كله ، وخاصة عندما تكون سيارتك هى الوحيدة ، التى تتحرَّك فى الطريق الموازى له .. ولقد انتظرت حتى توقفت سيارتك ، وراجعت خريطتى ، ثم استقللت سيارتى ، وتبعتك إلى هنا ، ولقد أوقفت سيارتى بعيدًا بالطبع ، حتى لا يبلغ صوت محرِّكها سمعك .

أدهشه ذلك الأسلوب المنمق ، الذى اتبعته ، والذى يقارب أساليب المحترفين ، وسألها فى اهتمام :

— ما حقيقة عملك يا آنسة ؟

قالت فى سرعة :

— (فدوى) .. اسمى (فدوى) .. وأنت (أدهم) .. أليس كذلك ؟ .. لقد حصلت على اسمك من سجل النزلاء بالفندق .

لم ، مالت نحوه ، تسأله فى فضول :

— أهو اسمك الحقيقى ؟

تجاهل سؤالها ، وهو يقول فى صرامة :

— لم تجيبى سؤالى بعد يا (فدوى) .

ابتسمت وهى تقول فى كلمات سريعة :

— إنى صحفية فى (أخبار اليوم) ، كما سبق أن أخبرتك ، ومن المؤكَّد أنك قد قرأت أحد موضوعاتى ، واسمى بالكامل هو (فدوى سليمان) .. هل تذكر الاسم ؟

أجابها فى برود :

— لا .

لم يبد عليها الاهتمام لجوابه ، وهى تتأمَّل حلة الغوص ، قائلة :

— هل ستغوص خلف الباخرة الآن ؟ .. اصدقنى القول .. هل تشك السلطات المصرية فى أن الحادث متعمَّد ؟ .. هل ..

أوقفها فى صرامة :

— كفى يا آنسة (فدوى) .. لست نجمًا سينمائيًا ، لتحاصرينى بكل هذه الأسئلة .

مطت شفتيها ، وقالت :

— ومن قال إننى أهتمّ بنجوم السينما ؟

أمسك معصمها مرة أخرى ، بحركة مفاجئة ، وهو يقول فى صرامة :

— اسمعى يا آنسة (فدوى) .. لو أنك مصرية مخلصة لوطنك ، فلتعلمى أنك بعملك هذا تفسدين مهمة بالغة الخطورة ، يتوقَّف عليها أمن وطنك كله .

حدّقت فى وجهه لحظات فى صمت ، ثم تمتمت :

ــ إنك رجل مخابرات .. كنت أعلم هذا .

ترك معصمها ، وهو يشير إلى أقرب مقعد إليه ، قائلًا فى حزم :

ــ ستجلسين هنا صامتة ، دون العبث بأى شىء ، حتى أنتهى من مهمتى وأعود إلى الكابينة ، وبعدها سنناقش أمر أسلوبك السخيف هذا .

والتقط أسطوانتى الأكسوجين ، مضيفًا فى صرامة :

ــ رسميًا .

ابتسمت فى ابتهاج ، كما لو كانت طفلة صغيرة ، تشاهد فيلمًا سينمائيًا مثيرًا ، وأسرعت تجلس على طرف الفراش ، قائلة :

ــ كما تأمر .

رأته يتجه إلى الباب ، فأضافت :

ــ أتعلم أنك أكثر وسامة ، من دون المنظار .

تجاهل قولها تمامًا ، وهو يفتح الباب ، ولكنها هتفت فى خفة :

ــ أستاذ (أدهم) .. لحظة من فضلك .

التفت إليها مستفسرًا ، فسألته فى اهتمام بالغ :

ــ أهذا الشارب مستعار ؟

حدّق فى وجهها لحظة فى دهشة ، ثم هزّ رأسه ، مغمغمًا فى سخط :

ــ يا للنساء !

وصفق الباب خلفه فى عنف ..

★ ★ ★

أبعد (زاج) المنظار المقرّب ، المجهّز للرؤية الليلية عن عينيه ، والتقط جهازًا لاسلكيًا صغيرًا من جيبه ، ضغط زر الاتصال فيه ، وهو يقول :

ــ لقد عطس أيها الرفيق (نوفا) .

أتاه صوت (نوفا) الشقراء ، عبر جهاز اللاسلكى ، وهى تقول فى انفعال :

ــ كنت أتوقع هذا !

ثم استطردت فى حزم :

ــ راقبه جيدًا يا (زاج) ، وأخبرنى فور عودته .. هل تفهم ؟

قال فى لهجة تشفّ عن عميق خوفه منها ، واحترامه لها :

ــ سأفعل ما تأمرين به ، أيتها الرفيق القائد .

وأنهى الاتصال بضغطة زر أخرى ، ولكنه لم يكد يفعل ، حتى سمع من خلفه صوتًا أنثويًا ساخرًا ، يقول :

ــ قبل منك أن أنهيت الاتصال .

قفزت يده فى سرعة إلى مسدّسه ، وهو يلتفت إلى مصدر الصوت ، ورفع بصره على شعر أحمر نارى ، يتألق كاللهب ، بأضواء الميناء القريب ، المنعكسة على صاحبته ، التى ترفع بقبضتها مسدسًا كبيرًا ، مزوّدًا بكاتم للصوت ، وهى تبتسم ابتسامة أقرب إلى الجذل ..

وأراد (زاج) أن يطلق النيران ، ويخمد تلك الابتسامة ، على الشفاة الغليظة ..

ولكن (مارى) أطلقت النار أوّلًا ..

بفارق ثانية واحدة ..

وتناثرت الدماء على وجهها الجميل ، مع اختراق الرصاصة لجمجمة (زاج) ، الذى هوى على الأرض كالحجر ، فالتقطت منديلها فى حركة

أنيقة ، ومسحت به الدماء عن وجهها ، ثم ألقت المنديل على رأس (زاج) ، وهى تبتسم فى سخرية ، فى حين ظهر سير (ويلكوكس) من خلفها ، وهو يمطّ شفتيه ، قائلًا :

ـــ يا للشيطان ! .. إنك تعشقين رؤية الدماء بالفعل يا عزيزتى (مارى) .

قالها دون أدنى انفعال ، ثم انحنى يلتقط المنظار ، ويمسح الدماء المتناثرة عليه فى أناقة ، قبل أن يبتسم قائلًا :

ـــ ألا يبدو لك المشهد مكرَّرًا يا عزيزتى (مارى) ؟ .. ها نحن أولاء نفعل ما نفعله فى كل مرة .

ورفع المنظار إلى عينيه ، مستطردًا فى هدوء مخيف :

ـــ الانتظار ..

* * *

كان الماء باردًا ، مظلمًا ، وعميقًا ، ولكن كل هذا لم يرهب (أدهم) ، الذى اعتاد الغوص إلى الأعماق ، منذ نعومة أظفاره ، ولقد غاص إلى عمق أربعة أمتار فى الظلام ، قبل أن يشعل مصباحه اليدوى ، حتى لا ينعكس ضوء المصباح على سطح الماء ، فيكشف عمله ..

وبعد ثلاثة أمتار أخرى ، كشف ضوء المصباح مدخنة الباخرة الضخمة ..

وفى حركة انسيابية ناعمة ، واصل (أدهم) غوصه ، ودلف إلى قرار الباخرة ، عبر أحد النوافذ المستديرة ، وراح يشقّ طريقه ، وسط الممرات المغمورة بالماء ، دون توقّف أو تردد ؛ لأنه يعلم هدفه جيدًا ..

وأخيرًا بلغ (أدهم) حجرة الطعام بالباخرة ، وأرشده مصباحه إلى بار صغير فى ركنها ، اتجه إليه مباشرة ، ثم استقرّ إلى جواره ، وراح يفحص

إطاره الخشبى فى اهتمام خاص ، حتى عثرت أصابعه على دائرة خشبية صغيرة ، تبدو للناظرين كجزء من النقوش الأنيقة ، التى تزين حافة البار ، إلا أن هذه الدائرة بالذات استجابت لحركة أصابعه ، وهو يديرها فى حذر عدة مرات ، ثم يجذبها إلى الخارج فى رفق ..

ولم يكد يفعل ، حتى انزاح ركن من البار الخشبى ، كاشفًا فجوة متوسطة الحجم ، استقرّ داخلها الصندوق ..

الصندوق الأسود ..

وفى حرص ، التقط (أدهم) الصندوق ، وحمله من مقبضه المعدنى فى إحكام ، ثم سبح مغادرًا الباخرة الغارقة ، بنفس الوسيلة التى دخلها بها ..

عبر الممرات نفسها فى نعومة ، ثم ارتفع يعبر كوة مستديرة ، دفعته خارج الباخرة ..

وفجأة وقع ضوء المصباح على شىء ، لم يتوقّع (أدهم) رؤيته ، فى هذا الوقت ، وذلك المكان ..

على وجه ..

وجه بشرى ، لرجل يرتدى ثياب الغوص ..

وفى اللحظة نفسها ، أحاطت ذراع قوية بعنق (أدهم) من الخلف ، وانقض ضوء مصباحه بحركة حادة ، فانعكس فوق بندقية صيد مائية ، ذات رمح حاد طويل ، يمسك بها الرجل الذى يواجهه ..

ومع سقوط الضوء على البندقية المائية ضغط الرجل الزناد ..

وانطلق الرمح القاتل ..

واتجه نحو صدر (أدهم) ..

مباشرة .

* * *

أدارت (فدوى) عينيها فى أرجاء الكابينة الصغيرة فى اهتمام ، حتى وقع بصرها عند الحقيبة الصغيرة ، المجاورة للفراش ، فتطلّعت إليها فى فضول ، وهى تغمغم :

ــ أراهن أن هذه الحقيبة الصغيرة تحوى متحفًا حربيًّا كاملًا .

لم تستطع مقاومة فضولها ..

بل إنها حتى لم تحاول ..

لقد نهضت إلى الحقيبة على الفور ، ورفعتها فوق الفراش ، وهى تتابع :

ــ عجبًا !! .. إنها أخفّ وزنًا مما كنت أتوقّع بكثير .

فتحت قفلها بحركة واحدة سريعة ، ولم تكد تفتحها حتى انعقد حاجباها فى دهشة ، وهى تقول :

ــ ما هذا ؟

قلّبت مجموعة الألوان والدهانات داخل الحقيبة فى حذر ، ورفعت زجاجة ملوءة بسائل وردى باهت إلى أعلى ، وراحت تتطلّع إلى محتوياتها فى فضول ، قبل أن تقول لنفسها فى حيرة :

ــ ماذا يفعل ضابط مخابرات مثله ، بهذه المساحيق العجيبة ؟

ارتفع من خلفها صوت خشن ، يقول بلهجة تجمع ما بين السخرية والصرامة :

ــ يقاتل بها .

انتفض جسدها فى قوة ، وسقطت الزجاجة من يدها فوق الفراش ،



وفى حرص ، التقط (أدهم) الصندوق ، وحمله من مقبضه المعدنى فى إحكام ، ثم ... مغادرًا الباخرة الغارقة ..

وهى تلتفت فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ثم لم تلبث أن أطلقت شهقة
قوية ، عندما وقع بصرها على رجل قصير القامة ، أصلع الرأس ، له ...
قصيرة وشارب كث ، ويرتدى حلة أنيقة ، ورباط عنق غالى الثمن ...

والأهم أنه كان يصوِّب إليها مسدسًا ضخمًا ، بدا شديد التناقض مع
قامته القصيرة ، وهو يتابع :

— هل أفزعتك ؟

قالت فى توتر :

— نعم .

فوجئت به يبتسم فى جذل ، قائلًا :

— هذا يسعدنى .

ثم تلاشت ابتسامته بغتة ، وانقلبت لهجته إلى الصرامة ، وهو
يستطرد :

— ويؤسفنى أنك ستضطرين لاحتمال ضيافتى ، حتى يعود (أرينز)
بالوثائق .

غلبها فضولها الصحفى ، وهى تقول :

— من (أرينز) هذا ؟

عادت الابتسامة إلى شفتيه ، وهو يجيبها :

— إنه مساعدى يا سيِّدتى .. معذرة .. نسيت تقديم نفسى إليك ...
أنا الكولونيل (جولدمان) .. أحد كبار ضباط (الموساد) .

شهقت فى فزع :

— (الموساد) ؟!.. أتقصد جهاز المخابرات الإسرائيـ ...

قاطعها مبتسمًا :

— تمامًا يا عزيزتى .. نفس جهاز المخابرات ، الذى يحمل إلى جهاز
المخابرات المصرى ، الذى تنتمين إليه ، هزيمة جديدة .

قالت فى عصبية :

— لست أنتمى إلى جهاز المخابرات المصرى .. إننى صحفية بجريدة
أخبار الـ ...

قاطعها فى صرامة هذه المرة :

— لا داعى لإضاعة الوقت فى هذه التفاهات يا عزيزتى ؛ فنحن هنا
لانتظار عودة (أرينز) ، بعد أن يقتل زميلك ، ويستولى على الوثائق ،
وبعدها سأنهى العملية بنفسى .

غمغمت فى رعب :

— أية عملية ؟

اتسعت ابتسامته الخيفة ، وهو يقول :

— قتلك يا عزيزتى .

وهوى قلبها بين ضلوعها ..

* * *

لم يكن (أدهم صبرى) قد تجاوز السادسة من عمره بعد ، عندما بدأ
والده — رحمه الله — تدريبه على الغوص فى الأعماق ، ولقد استوعب
مهارات تلك الرياضة فى سرعة ، وإن أصابه الملل — آنذاك — من إصرار
والده على تدريب رئتيه ، على احتمال البقاء تحت سطح الماء ، لأطول فترة
ممكنة ، دون قناع الأكسوجين ، وشغف — فى الوقت ذاته — بذلك

التدريب الخاص بسرعة الحركة ، والقتال فى الأعماق ..

وعندما بلغ (أدهم) العاشرة من عمره ، كان قد اعتاد هذه التدريبات ، وبلغ فى أدائها مهارة مذهلة ، بالنسبة لصبى فى عمره ..

وكانت هذه واحدة من المرات القليلة ، التى أتيحت فيها الفرصة لـ (أدهم) ، لاختبار مهاراته فى هذا الشأن ..

لقد رأى الرمح القاتل مصوّبًا إلى صدره ، وصاحبه يضغط الزناد ، فى الوقت الذى تحيط فيه ذراع قوية بعنقه ..

ورأى الرمح ينطلق ..

رآه فى نفس اللحظة ، التى بدأ فيها قتاله ..

لقد انحنى إلى الأمام ، ومدّ يده خلف ظهره ، وأمسك بها منظم أسطوانة الأكسوجين ، التى يرتديها خصمه خلف ظهره ، وجذبها فى قوة ، وهو يدور حول نفسه دورة رأسية أمامية ..

وفى اللحظة التى بلغ فيها الرمح هدفه ، كان الهدف قد انعكس تمامًا ، وأصبح ظهر الخصم الآخر ، هو الذى يواجه رمح زميله ..

وأصاب الرمح واحدة من اسطوانتى الأكسوجين ، اللتين يرتديهما الخصم الآخر ، وانطلق منها الأكسوجين فى قوة وعنف ، بحيث أصبحت أشبه بمحرك نفاث ، دفع جسد الرجل ، الذى ظل متشبثًا بعنق (أدهم) ، نحو جسم الباخرة ، وهو يجرّ (أدهم) خلفه ..

وارتطم الجسدان بجسم الباخرة فى عنف ..

كانت الصدمة من القوة ، بحيث أدارت رأس (أدهم) ، وأطاحت بخصمه عشرة أمتار بعيدًا عنه ، قبل أن يفرغ انطلاق الأكسوجين المضغوط

إلى أسطوانته ، ويسبح جسده بلا هدف ..

واستل الرجل الآخر خنجره ، وانقضّ به على (أدهم) ، وهو يغمر وجهه بضوء مصباحه القوى ..

وعلى الرغم من الدوار العنيف ، الذى يشعر به (أدهم) ، تحرّكت يده فى سرعة ، تمسك معصم خصمه ، وتلويه فى قوّة ، لتسقط خنجره ،

ولكن الرجل أحكم قبضته على خنجره فى استماتة ، ودفع (أدهم) إلى الخلف فى قوة ..

وفى نفس اللحظة ، كان الرجل الآخر قد استعاد توازنه ، وانقضّ على [illegible] (أدهم) بدوره ..

وراح (أدهم) يقاتل ، بكل ما يملك من قوة ، وهو يحيط مقبض الصندوق الأسود بقبضته اليسرى فى قوة ..

ودفع (أدهم) خصمه السفلى بقدميه ، ثم ضرب وجه الثانى بالصندوق المعدنى ، وتراجع ليوجّه ضربة أخرى إليهما ..

ولكن فجأة ، أمسك شىء ما أسطوانة الأكسوجين ، المثبتة خلف ظهره فى قوة ..

وانقضّ الرجلان ، وقد أيقنا من وقوع (أدهم) فى أيديهما ، بعد أن علقت أسطوانته فى قائم معدنى ، من قوائم الباخرة الغارقة ..

وبضربة عنيفة ، أصاب أحدهما يد (أدهم) اليسرى بخنجره ، فى حين جذب الثانى الصندوق الأسود من يده بكل قواه ..

وعلى الرغم منه ، أفلت (أدهم) الصندوق ، وتراجع بيده ، التى انفجرت فيها الدماء غزيرة ..

وتراجع الرجلان في ظفر ، ثم اندفعا مرة أخرى نحو (أدهم) ، الذي يقاتل لتخليص اسطوانة الأكسجين من القائم المعدني ، ولكنه لم يكد يرى اندفاعتهما نحوه ، حتى استعدّ للذود عن حياته ، ولكن الرجلين تجاهلاه تمامًا ، وتعاونا على تثبيت جسم معدني صغير ، بجوار الباخرة المجاور له . ثم التفت أحدهما إليه ..

وعلى ضوء المصباح الخافت ، رأى (أدهم) عيني الرجل ، وهما تتطلعان إليه في سخرية وشماتة ...

ثم رأى يد الرجل ترتفع بالخنجر ..

وتهوى ..

لم تهو على عنقه ، كما توقّع ، وإنما هوت على الخرطوم المطّاطي ، الذي ينقل الأكسوجين من الأسطوانة إلى فم (أدهم) ..

ومزق الخنجر خرطوم الأكسوجين ..

وتضاعفت النظرة الشامتة الساخرة في عيني الرجل ، وهو يشير إلى زميله ، قبل أن يبتعد الاثنان في سرعة ، ويبتلعهما الظلام ..

وعلى الرغم من ذلك الظلام الدامس ، التقطت عينا (أدهم) أرقام الساعة المضيئة ، المتصلة بذلك الجسم المعدني الصغير ، الذي ثبته خصماه على جدار الباخرة الغارقة ..

وأدرك ، وهو يفقد آخر فقاقيع الأكسوجين ، طبيعة ذلك الجسم المعدني ..

لقد كان قنبلة ..

قنبلة زمنية ، تشير أرقامها إلى أن كل الوقت المتبقى أمامه لايزيد عن

ثلثي الدقيقة ، وبعدها يحدث الانفجار ..

الانفجار القاتل ..

* * *

تحركت (نوفا) في حجرتها بعصبية واضحة ، وهي تنفث دخان سيجارتها ، وتلوّح بكفها ، قائلة لـ (شيلنكو) :

ـــ ما الذي أصاب ذلك الغبي (زاج) ؟ .. إنه لم يرسل رسالة واحدة ، منذ نصف الساعة .. هل استسلم للنوم ؟

بدا القلق على وجه (شيلنكو) ، وهو يتطلّع إلى ساعته ، قائلًا :

ـــ هذا لو أنه على قيد الحياة

توقفت (نوفا) بحركة مباغتة ، وهي تقول في حدّة :

ـــ ماذا تعني ؟

أجابها ، وهو يلتقط جهاز الاتصال اللاسلكي :

ـــ أعني أننا لسنا وحدنا ، في لعبة صيد الأسماك الثمينة هذه ، أيتها الرفيق (نوفا) ، ولن يدهشني أن يكون هناك فريق آخر ، قد سبقنا إلى هناك ، وأزاح (زاج) عن طريقه إلى الأبد .

انعقد حاجباها الجميلين في صرامة ، وهي تقول :

ـــ لو حدث هذا ..

لم تتم عبارتها ، ربما لأنها لم تجد ما تتمها به ، فلاذت بالصمت في توتر بالغ ، واقتربت من (شيلنكو) ، الذي ضغط زر الاتصال ، وهو يقول :

ـــ هنا الطائر الأحمر ، يتحدّث إلى العين النارية .. أجب أيها العين النارية .. هل تسمعني ؟.. هل تسمعني يا رجل ؟

لم يتلق الجهاز سوى صمت مطبق ، فكرّر (شيلنكو) النداء فى عصبية ، ثم ألقى جهاز الاتصال اللاسلكى فى عنف ، وصاح :

— يبدو إننى على حق .

تفجّر غضب هائل فى وجه (توفا) وعينيها ، واستدارت تلتقط مسدسها فى حدة ، وجذبت مشطه فى قوة ، وتركته يرتد بصوت معدنى رنّان ، ثم دسته فى حزامها ، هاتفة :

— وماذا نفعل هنا ؟

اندفع (شيلنكو) خلفها ، وهو يهتف :

— نعم .. ماذا نفعل هنا ؟

وكان من الواضح أنهما سينطلقان على الفور إلى ساحة المعركة .. وسيحتدم القتال ..

★ ★ ★

جلست (فدوى) متوترة ، تقاوم قيودها فى عصبية ، وهى تتطلّع إلى فوهة مسدس (جولدمان) ، المصوّبة إليها ، فى حين بدا هذا الأخير قلقًا ، يتطلّع إلى ساعته كل لحظة ، مما جعل (فدوى) تزدرد لعابها ، فى محاولة للتغلّب على توترها ، قبل أن تقول :

— هل تأخر رجالك ؟

أجابها فى خشونة :

— لم يكن هناك وقت محدود للعملية ، فلن يبدأ عملهم ، قبل أن يحصل زميلك على الوثائق .

قالت فى قلق :

— أما زلت تصرّ على أنه زميلى ؟ .. قلت لك ألف مرة أننى لا أعمل فى المخابرات المصرية .

قال فى غلظة :

— لا فارق .

ثم لوّح بمسدسه فى وجهها ، مستطردًا :

— نهايتك واحدة فى كل الأحوال .

خفق قلبها فى رعب ، وقالت :

— لماذا ؟ .. لا شأن لى بكل هذا .. إننى مجرّد ..

قبل أن تتمّ عبارتها ، دوى الانفجار ..

انفجار مكتوم ، أشبه بقرع طبلة ضخمة ، من أعماق بئر سحيقة ..

وارتفعت موجة عالية من قلب البحر ، على مسافة ثلاثمائة متر من الشاطىء ، ثم انقضت مرة أخرى على البحر ، وتناثر زبدها إلى مسافة طويلة ، واندفع أمامها ، وهى تشقّ طريقها إلى الشاطىء ، ثم ترتطم بالرمال ، وتذوب فوقها فى هدوء ، وتنحسر صامتة ..

وبكل الظفر والحماس ، هتف (جولدمان) :

— لقد نجحوا .. نجح الرجال فى مهمتهم .

واستدار إلى (فدوى) ، مستطردًا فى انفعال :

— هل تعلمين ما الذى يعنيه هذا ؟ .. لقد كان الانفجار آخر خطوة فى خطتنا ، وبلوغ الخطوة الأخيرة يعنى حتمًا نجاح كل الخطوات السابقة لها .. أى أن رجالنا قد حصلوا على الوثائق ، وقتلوا زميلك .. إنه نجاح كامل .. نجاح رائع .

اتسعت عينا (فدوى) فى ذهول ، وارتجف قلبها بين ضلوعها فى قوة ..
صحيح أنه لم تمض بعد ليلة واحدة ، على لقائها مع (أدهم) ، ولكنها لم تحتمل فكرة فقده ، على هذا النحو ..

ومن أعماقها تجمّعت دمعة كبيرة ، وجدت طريقها فى سرعة إلى عينيها ، وتفجّرت ساخنة غزيرة ..

وفى سخرية وشماتة ، رفع (جولدمان) مسدّسه نحو رأسها ، وقال :

ـــ ابكى يا عزيزتى .. أحب أن أرى دموع ضحاياى ، قبل أن تخترق رصاصاتى رءوسهم .

وجذب إبرة مسدّسه ، وهو يستطرد :

ـــ هيا .. قولى وداعًا لكل طموحاتك .

وانهار الأمل فى أعماقها ..

انهار تمامًا .

★ ★ ★

٧ ـــ كل القـــوى ..

تطلع رجل المخابرات البريطانية (آرثر) نحو البحر ، بمنظاره المقرِّب ، وقال لسير (مايكل أوليفر) ، الجالس إلى جواره ، يدخن غليونه فى هدوء :

ـــ لقد كنت على حق يا سيِّدى .. هناك زورق بحارى يتجه إلى الشاطىء .. من الواضح أن رجال (الوساد) قد نجحوا فى استعادة الرهائن .

نفث سير (مايكل) دخان غليونه فى هدوء ، وهو يسأله :

ـــ أما زال (جولدمان) فى الكابينة ؟

أدار (آرثر) منظاره إلى الكابينة الصغيرة ، وأجاب :

ـــ بلى .. مازال يحتجز الفتاة هناك .

هزّ سير (مايكل) رأسه ، وهو يقول فى ازدراء :

ـــ مازال (جولدمان) كعهدى به ، سخيفًا تافهًا .. لماذا يصرّ على احتجاز الفتاة ؟

وافقه (آرثر) بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

ـــ لست أدرى .. كان المفروض أن يطلق سراحها ، مادام ..

قاطعه سير (مايكل) بصيحة غاضبة :

ـــ خطأ .

التفت إليه (آرثر) فى حيرة وتساؤل ، فتابع غاضبًا :

ـــ لو أتى هذا القول من شخص غيرك ، لاكتفيت بتوجيه اللوم إليه ،

ولكنني لا أقبل مثل هذا الخطأ منك ، بعد أن تلقيت أسرار المهنة مني شخصيًا

قال (آرثر) في حيرة :

ـــ ما المفروض أن يفعله إذن يا سير (مايكل) ؟

نفث سير (مايكل) دخان غليونه في وجه تلميذه ، وهو يقول في صرامة :

ـــ يقتلها .

تراجع (آرثر) ، هاتفًا في استنكار :

ـــ يقتلها ؟! .. يقتل امرأة يا سيِّدى ؟!

أجابه سير (مايكل) في خشونة :

ـــ نعم .. يقتل امرأة ، وبلا رحمة أو تردد .. إننا لا نلعب أو نمزح هنا يا (آرثر) .. إنه عالمنا .. عالم المخابرات ، حيث لا هدف يسمو فوق مصلحة دولتك .

عقد (آرثر) حاجبيه ، مغمغمًا :

ولكن ما الداعي لقتلها يا سيِّدى ؟ .. إننا نعلم جيدًا أنها مجرد صحفية مصرية ، فلقد تحرينا عنها هذا الصباح ، ومادام (جولدمان) قد حصل على ما يبتغى ، فلا فائدة تعود من قتلها .

رمقه (مايكل) بنظرة غاضبة ، وهو يقول :

ـــ لقد رأت (جولدمان) ، وعرفت كل مايحدث .. هل رأيت في عمرك كله صحفيًا ، يمكنه أن يكتم كل هذه الأحداث المثيرة في أعماقه ، ويقاوم إغراء نشرها في الصفحة الأولى ؟

أومأ (آرثر) برأسه متفهمًا ، ولكن لهجته شفت عن عدم ارتياح للأمر ، وهو يتمتم في خفوت :

ـــ حسنًا .. مادمت ترى ذلك يا سيِّدى .

قالها وعاد يرفع منظاره إلى عينيه ، ويتابع الزورق البخارى ، الذى يبلغ الشاطئ ، في نفس اللحظة ، وأضاف في اهتمام شديد ، وهو يتطلع إلى الصندوق الأسود الصغير ، الذى يمسك به أحد الرجال الثلاثة ، داخل الزورق :

ـــ لقد استعادوا الوثائق بالفعل .

رفع سير (مايكل) مسدسه ، وجذب مشطه في حزم ، وهو يقول :

ـــ هيا بنا إذن .

مد (آرثر) يده ليدير محرك السيارة ، ولكن فجأة برز من النافذة المجاورة له مدفع رشاش ، قال صاحبه في صرامة :

ـــ مهلاً يا صاح .. إنها الخطة الأخيرة .

حاول سير (مايكل) أن يدير مسدسه في سرعة ، ولكن فوهة مدفع رشاش آخر التصقت بجانب رأسه ، مع صوت خشن ، يقول :

ـــ لا تحاول يا سيِّدى .. ستكون رصاصات مدفعي أسرع بالتأكيد .

ألقى سير (مايكل) مسدسه في سخط ، ورفع ذراعيه مستسلمًا ..

لقد خسر الجولة ..

أو المعركة كلها ..

* * *

استقبل (جولدمان) رجاله الثلاثة فى حرارة ، وهتف وهو يختطف الصندوق الأسود ، ويضمّه إلى صدره :

— لقد نجحتم يا رجال .. مرة أخرى ستثبتون للعالم أجمع أن (الموساد) هو أقوى جهاز مخابرات فى العالم .

ألقى الرجال نظرة لا مبالية على (فدوى) ، التى اغرورقت فى بكاء حار ، ثم قال قائدهم (آرينز) :

— لم يكن الأمر سهلاً يا سيِّد (جولدمان) .. لقد التقينا بذلك الضابط المصرى ، عند حطام الباخرة ، وهو يقاتل فى شراسة مدهشة ، وانتزاعنا ذلك الصندوق الأسود منه ، يشبه انتزاع قطعة لحم ، من بين أنياب أسد جائع شرس .

قال (جولدمان) فى حماس :

— المهم أنكم قد انتزعتموه منه ، بعد قتله .

أشار (آرينز) إلى البحر ، قائلاً :

— لم نقتله نحن .. لقد قتله الانفجار .

هتف (جولدمان) فى سخط :

— قتله الانفجار ؟! .. ماذا تعنى ؟ .. هل تركتموه هناك على قيد الحياة ؟

قال (آرينز) ..

— لقد اشتبكت اسطوانته فى قائم معدنى ، من قوائم الباخرة الغارقة ، ووضعنا القنبلة على بعد متر واحد منه ، ولا ريب أن الانفجار قد مزّقه إربًا .

قال (جولدمان) فى غضب :

— ومن المحتمل أيضًا أنه لايزال على قيد الحياة .

ابتسم (آرينز) فى ثقة ، وهو يقول :

— مستحيل .. لقد تركناه بلا ذرة هواء واحدة ، وأمامه نصف دقيقة فقط قبل الانفجار ، واسطوانته مشتبكة فى حطام الباخرة ، فكيف تتصوره ينجو ، بعد كل هذا ؟

وأضاف رجل ثان فى سخرية :

— لا أحد يمكنه أن يسبح لسبعة أمتار ، تحت سطح الماء ، بصدر خال من الهواء .

لم يبد الاقتناع على وجه (جولدمان) ، ولكنه قال :

— فليكن .. موته أو حياته لا يعنيان شيئًا الآن ، بعد أن استعدنا وثائقنا .

ثم التفت إلى (فدوى) ، وجذب إبرة مسدسه ، وهو يصوّبه إليها ، قائلاً فى جذل وحشى عجيب :

— وكذلك موتك وحياتك يا عزيزتى .. هيا .. قولى وداعًا لهذا العالم القذر .

صرخت (فدوى) فى رعب :

— لا .. لا تفعل ..

ولكنه ضغط الزناد ..

بلا تردد ..

★ ★ ★

عندما صوَّب (جولدمان) مسدَّسه إلى (فدوى) ، وضغط الزناد ، كان شديد الثقة فى أنه مامن شىء فى الوجود يمكن أن يمنعه عن قتلها ..

ولكن من المؤكَّد أن رأيه هذا قد تغيَّر تمامًا ، بعد نصف دقيقة من هذا ..

بل بعد تسع عشرة ثانية ، على وجه الدقة ..

إنه لم يكد يضغط الزناد ، حتى انهار باب الكابينة فجأة ، تحت ضربة كتف قوية ، واندفع إلى داخلها آخر شخص ، يتصوَّر الجميع رؤيته .. (أدهم صبرى) ..

وانتفض (جولدمان) فى ذهول ، وتراجع فى حدة ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصة مسدسه ..

وهوى قلب (فدوى) بين ضلوعها ، عندما سمعت أزيز الرصاصة ، على قيد سنتيمترات من أذنها اليسرى ، ثم صوت ارتطامها بجدار الكابينة خلفها ، وارتدادها فى عنف ، لترتطم بأرض الحجرة ، وتنزلق فى صرير مزعج ..

ولم تصدِّق (فدوى) أنها نجت ..

بل لم تصدِّق أن (أدهم صبرى) قد نجا ، بعد كل ما سمعته من (جولدمان) ورجاله ، واتسعت عيناها فى ذهول وانبهار ، عندما رأته ينقضّ على رجال (جولدمان) الثلاثة ، فيسحق فك أحدهم بلكمة كالقنبلة ، ويغوص بقدمه فى معدة الثانى ، ثم ينحنى متفاديًا لكمة الثالث ، وينقضّ على أنفه بلكمة ساحقة ، ويلتقط مسدَّس أحدهم ، ويصوِّبه إلى (جولدمان) ، قبل أن يدير هذا الأخير فوهة المسدَّس إليه ..



... لم يكد يضغط الزناد ، حتى انهار باب الكابينة فجأة ، تحت ضربة كتف قوية ، واندفع إلى داخلها آخر شخص ، يتصوَّر الجميع رؤيته ..

وفي رعب هائل ، ألقى (جولدمان) مسدسه ، ورفع ذراعيه هاتفًا

— لا .. لا تطلق النار .. إنني أستسلم .

هتفت (فدوى) في سعادة :

— (أدهم) .. حمدًا لله .. أنت بخير .

ثم وقع بصرها على يده اليسرى ، التي تنزف منها الدماء ، وصاحت في جذع :

— ولكن يدك .. إنك ..

قاطعها صوت (أدهم) ، وهو يقول لـ (جولدمان) في صرامة

حل قيودها .

أسرع (جولدمان) إليها ، وهو يقول في ذعر :

— سأفعل .. سأفعل ما تأمرني به .. إننا لم نقصد قتلك .. أنت ضابط مخابرات مثلنا ، وتعلم طبيعة العمل ، و ..

قال (أدهم) في حزم :

— اصمت .

ابتلع (جولدمان) لسانه ، وراح يحلّ وثاق (فدوى) في سرعة ، في حين تطلّعت هي إلى (أدهم) في اهتمام :

كان شحوبه واضحًا ، على الرغم من تماسكه ، ووقفته الصلبة الثابتة

وكان من الواضح أنه قد فقد الكثير من الدماء ، من جرح يده ..

وتساءلت في حيرة عن كيفية نجاته ، بعدما سمعته من (آرينز)

وبسبب طبيعتها الصحفية ، انتقل السؤال من عقلها إلى لسانها على الفور

وهي تقول :

— كيف نجوت ؟

أجابها في هدوء :

— أطلقت اسطوانة الأكسوجين ، وسبحت أفقيًا ، مبتعدًا عن المركب في سرعة ، ثم دفعني الانفجار إلى الأمام عدة أمتار ، ساعدتني على الاقتراب من الشاطئ ، والصعود إلى السطح .

قال (جولدمان) في ذهول ، وهو يقول :

— وهل احتملت رئتاك كل هذا ؟

أجابه (أدهم) في خشونة :

— ليس هذا من شأنك .

ومن العجيب أن (جولدمان) قد ابتسم ، وهو يقول :

— بالتأكيد .. ليس هذا من شأني .

ولكن (فدوى) أدركت سر ابتسامته ، ووقع بصرها على رجل المخابرات ، الذي استعاد وعيه ، خلف ظهر (أدهم) ، ونهض في حرص ، وهو يمسك مسدسه ..

وصرخت (فدوى) :

— احترس يا (أدهم) .

وحاول (أدهم) أن يستدير في سرعة ..

ولكن الرصاصة دوت ، قبل أن يفعل ..

وأصابت الهدف .

* * *

٨ ـ ساحة القتال ..

على الرغم من الشهرة الواسعة ، التى يحوزها سير (مايكل أولبفر)
بصفته أكثر رجال المخابرات البريطانية برودًا وهدوءًا ، إلا أنه بدا
التوتر هذه المرة ، وهو يقول للرجل ، الذى يصوب إليه مدفعه الرشاش
ـ هل ستقتلوننا الآن ؟

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـ لا ياسير (مايكل) .. لن نفعل .. إننا لسنا خصمين كما تعلم
ولكن السيّد (جولدمان) رآك فى الفندق ، وأدرك أنك تسعى
خلف ماتسعى إليه ، وأنك ستتبعنا بالضرورة إلى هنا ، فطلب منا أن
من بلوغ المكان ، حتى ينتهى الأمر .

هدأت أعصاب سير (مايكل) ، وابتسم ابتسامة باهتة ، وهو
يغمغم :

ـ هذا أفضل .

ثم حاول اشعال غليونه بقداحته ، وهو يستطرد :

ـ إننا لسنا خصومًا بالفعل يا رجل ، فلولا (بريطانيا) ، لما كان لك
وطن قومى فى (فلسطين) .. أليس كذلك ؟

قال الرجل فى خشونة :

ـ لا توجد (فلسطين) الآن .

غمغم سير (مايكل) ، فى لهجة توحى باللامبالاة :

ـ حقًا ؟!

[illegible] مردفًا :

ـ القداحة هى أسخف وسيلة لإشعال غليون .. أعواد الثقاب هى
الأفضل [illegible] لذلك .. أليس كذلك يا عزيزى (آرثر) ؟

أجابه (آرثر) فى هدوء :

ـ بالتأكيد يا سيّدى .

أعاد سير (مايكل) قداحته إلى جيب صديريته ، ومدّ يده إلى جيبه ،
[illegible]

ـ [illegible] أسقط بعلبة أعواد ثقاب ، و ..

قبل أن يتم عبارته ، دوت الرصاصة ، من كابينة (أدهم) ، فالتفت
رجلا (الموساد) إلى الكابينة فى حركة واحدة ..

وهنا تحرك البريطانيان ..

فى نفس اللحظة ، دفع (آرثر) باب السيارة المجاور له ، فى وجه
[illegible] ، وأخرج سير (مايكل) من جيبه مسدسًا ، أطلق رصاصته على
رأس رجل (الموساد) الآخر ، عبر كاتم للصوت ..

وسقط رجل (الموساد) صريعًا ، فى حين صاح الآخر ، وهو ينهض فى
[illegible] :

ـ أيها الأوغاد .. أيها الـ ..

[illegible] رصاصة أخرى صامتة ، انطلقت من فوهة مسدّس (آرثر) ،
واستقرت فى رأسه ..

وهتف سير (مايكل) :

ـ أحسنت يا (آرثر) .. كنت أعلم أنك ستفهم ما أقصده ،

عندما ذكرت أمر أعواد الثقاب .

عاد (آرثر) إلى مقعد القيادة في سرعة ، وهو يقول :

— إننى تلميذك يا سير (مايكل) .

وأدار محرِّك سيارته ، وهو يهتف مستطردًا :

— المهم ألا يفوتنا السباق .

وانطلق نحو الكابينة ..

★ ★ ★

عندما دوى صوت الرصاصة داخل الكابينة ، تصوَّر (جولدمان [illegible]

رجله قد نجح في قتل (أدهم) ، ولكنه فوجيء بالرجل يطلق [illegible]

ودهشة ، وتتسع عيناه بشدة ، قبل أن تتفجَّر الدماء من ثقب في [illegible]

ويهوى جثة هامدة ..

وانتفض جسد (فدوى) ، عندما انطلقت رصاصة ثانية ، أطا[illegible]

بمسدس (أدهم) ..

ثم وقع بصر الجميع على المرأة الفارهة القوام ، ذات الشعر الأ[illegible]

النارى القصير ، التى تحمل مسدسًا كبيرًا ، من طراز (ماجنوم [illegible]

مازالت الأدخنة تتصاعد من فوهته ، وهى تبتسم ابتسامة واثقة ساخر[illegible]

وانعقد حاجبا (أدهم) في شدة ، وهو يتطلع إلى تلك الأفعى ، ا[illegible]

نجحت في انتزاع مسدسه برصاصتها ، والتقت نظراته بنظراتها الساخر[illegible]

في تحد واضح ، في حين هتف (جولدمان) ، وهو يتراجع في رعب [illegible]

— من أنت ؟.. ماذا تريدين منا ؟

لم تبس ذات الشعر الأحمر ببنت شفة ، وهى تتطلَّع إلى الجميع بنظر[illegible]

[illegible] ، وصوَّب إليهم مسدسها في حزم ، ثم ظهر من خلفها سير (ويلكوكس) ، في حلة بالغة الأناقة كعادته ، وهو يقول في هدوء :

— معذرة لتدخلنا المفاجيء أيها السادة .. أظنكم قد تعارفتم مع [illegible] ([illegible]) .. أليس كذلك ؟

هتفت (فدوى) في دهشة :

— من أنت ؟

أجابها صوت (أدهم) ، وهو يقول في لهجة جافة ، متطلعًا إلى (ويلكوكس) :

— إنه سير (جون ويلكوكس) ، رئيس نادى (لندن) للجولف ، و[illegible] لجمعية الهاربين القدامى في (بريطانيا) ، والزعيم السرى لمنظمة [illegible] الحرة .

فغرت (فدوى) فاها في ذهول ، أمام قول (أدهم) ، في حين ابتسم [illegible] (ويلكوكس) ، وهو يُشعل سيجاره الفاخر ، وينفث دخانه ، [illegible] :

— عظيم .. من الواضح أنك تعرفنى يا فتى ، وهذا يجعل الأمور أكثر [illegible] .

ثم أشار إلى الصندوق الأسود ، الملقى أرضًا ، واستطرد :

— أظن هذه هى خزانة الوثائق .. أليس كذلك ؟

وانحنى يحمل الصندوق ، متابعًا :

— معذرة لاضطرارى إلى الانصراف مبكرًا ، فلن يلبث المكان أن [illegible] برجال الشرطة اليونانية ، و ...

لم يستطع سير (ويلكوكس) إتمام عبارته ، فقد تحرَّكت قدم (أدهم) بغتة ، وركلت فكه فى حركة سريعة ، جعلته يهتف ساخطًا :

ـــ اللعنة ! .. (مارى) .

ولم يكد ينطق اسمها ، حتى أدارت (مارى) الدموية فوهة مسدَّسها نحو (أدهم) ..

وأطلقت النار ..

وفى هذه المرة أصابت الرصاصة (أدهم) ..

أصابته فى طرف ساعده ، وواصلت طريقها ، بعد أن تـركت فى الساعد جرحًا طويلاً ، تفجرَّت منه الدماء على الفور ..

وفى اللحظة نفسها هوى (ويلكوكس) بالصندوق الثقيل على فك (أدهم) ..

وتراجع (أدهم) من عنف الضربة ..

عوامل شتى ، اجتمعت كلها ، لتضرب رأسه فى وقت واحد ..

جرح يده ..

الرصاصة التى أصابت ساعده ..

المجهود العنيف ، الذى يبذله بشكل متواصل ، منذ مايقرب مـن ساعة ..

الدماء التى فقدها ..

ثم الضربة العنيفة ، التى أصاب بها الصندوق وجهه ..

كل هذا جعل سقوط البطل أمرًا طبيعيًا ..

فسقط ..

وصرخت (فدوى) فى لوعة ، عندما شاهدت (أدهم) يسقط فاقد الوعى ، بين أعدائه ، فرفعت إليها (مارى) مسدَّسها فى حركة حادة ، وكادت سبَّابتها تعتصر الزناد ، لولا أن أوقفها سير (ويلكـوكس) فى صرامة ، قائلاً :

ـــ لا .. لست أحب قتل النساء .

تطلَّعت إليه (مارى) فى استخفاف ، فأضاف :

ـــ هذا أمر .

مطَّت شفتيها فى ازدراء ، وهى ترمق (فدوى) بنظرة نارية ، ثم أدارت فوهة مسدَّسها نحو رأس (أدهم) الفاقد الوعى ، وهى تقول فى سخرية :

ـــ وماذا عن فاقدى الوعى ؟

عقد (ويلكوكس) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ إننى أكره قتلهم فى المعتاد ، ولكن هذا ضابط مخابرات ، وهذا استثناء .. نعم .. يمكنك قتله .

شهقت (فدوى) فى ذعر ، فى حين ارتسمت على شفتى (مارى) ابتسامة شرسة ، وهى تقول :

ـــ أشكرك .

وجذبت إبرة مسدسها فى جذل ..

وفجأة توقَّفت سيارة سير (مايكل) فى صوت عنيف ، وقفز منها (آرثر) ، حاملاً مسدَّسه ..

ومن المؤكد أن هذا قد أنقذ حياة (أدهم) ، فلقد استدارت

(مارى) فى سرعة إلى حيث سيارة (مايكل) ، عبر الباب المفتوح ، وأطلقت رصاصتها فى اتجاهها ..

وقفز (آرثر) خلف السيارة ، وهو يهتف :

ـــ اختبىء يا سير (مايكل) .

انحنى سير (مايكل) ، محاولاً تفادى الرصاصات ، فى حين راح (آرثر) يتبادل إطلاق النيران مع (مارى) ، وحمل (ويلكوكس) الصندوق الأسود ، وهو يهتف بـ (مارى) :

ـــ سأدير محرّك السيارة .. تخلّصى من هؤلاء الأوغاد ، والحقى بى على الفور .

اندفع نحو النافذة الخلفية للكابينة ، وقفز عبرها إلى الخارج ، وانطلق يعدو نحو سيارته ، فى حين التصق (جولدمان) بالحائط فى رعب ، وتجمدّت (فدوى) فى مكانها ، وواصلت (مارى) إطلاق النار نحو السيارة ، وهى تغمغم فى سخرية :

ـــ لن يمكنكم هزيمة (مارى) أبدًا .

ومع طلقات رصاصاتها التالية ، انفجرت إطارات سيارة سير (مايكل) ، وتدفّق الوقود من خزانها المثقوب ، فهتف (آرثر) فى حنق :

ـــ أيتها اللعينة !

وامتزج هتافه بضحكة ساخرة عالية ، انطلقت من بين شفتى (مارى) ، وهى تتراجع فى رشاقة ، ثم تعدو نحو النافذة ، وتعبرها بقفزة مرنة أنيقة ، ثم تقفز داخل سيارة سير (ويلكوكس) ، الذى انطلق

بالسيارة على الفور ..

وانطلق (آرثر) يعدو خلف سيارة (ويلكوكس) ، ويطلق نحوها رصاصاته ، ولكن الرصاصات ارتطمت كلها بجسد السيارة المصفّح ، وارتدّت عنه فى عنف ، مع ضحكات (مارى) العالية الساخرة ، فهتف (آرثر) فى سخط غاضب :

ـــ اللعنة !

وسمع من خلفه صوت سير (مايكل) ، يقول :

ـــ اسرع يا فتى .. سنحاول اللحاق بهم .

التفت ليجد سير (مايكل) مستقلاً السيارة الصغيرة ، التى وصل بها (أدهم) إلى الكابينة ، فأسرع عائدًا إليه ، وقفز داخل السيارة ، قائلاً فى حماس :

ـــ سنلحق بهم حتمًا .

وانطلق بالسيارة ..

ولم تكد السيارة تبتعد ، حتى انتفض (جولدمان) ، كمن يفيق من سبات عميق ، واندفع نحو رجليه الباقين على قيد الحياة ، وراح يهتف بهما :

ـــ استيقظ يا (آرينز) .. استيقظ يا (مورشى) .

أما (فدوى) ، فقد ألقت نفسها على (أدهم) ، هاتفة :

ـــ (أدهم) .. ماذا أصابك ؟ .. يا إلٰهى !! انقذه يا إلٰهى .. لا تدعه يموت ..

كان قد فقد الكثير من دمه بالفعل ، وتعرّض لأهوال يشيب لها الولدان ، فغرق فى غيبوبة عميقة ..

وفجأة اقترب صوت بوق سيارة شرطة من المكان ، فهبّ (جولدمان) واقفًا ، وتلفّت حوله كفأر حبيس ، ثم انطلق يعدو خارج الكابينة ، وغاب وسط الظلام المحيط بالمكان ..

ووصلت سيارة الشرطة ..

ولم تكد (فدوى) تلمح أول رجل شرطة يونانى ، حتى صرخت :

ـــ استدع سيارة إسعاف .. أسرع بالله عليك .. أسرع .

لم يفهم الضابط كلمة واحدة من عبارتها العربية ، ولكن المشهد أمامه كان أوضح من أى حديث ؛ لذا فقد التفت إلى زميله ، قائلاً :

ـــ استدع سيارة إسعاف .

ثم انتزع مسدسه ، وصوّبه إلى (فدوى) ..

* * *

سرى توتر عنيف فى جسد (نوفا) ، وهى تجلس إلى جوار (شيلنكو) ، الذى ينطلق بالسيارة فى محاذاة الشاطىء بأقصى سرعة ، وهتفت به فى عصبية :

ـــ أسرع يا (شيلنكو) .. أسرع .

قال فى حدة :

ـــ السيارة تنطلق بأقصى سرعتها ، أيها الرفيق (نوفا) .

هتفت فى غضب :

ـــ لماذا لم تذهب مع (زاج) ؟

قال وهو يبذل أقصى جهده ، للسيطرة على أعصابه :

ـــ كانت فكرتك أنت .

عضت شفتيها فى غيظ وندم ، دون أن تنبس ببنت شفة ، ثم غمر وجهها ضوء ساطع ، فهتفت مفرغة غضبها :

ـــ من هذا الغبى ، الذى يقود سيارته فى اتجاه معاكس لسير الطريق ؟

مرقت من جانبها ، فى اللحظة التالية ، سيارة أنيقة فاخرة ، ووقع بصرها على شعر (مارى) الأحمر داخلها ، فهتفت :

ـــ اللعنة ! .. ما الذى يدعو هذه السيارة إلى ..؟

تذكّرت فجأة صاحبة الشعر الأحمر ، فبترت عبارتها ، لتصرخ :

ـــ إنها (مارى) .. (مارى) الدموية .

وصرخت فى (شيلنكو) :

ـــ استدر يا رجل .. الحق بهم بسرعة .

صاح بها ، وهو يدير السيارة فى عنف ، وبسرعة كادت تقلبها رأسًا على عقب :

ـــ لماذا ؟

هتفت محنقة :

ـــ هذه السيارة ، التى تنطلق عكس الطريق ، تحوى داخلها (مارى) الدموية ، الذراع اليمنى لسير (ويلكوكس) ، وهذا يعنى أنه سبقنا كالمعتاد ، وحصل على ما نسعى خلفه .. حاول أن تلحق به يا (شيلنكو) ، وإلا خسرنا كل شىء .

تمنى (شيلنكو) لحظتها لو أنه يقود سيارة سباق قوية ، فقد كانت المسافة التى تفصله عن سيارة سير (ويلكوكس) كبيرة ، وتتسع

باستمرار ، بفضل فارق القوة بين محركى السيارتين ..

ثم ظهرت تلك الهليوكوبتر فى السماء ، وصاحت (نوفا) :

ـ لو أن هذه الهليوكوبتر تخص سير (ويلكوكس) ، فسيعنى هذا أن ..

لم تكمل عبارتها ..

ولم تكن بحاجة إلى إكمالها ..

لقد فهم (شيلنكو) ..

وأدرك أنها على حق ..

لقد اتجهت الهليوكوبتر فى سرعة إلى سيارة سير (ويلكوكس) ، التى خفضت من سرعتها تدريجيًا ، حتى توقفت ، وقفز منها (ويلكوكس) و(مارى) ، فى حين انخفضت الهليوكوبتر ، حتى كادت تلامس الأرض ، واندفع الاثنان نحوها ، فصرخت (نوفا) ، وهى تخرج نصفها العلوى من نافذة السيارة ، وتصوّب مسدسها إليهما :

ـ أسرع يا (شيلنكو) .. أسرع عليك اللعنة .

انطلقت رصاصات مسدسها تشق الهواء ، ولكنها لم تمسّ شعرة واحدة من (ويلكوكس) و (مارى) ، اللذين استقرا داخل الهليوكوبتر ، التى عادت ترتفع بهما عاليًا ..

وشقت ضحكة (مارى) الساخرة المكان ، فى حين راح سير (ويلكوكس) يلوّح بيده إلى (نوفا) ، بعد أن أوقف (شيلنكو) السيارة ، وقفزت منها (نوفا) ، وراحت تلاحق الهليوكوبتر المبتعدة برصاصاتها ..

ولكن الهليوكوبتر واصلت ابتعادها ، حتى تلاشى صوت محركها وسط الظلام وسكون الليل ..

وصرخت (نوفا) فى مزيج من الغضب والغيظ ، والمرارة ، واليأس ..

ـ أيها الأوغاد !!

ولكن صرختها لم تلبث أن تلاشت بدورها ، وسط السكون والظلام ..

لقد انتهت الحرب ..

وأعلن القدر اسم الفائز فى المعركة ..

لقد ربح سير (ويلكوكس) اللعبة كلها ..

والصندوق ..

الصندوق الأسود .

* * *

٩ ـ الهزيمة ..

فجأة استيقظ (أدهم) ..

فجأة استعاد وعيه ، وشعوره بما حوله ..

لم يدر كم بقى فاقد الوعى ، ولكنه شعر باسترخاء شديد ، جعله يبقى عينيه مغلقتين ، وهو يسمع صوتًا ، بدا وكأنه يأتى من أعماق سحيقة ، يقول باليونانية :

ـ أظنه قد استعاد وعيه ، فلقد ارتفع نشاط رسام الموجات الكهربى دفعة واحدة .

ثم أعقبه صوت أنثوى مألوف ، يقول :

ـ حمدًا لله .

فتح عينيه فى بطء ، ووقع بصره على (فدوى) ، التى اغرورقت عيناها بالدموع ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة فرحة حنون ، وهى تمسك كفه ، قائلة ..

ـ حمدًا لله يا (أدهم) .. لقد نجوت .

بدت الأمور فى ذهنه مهتزة مشوّهة ، فغمغم باليونانية :

ـ نجوت ؟!

اندفع إلى أذنيه صوت خشن غليظ ، يقول :

ـ ربما كانت نجاتك من سوء حظك .

أدار عينيه إلى مصدر الصوت ، ورأى عند نهاية السرير رجلًا ضخم الجثة ، أصلع الرأس تمامًا ، ينطلق تحت أنفه شارب كث ضخم ، تعارض

بصورة مضحكة مع رأسه اللامع ، وهو يعقد حاجبيه الغزيرى الشعر ، قائلًا فى صرامة :

ـ ألديك تفسير لما حدث ؟

بدأ (أدهم) يستعيد ذاكرته تدريجيًا ، وهو يتطلّع إلى الرجل ، فى حين همست (فدوى) فى توتر :

ـ إنه مفتش شرطة يونانى ، وهو ينتظر استعادتك وعيك لاستجوابك ، منذ خمس ساعات .

سألها فى هدوء ، دون أن يرفع عينيه عن المفتش اليونانى :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟

أجابته فى توتر :

ـ لقد فقدت الكثير من دمك ، ونجح ذلك الوسيم ، الأشيب الفودين ، فى الفرار ، مع زميلته الشرسة ، ذات الشعر الأحمر ، و ..

قاطعها فى توتر :

ـ هل أخذا الصندوق معهما ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ نعم .

ثم سألته فى فضول :

ـ ما الذى يحويه ذلك الصندوق الأسود ؟

ارتفع صوت المفتش اليونانى ، يقول فى غلظة غاضبة :

ـ كفى .. لن أسمح لكما بالتحدث معًا ، إلا لو تحدثتما باليونانية .

قال (أدهم) فى صوت هادىء :

— زميلتى لا تجيد اليونانية .

زمجر المفتش ، وقال فى صرامة :

— وأنا لا أجيد لغتكما ، ولن أبقى هنا طوال اليوم .

قال (أدهم) فى برود :

— لا داعى لبقائك .. يمكنك أن تنصرف .

قال المفتش فى حدة :

— ليس قبل أن أحصل على أجوبة شافية .

ثم لوّح بذراعه ، مستطردًا فى عصبية :

— لقد كانت الليلة الماضية حافلة للغاية يا رجل .. انفجر شىء ما تحت الماء ، وسمع الصيادون صوت طلقات نارية ، ثم اقتحمت مجالنا الجوى هليوكوبتر مجهولة ، ونجحت فى الفرار .. وبعد كل هذا عثر عليك رجالنا فاقد الوعى ، داخل كابينة صغيرة ، مرتديًا ثياب الغوص ، وإلى جوارك ثلاثة رجال ، يرتدون ثياب الغوص أيضًا ، أحدهم قتلته رصاصة فى جمجمته .. وكانت تقف خارج الكابينة سيارة أخرى ، تحوّلت إلى مصفاة ، من كثرة ما أصاب جسمها من رصاصات ، فما الذى يعنيه كل هذا ؟

هزّ كتفيه ، وقال فى برود :

— كنت أتوقع أن تخبرنى أنت بتفسير كل هذا ، فأنا أهوى الغوص فى الليل ، ولهذا استأجرت مع رفيقتى تلك الكابينة على الشاطئ ، ولم أكد أسبح قليلًا تحت الماء ، حتى حدث هذا الانفجار ، وفوجئت بهؤلاء المجرمين يهاجموننى ، ويجبروننى على الخروج إلى الشاطئ ، ثم حاولوا قتلى

مع رفيقتى ، ولست أدرى ماذا حدث بعدها .

تطلّع إليه المفتش فى شك واضح ، قبل أن يقول :

— ولماذا يفعلون هذا ؟

قال (أدهم) فى خشونة :

— ومن أدرانى ؟ .. إنها مهمة الشرطة .

هتف به المفتش بغتة :

— والشرطة تتهمك بالتورّط فيما حدث .

ثم أشار إلى الباب ، مستطردًا فى غضب :

— وهذا يعنى أنه من المحظور عليك مغادرة هذا المكان ، الذى سأترك أمامه اثنين من رجالى لحراستك ، حتى يسمح لك الأطباء بالمغادرة ، ويتم استجوابك بشأن ما حدث أمس .. هل تفهم ؟

لم يجب (أدهم) بحرف واحد ، وإن امتلأت عيناه بنظرة صارمة متحدية ، فاندفع المفتش يغادر الحجرة فى عنف ، ويصفق بابها خلفه فى قوة ، فهزّ الطبيب كتفيه فى حرج ، وتبعه فى خطوات سريعة ، ولم يكد يغلق الباب خلفه ، حتى نهض (أدهم) من فراشه ، وسأل (فدوى) :

— أين وضعوا ثيابى ؟

قالت فى دهشة :

— فى ذلك الدولاب هناك .. ولكن ماذا تفعل ؟ .. لقد أكّد الأطباء ضرورة بقائك هنا ، حتى تستعيد قواك .

التقط ثيابه فى حزم ، وهو يقول :

— فليذهب الأطباء إلى الجحيم .. لقد فقدنا وقتًا ثمينًا ، ولست

مستعدًا للتخلّى عن الصندوق بهذه البساطة .

ثم توقّف ، وأضاف بلهجة آمرة :

ـــ أديرى وجهك .. سأرتدى ثيابى .

أشاحت بوجهها فى خجل ، وهى تقول :

ـــ ما الذى يحويه هذا الصندوق ، مما يستحق من الجميع القتال بهذه الشراسة ؟

أجابها وهو يرتدى ثيابه فى سرعة :

ـــ لا يمكننى إخبارك ، ولكن يكفى أن تعلمى أن ضياع ذلك الصندوق يهدّد أمن (مصر) كله .

هتفت مشدوهة :

ـــ ياإلهى !

ثم سألت فى توتر :

ـــ ولكن ماذا يمكنك أن تفعل الآن ؟ .. لقد سرقوا الصندوق بالفعل ، وغادروا (اليونان) كلها .

ارتدى حذاءه ، وهو يقول :

ـــ من حسن حظنا أن سير (ويلكوكس) هو الذى فاز به ، فهو لا ينتمى إلى مخابرات دولة بالذات ، بل يتزعّم منظمة خاصة للتجسس ، وكل ماسيفعله بالصندوق هو أن يحاول بيعه ، لمن يدفع أعلى ثمن .

هتفت :

ـــ لماذا القتال إذن ؟ .. لا ريب أن المسئولين فى (مصر) لن يعترضوا على شرائه بأى ثمن ، مادام خطيرًا إلى هذا الحد .

أجابها وهو يتجه إليها :

ـــ لأن الآخرين لن يكتفوا بالمساومة ، وسيقاتلون للحصول عليه بدورهم .

ثم أمسك كتفيها ، وأدار وجهها إليه ، وقال فى حزم صارم :

ـــ اسمعينى جيدًا .. بعد أن نخرج من هنا بإذن الله ، أريد أن تتجهى مباشرة إلى المطار ، ثم تستقلّى أوّل طائرة إلى (القاهرة) .

سألته فى اهتمام :

ـــ وماذا عنك ؟

قال فى غضب :

ـــ لا شأن لك بى ، ستطيعين ماآمرك به فحسب .

هتفت فى عناد :

ـــ لا يارجل المخابرات ، لست تملك حق توجيه الأوامر لى .

تراجع ملوّحًا بيده ، قائلًا :

ـــ إذهبى إلى الجحيم إذن .

قالت فى حدة :

ـــ لا شأن لك بهذا أيضًا .

أشاح بوجهه عنها فى غضب ، وقال وهو يتجه إلى الدولاب :

ـــ هل أحضروا حقيبتى الصغيرة ؟

أجابته فى سرعة :

ـــ نعم .. لقد أقنعت ذلك المفتش الأصلع ، أنها حقيبة أدوات الزينة الخاصة بى ، فسمح لى بالاحتفاظ بها .

توقّف ، والتفت إليها فى حدة ، قائلًا :
ـــ وما أدراك أنها تحوى مساحيق تجميل ؟
ارتبكت وهى تجيب :
ـــ لقد فتحها أمامى .
كان من الواضح أنها تكذب ، ولكنه لم يصارحها بهذا ، وإنما قال :
ـــ وأين هى ؟
مدّت يدها أسفل الفراش ، والتقطت الحقيبة ، وناولته إياها قائلة :
ـــ هاهى ذى .
تناول الحقيبة منها ، وفتحها ليفحص محتوياتها فى اهتمام ، ثم تنهدّ قائلًا :
ـــ حمدًا لله .. إنها سليمة .
سألته فى فضول :
ـــ ما هذه المساحيق ؟
أغلق الحقيبة ، وهو يقول فى صرامة :
ـــ ليس هذا من شأنك .
ثم أشار إلى الباب ، قائلًا :
ـــ أخبرى الحارسين أننى أمرّ بنوبة عصبية حادة .
تطلّعت إليه فى قلق ، وسألته :
ـــ ماذا تنوى أن تفعل ؟
قال فى لهجة آمرة :
ـــ نفذى ما آمرك به فحسب .
ظلت تنظر إليه لحظات فى صمت ، ثم نهضت من مقعدها ، واتجهت إلى الباب ، ففتحته وقالت للحارسين فى الخارج بالانجليزية :
ـــ لست أدرى ماذا أصاب رفيقى .. يبدو أنها نوبة عصبية .

مطّ أحد الحارسين شفتيه ، وقال :
ـــ وماذا يمكننا أن نفعل له ؟ .. الأفضل أن تخبرى الطبيب .
ارتبكت وهى تقول :
ـــ الطبيب ؟! .. وأين أجده ؟
قال الحارس الآخر فى سخرية :
ـــ فى حجرته بالطبع .
لم تدر ماذا تفعل ، إزاء رفضهما ، فارتبكت ، وهى تغمغم :
ـــ آه .. بالطبع .
ثم تراجعت ، وأغلقت الباب خلفها ، والتفتت إلى الداخل تقول :
ـــ لم يتحرّك أحدهما ، ولم ..
بترت عبارتها بغتة ، وهى تحدّق فى الحجرة الخالية ، ثم انعقد حاجباها فى غضب ، وهى تندفع نحو النافذة المفتوحة ، وأطلّت منها إلى الافريز الضيق ، الذى يمتد بطول المستشفى ، وهتفت فى حنق :
ـــ يا للوغد !! .. لقد خدعنى .
وعلى بعد أمتار منها ، كان (أدهم) قد بلغ حديقة المستشفى الخلفية ، ووقف يهندم ثيابه فى هدوء ، ثم حمل حقيبته ، واتجه فى خطوات رصينة إلى بوّابة المستشفى ، وكأنه زائر منصرف ، أو أحد أطباء المستشفى ، وقد انتهت نوبة عمله ..
وفجأة ، وعندما أصبح على قيد خطوات من البوّابة ، ارتفع من خلفه صوت المفتش اليونانى ، وهو يصرخ :
ـــ أوقفوا هذا الرجل .. ألقوا القبض عليه .
وتفجرّ الموقف كله دفعة واحدة .

★ ★ ★



وفجأة ، وعندما أصبح على قيد خطوات من البوابة ، ارتفع من خلفه صوت المفتش اليونانى ..

١٠ ــ الفــرار ..

بدا سير (جون ويلكوكس) شديد التأنق هذا الصباح ، وهو يقف فى ملعب الجولف بوسامته الواضحة ، وفوديه اللذين وخطهما الشيب ، ممسكًا مضرب الجولف فى أناقة ، محاولًا ضرب الكرة الصغيرة بقبضته ، ودفعها نحو حفرة بعيدة ، يرتفع منها علم صغير ..

أما (مارى) ، التى تجلس فى سيارة الجولف الصغيرة ، على مقربة من الملعب ، فقد بدت أشبه بشعلة من اللهب ، بشعرها الأحمر ، وثوبها القرمزى القصير ، وطلاء شفتيها الأحمر المتألق ، وحذاء طويل ، يلتمع بضوء أحمر ، تحت أشعة الشمس ..

وفى ثقة وهدوء ، ضرب سير (ويلكوكس) الكرة بمضربه ، فقفزت فى الهواء ، وابتعدت عدة أمتار ، ثم سقطت على الحشائش القصيرة ، وانزلقت نصف المتر ، قبل أن تسقط مستقرة فى الحفرة ، فصفق المشاهدون فى استحسان ، ورفع هو رأسه فى زهو ، قائلًا :

ــ إصابة ناجحة .

ابتسمت (مارى) ، وهى تنفث سيجارتها ، قائلة :

ــ كالمعتاد .

التفت إليها مبتسمًا ، وهو يقول :

ــ أشكرك يا عزيزتى .

ثم ضاقت حدقتاه ، وهو يتطلّع إلى نقطة ماخلف ظهرها ، مستطردًا :

ــ يبدو أن لدينا زائرين .

التفتت إلى حيث ينظر ، ورأت سير (مايكل) و (آرثر) يقطعان الملعب الواسع في خطوات سريعة ، متجهين نحوهما ، فابتسمت في سخرية ، قائلة :

— زائران سخيفان .

بلغهما (مايكل) و (آرثر) ، وقال الأول لسير (ويلكوكس) في صرامة :

— سير (جون ويلكوكس) .. إنني ألقي القبض عليك .

رفع (ويلكوكس) مضرب الجولف فوق كتفه ، وابتسم في سخرية ، وهو يقول :

— حقًا ؟! .. وبأية تهمة يا ترى ؟

أجابه (آرثر) في حدة :

— بتهمة مهاجمتنا وإطلاق النار علينا في (أثينا) ، وسرقة أشياء لا تخصك .

قال سير (ويلكوكس) في سخرية :

— يا إلهي ! .. يبدو أنني أكثر خطورة من (جيمس بوند) نفسه .

ثم أضاف في هدوء عجيب :

— ولكن لسوء حظكما أننا في بلد ديموقراطي يا صديقيّ ، وللقانون هنا قوة لا يستهان بها ، حتى أن الملكة نفسها لا يمكنها انتزاع شعرة واحدة ، من رأس أحقر خادم في قصرها ، لو أن القانون لا يمنحها هذا الحق .

قال (آرثر) في حدة :

— وما الذي يعنيه هذا ؟

استعاد سير (ويلكوكس) ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

— يعني ببساطة أنه من الضروري أن تثبت كل كلمة نطقت بها ، وكل اتهام وجهته إليّ يا فتى ، وإلا فلن يمكنك احتجازي للحظة واحدة ، في حين يمكنني أنا مقاضاتك بتهمة التشهير .

كاد (آرثر) ينفجر فيه غاضبًا ثائرًا ، ولكن سير (مايكل) استوقفه بإشارة من يده ، وهو يسأل (ويلكوكس) في هدوء :

— ما الأدلة التي لفقتها ، لتنفي الاتهام عنك يا سير (ويلكوكس) ؟

أجابه (ويلكوكس) في بساطة :

— وما حاجتي إلى تلفيق الأدلّة ؟ .. إنك لن تجد شركة طيران واحدة ، منحتني تذكرة سفر إلى (أثينا) ، ثم أن نصف أصدقائي سيؤكدون أنني أقمت لهم حفلًا في قصري مساء أمس ، وشاركتهم كل دقيقة فيه ، أنا وصديقتي (ماري) ، من العاشرة مساءً ، وحتى الثالثة بعد منتصف الليل .

قال (مايكل) في برود :

— تقصد نصف رجالك .

هزّ (ويلكوكس) كتفيه ، وقال :

— وما الفارق ؟

هتف (آرثر) في غضب :

— أيها الحقير .

ولكن (مايكل) منعه من الاستطراد مرة أخرى ، وقال :

— حسنًا يا سير (ويلكوكس) .. لقد أجدت اللعبة هذه المرة

أيضًا ، ولكن ما رأيك لو حوّلنا الأمر إلى التفاوض ؟

قال (ويلكوكس) فى استهتار :

ــ التفاوض بشأن ماذا ؟

قال (مايكل) :

ــ بشأن الوثائق ، التى يحتويها الصندوق .

مضت لحظة من الصمت ، وكلاهما يتطلّع إلى الآخر بنظرة فاحصة ، قبل أن يبتسم (ويلكوكس) ، ويقول فى هدوء :

ــ لست أدرى عمّ تتحدّث يا عزيزى (مايكل) ، ولكن لو أننى أمتلك صندوقًا ، يحوى داخله وثائق ، لها كل هذه الأهمية ، فلن أفكّر فى التفاوض بشأن هذه الوثائق ، قبل أن أفتح الصندوق ، وأطالع الوثائق .

قال سير (مايكل) فى حزم :

ــ سندفع مليون جنيه ، مقابل الصندوق بمحتوياته ، دون فتحه .

رفع (ويلكوكس) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وقال :

ــ مليون جنيه ؟! .. هل محتوياته تافهة إلى هذا الحد ؟

قال (مايكل) فى صرامة :

ــ ما رأيك فى مليونين ؟

ارتسمت على شفتى (ويلكوكس) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ــ وداعًا يا سير (مايكل) .

ثم استدار تأهبًا للابتعاد ، فقال (مايكل) :

ــ ثلاثة ملايين .

التفت إليه (ويلكوكس) ، وتطلّع إليه لحظة فى صمت ، ثم قال فجأة :

ــ سأقيم فى قصرى حفلًا صغيرًا مساء بعد الغد يا عزيزى (مايكل) .. ما رأيك فى مشاركتنا إياه ؟

تطلّع إليه (مايكل) بنظرة عميقة ، وكأنما يحاول سبر غوره ، ثم قال :

ــ لا بأس .. إننى أقبل دعوتك .. متى أحضر إليك ؟

أجابه (ويلكوكس) فى هدوء :

ــ فى تمام السابعة .

ثم استدار منصرفًا ، وهو يضيف :

ــ سأنتظرك .

عقد (آرثر) حاجبيه فى غضب ، وهو يتابع سير (ويلكوكس)

ــ الذى اتجه فى هدوء نحو السيارة ، التى تجلس داخلها (مارى) ، وقال (آرثر) فى حدة :

ــ يا للوغد ! .. كم تمنيت أن أطلق النار عليه ، وأرى جمجمته تنفجر أمامى .

قال سير (مايكل) ، وهو يشعل غليونه :

ــ لن أعترض على هذا ، لو فعلته بعد السابعة مساء بعد الغد .

سأله (آرثر) فى حدة :

ــ وما الذى سيحدث فى ذلك الموعد ؟

التفت إليه سير (مايكل) ، وقال :

ــ ألم تفهم ؟ .. إنه موعد حصولنا على الوثائق .

وفى نفس اللحظة ، كان (ويلكوكس) قد بلغ (مارى) ، وقال لها فى حسم :

— يبدو أن ذلك الصندوق يحوى وثائق بالغة الخطورة بالفعل يا عزيزتى (مارى) .. لقد عرض صديقنا (مايكل) ثلاثة ملايين من أجله ، وتطلع لحظة إلى (مايكل) و (آرثر) ، اللذين يتعدان فى خطوات سريعة ، ثم أضاف :

— لابد من فتح ذلك الصندوق اللعين يا (مارى) .. لابد .

أجابته فى هدوء :

— سنفعل .

ثم ابتسمت مستطردة فى زهو :

— وسنربح كالمعتاد ..

★ ★ ★

لم تكد صرخة المفتش اليونانى تنطلق ، فى ساحة المستشفى ، حتى تحوّل (أدهم صبرى) بغتة إلى كتلة من اللهب ، تموج بالنشاط والحيوية ، حتى بات من المستحيل أن يصدّق مخلوق واحد ، أنه كان يعانى أعراض نقص شديد ، فى حجم الدم ، فى الساعات القليلة الماضية ..

لقد اندفع فجأة كالصاروخ ، نحو بوّابة المستشفى ، وحاول حارساها منعه ، ولكن أسنان أحدهما تهشمت بلكمة كالقنبلة ، فى حين خيّل للآخر أن هذه القنبلة قد تركت فك زميله ، وانفجرت فى معدته ، فانثنى يطلق صرخة ألم ، فى الوقت الذى انتزع فيه المفتش اليونانى مسدسه ، وانطلق يعدو خلف (أدهم) ، صارخًا :

— أوقفوه .

ولكن (أدهم) قفز داخل سيارة إسعاف صغيرة ، وألقى حقيبته إلى جواره ، ثم أدار المحرّك ، وأطلق للسيارة العنان ، والمفتش يطلق النار خلفه ، صارخًا :

— لا تدعوه يفلت .. لا تدعوه يفلت .

ثم تفجّر الغيظ من كل خلية من خلاياه ، عندما انحرف (أدهم) بالسيارة فى منحنى قريب ، واختفى من أمام عينيه ، وصرخ فى غضب :

— أبلغوا سياراتنا .. كل سياراتنا .. اطلبوا منهم اعتراض سيارة الإسعاف هذه ، واعتقال ذلك الشيطان .

أسرع أحد رجاله يبلغ الأمر لاسلكيًا ، لكل سيارات الشرطة حول المنطقة ، فى حين أعاد المفتش مسدسه إلى جرابه ، وهو يغمغم فى سخط :

— ماذا يحدث هنا ؟ .. هل أصبحت (أثينا) حيًا من أحياء (شيكاغو) ؟

كان الهرج قد ساد المستشفى ، بعد إطلاق النيران ، وانهمك الأطباء والمسئولون ، وعدد من رجال الشرطة ، فى محاولة إعادة النظام ، ولكن المفتش اليونانى بقى إلى جوار اللاسلكى ، فى انتظار تقارير رجاله ، حتى أتى صوت أحدهم ، عبر اللاسلكى ، يقول :

— لقد عثرنا على السيارة .

انقضّ المفتش على مسماع جهاز اللاسلكى ، وقال فى لهفة :

— وهل ألقيتم القبض على الرجل ؟

مرّت لحظة من الصمت ، قبل أن يجيب الرجل :

— لقد وجدنا السيارة خالية ، ولا يوجد أدنى أثر للرجل .

صرخ المفتش فى ثورة :

— ما الذى يعنيه هذا ؟ .. هل فقدنا أثره بهذه البساطة ؟

أجابه الرجل :

— سنمشط المنطقة بحثا عنه يا سيِّدى .. أعدك أن نفعل .. لن نترك له ثقب إبرة يختبىء فيه .

صاح المفتش غاضبًا :

— من الأفضل أن تعثروا عليه ، وإلا فستكون العاقبة وخيمة .. هل تفهم ؟

أجابه الرجل فى لهجة رسمية :

— أفهم يا سيِّدى .

أنهى المفتش الاتصال فى حدة ، ثم التفت إلى أحد رجاله ، وصاح به فى عصبية :

— ما الذى تفعله هنا ؟

ارتبك الرجل ، وهو يقول :

— أتابع الموقف يا سيِّدى .

صاح به فى ثورة :

— وما شأنك أنت بالموقف ؟ .. مهمتك تنحصر فى حراسة الحجرة .

ارتبك الرجل أكثر ، وهو يغمغم :

— ولكن الرجل هرب يا سيِّدى ، و ...

قاطعه المفتش فى حدة :

— وماذا عن الفتاة ؟

اتسعت عينا الرجل فى ذعر ، وهو يهتف :

— الفتاة ؟! .. هل كان المفروض أن ..

صرخ المفتش :

— المفروض ماذا ؟! .. هل تركت الفتاة تنصرف ؟

قلب الرجل كفيه فى حيرة ، وقال :

— ولكنك لم تأمرنا بحراستها يا سيِّدى .

بلغت ثورة المفتش ذروتها ، وهو يصرخ :

— ماذا أنتم بحق السماء ؟! .. مجموعة من الشرطة المدرسية .. اغرب عن وجهى .. ابتعد قبل أن أطلق النار عليك .

أسرع الرجل يبتعد ، فى حين واصل المفتش صراخه :

— أريد الرجل والفتاة .. أريدهما بأى ثمن .

ولكن صرخته ضاعت وسط الهرج ..

وتلاشت فى سرعة ..

★ ★ ★

عندما بلغ (أدهم صبرى) مطار (أثينا) ، بعد ساعة واحدة من هذه الأحداث ، كانت هيئته قد تبدّلت تبدلًا كبيرًا ، على الرغم من بساطة تنكره ، فكل مافعله هو أن ابتاع حلة جديدة ، وصبغ شعره بلون كستنائى فاتح ، وأضاف إلى وجهه لحية من اللون نفسه ، وإلى عينيه عدستين ملوَّنتين ، لهما لون أخضر داكن ..

والعجيب أنه كان يحمل جواز سفر ، يحوى صورته فى هذه الهيئة ، وتأشيرة دخول إلى الأراضى اليونانية .. بل خاتم المرور من المنطقة الجمركية ..

ولقد ألقى ضابط الجوازات فى المطار نظرة سريعة على جواز سفر

(أدهم) ، الذى يحمل اسم (هنرى لويد) ، وقال فى بساطة :

ـ هل استمتعت بإقامتك هنا يا مستر (لويد) ؟

أجابه (أدهم) بانجليزية سليمة ، لايرقى إليها الشك :

ـ جدًا أيها الضابط .. فبلادكم جميلة ، تحوى عشرات الآثار والأماكن المبهجة .

ابتسم الضابط ابتسامة روتينية ، وهو يقول :

ـ هذا من دواعى فخرنا يا مستر (لويد) .

ثم ختم جواز السفر ، وناوله إياه ، قائلًا :

ـ نشكر لك زيارتك لدولتنا يا مستر (لويد) ، ونرجو أن تحوى قوائم القادمين ، فى الموسم القادم ، اسم (هنرى لويد) .

ارتفع من خلف (أدهم) صوت يقول :

ـ من قال إنه يدعى (هنرى لويد) ؟

استدار (أدهم) فى سرعة إلى مصدر الصوت ، الذى استطرد :

ـ إنه يدعى (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

ولم يعد هناك مايُقال .

* * *

١١ ـ إلى الضباب ..

لم يرفع (شيلنكو) المنظار المقرّب عن عينيه ، طوال ربع ساعة كاملة ، وهو يراقب قصر سير (ويلكوكس) ، من داخل سيارته ، حتى سألته (نوفا) فى قلق :

ـ ألم يظهر بعد ؟

هزّ (شيلنكو) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا .. لقد هبط مع ذات الشعر الأحمر إلى القبو ، منذ مايقرب من الساعة ، ولم يظهر أحدهما بعد .

تنهدّت ، قائلة :

ـ هذا يحسم كل شىء .

التفت إليها ، يسألها فى اهتمام :

ـ ماذا تعنين ؟

ضربت جبهته بأصابعها ، قائلة :

ـ سل رأسك الغبى يا (شيلنكو) .. ما الذى يدعو رجلًا مثل سير (ويلكوكس) ، بكل أناقته واعتداده ، إلى الهبوط إلى قبو قصره الرطب ، وقضاء ساعة كاملة فيه ، مالم يكن هذا القبو مكانًا مثاليًا ، لإخفاء سر ثمين ؟

هتف فى انفعال :

ـ أتقصدين الوثائق ؟

صاحت به فى حدة :

— وما الذى يمكننى أن أقصده غيرها أيها الغبى ؟ .. ما الذى أجبرنا على المجىء (انجلترا) ؟ .. أليس هذه الوثائق اللعينة .

حاول اسكاتها ، ملوّحا بكفيه ، وهو يقول :

— حسنًا .. حسنًا يا (نوفا) .. ماذا تقترحين إذن ؟

عقدت حاجبيها الجميلين ، وهى تقول فى حزم :

— لم يعد الأمر يحتمل الاقتراحات يا (شيلكو) ، بل يحتاج إلى عمل سريع وحاسم .

وازداد انعقاد حاجبيها ، وهى تضيف فى حزم :

— يحتاج إلى التسلّل إلى قصر سير (ويلكوكس) ، وإلى قبوه الرطب بالذات .

ثم أدارت عينيها إلى عينيه ، مردفة فى صرامة :

— الليلة .

* * *

عقد (أدهم) حاجبيه فى غضب ، وهو يتطلّع إلى (فدوى) ، التى تقف أمامه فى تحد ، عاقدة ساعديها أمام صدرها ، بعد أن نطقت جملتها الأخيرة ، ثم أمسك يدها فى قوة ، قائلًا فى حزم :

— تعالى .

تبعته فى هدوء إلى ممر المسافرين ، وهو يقول غاضبًا :

— ما الذى يعنيه أسلوبك هذا ؟ .. أتحاولين كشف شخصيتى ؟

ابتسمت فى خبث ، وهى تقول :

— اطمئن .. ضابط الجوازات هذا لايفهم حرفًا واحدًا من اللغة العربية .. لقد اختبرت هذا بنفسى ، وهو يختم جواز سفرى .

قال فى حدة :

— ولكنك نطقت عبارتك بصوت مرتفع ، وكان من المحتمل أنْ يسمعك أى شخص يفهم العربية ، وأن تعلمى أننى لست (هنرى لويد) .

قالت فى اهتمام :

— ألم يدهشك أوّلا أننى قد تعرّفتك ، على الرغم من تنكّرك ؟

أجابها فى صرامة :

— لا .. فتنكّرى لم يكن متقنًا .

ثم توقّف فجأة ، وقال :

— أكنتِ تعلمين أننى سأستقلّ هذه الطائرة ؟

هتفت فى زهو :

— بالطبع .

ثم أشارت إلى رأسها ، مستطردة :

— لقد أنبأنى ذكائى أنه مادمت تقاتل بكل هذه الحمية ، لتلحق بالصندوق ، فلا ريب أنك ستذهب خلفه ، ولقد قلت — فى الكابينة — أن سير (جون ويلكوكس) هو الذى سرق الصندوق ، وهذا اللقب بريطانى ، مما يعنى أن السارق قد حمل الصندوق إلى (انجلترا) ، ومادمت رجل مخابرات ، فستكون لديك حتمًا الوسيلة لتغيير هيئتك وصفتك ، والسفر خلفه إلى هناك ، ثم أنك قد أشرت إلى ضياع الوقت ، مما يؤكّد

ضرورة سفرك على أوّل طائرة ، متجهة إلى (لندن) ، فأسرعت أحجز مقعدًا عليها .

لم يملك سوى الإعجاب بذكائها ، وإصرارها ، فابتسم ابتسامة هادئة ، وهو يقول فى إعجاب :

ـــ أهنئك .

تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تتمتم :

ـــ أشكرك .

استعاد صوته صرامته فجأة ، وهو يقول :

ـــ ولكن ما الذى تسعين إليه ؟

أجابت بسرعة :

ـــ أن أصحبك فى مغامرتك .

أمسك كتفيها فى رفق ، وتطلّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

ـــ اسمعينى جيدًا يا (فدوى) .. ما يحدث ليس فيلمًا سينمائيًا ، من أفلام الإثارة والمغامرات ، بل حربًا طاحنة ، لا مجال فيها للعواطف أو العبث ، وهو ليس أمرًا صالحًا للنشر ، فالسرية فيه هى أقوى أسلحة النصر ، وهذا يعنى أنك لا تستطيعين مصاحبتى ، أو حتى نشر كلمة واحدة مما سيحدث ، وفى المقابل ستعرضين حياتك لخطر داهم ، لا قبل لك به .

قالت فى لهفة :

ـــ المهم أن أبقى إلى جوارك .

لم تكد تنطقها ، حتى أدركت ذلك المعنى الذى تحويه ، فتضرّج

وجهها بحمرة خجل شديدة ، وخفضت عينيها فى حياء ..

وران عليهما صمت تام ..

لم يدر لماذا شعر بالسعادة والارتياح ، عندما نطقت عبارتها هذه ؟ ..

أو هو يدرى ، ولكنه يخشى الاعتراف بما يملأ نفسه ..

هو أيضًا يتمنى ، لو بقيت إلى جواره ..

شىء ما فى أعماقه يرغب فى وجودها معه ..

ولكن هذا يتعارض مع واجبه ..

مع سرية عمله ..

وبكل ما يملك من قوة ، قاوم تلك العاطفة ، التى تشتعل فى أعماقه ، وقال :

ـــ لا يا (فدوى) .. لا يمكننى أن أعرّضك لكل هذه المخاطر .. لن أسامح نفسى أبدًا ، لو أصابك أدنى مكروه .

رفعت عينيها إليه فى لهفة ، وهى تهتف :

ـــ حقًا ؟!

ثم عادت تخفضهما فى خجل ، فابتسم فى حنان ، وهو يهمس :

ـــ حقًا يا (فدوى) .

ران عليهما الصمت لحظة أخرى ، ولكنها كانت مفعمة بالعواطف هذه المرة ، قبل أن تقطعها (فدوى) ، قائلة فى عناد :

ـــ سأصحبك إلى (لندن) .

أدهشها أن قال فى هدوء :

ـــ فليكن .

ثم أضاف فى حزم :

ــ ولكنك ستبقين فى حجرتك بالفندق ، حتى آنتهى من مهمتى ، وأعود إليك .

.. هذا شرطى الوحيد .

أجابت فى سرعة :

ــ أوافق .

ثم منحته ابتسامة من أعماق قلبها ..

ابتسامة حب ..

* * *

« حب ؟! »

هتفت (منى) بالكلمة ، فى سخط واستنكار ، عندما بلغ (قدرى) هذا الجزء من روايته ، وهبّت من مقعدها ، ملوّحه بيدها فى حدة ، ومستطردة :

ــ مستحيل يا (قدرى) .. مستحيل أن يكون هذا حبًّا .

ابتسم لغضبها وغيرتها الواضحين ، وقال :

ــ ولمَ لا ؟ .. أليس من الطبيعى أن يقع شاب وسيم وفتاة جميلة ، فى حب بعضهما البعض .

قالت فى توتر :

ــ من المؤكّد أنه لم يحبها .

ثم التفتت إليه فى حدة ، مستطردة :

ــ وإلا فلماذا لم يتزوّجها ؟

أطلق ضحكة قصيرة ، وقال :

ــ هل تظنين أن الزواج شرط أساسى لصحة الحب ؟

هتفت :

ــ بالطبع .

قال فى خبث :

ــ عجبًا ! .. لماذا لا ينطبق ذلك على علاقتك بـ (أدهم) إذن ؟

تجمّدت فى مكانها ، وقفزت إلى ذهنها صورة لـ (فدوى) ، وهى ترفض الزواج من (أدهم) ، بعد كل مارأته بصحبته من أهوال ، فالتفتت إلى (قدرى) ، تسأله فى عصبية :

ــ حسنًا .. لماذا لم يتزوّج (أدهم) (فدوى) ؟

صمت (قدرى) لحظة ، ثم هزّ كتفيه ، قائلًا :

ــ لم يكن ذلك ممكنًا .

سألته فى حدة :

ــ لماذا ؟

شرد ببصره لحظات فى صمت ، ثم اعتدل ، قائلًا :

ــ الأفضل أن تتابعى الأحداث يا (منى) .

جلست على مقعدها فى عصبية ، وهى تقول :

ــ حسنًا .. كلى آذان صاغية .

ابتسم مشفقًا ، ومال نحوها ، و ..

واصل القصة ..

* * *

على عكس الطقس الحار فى الجزر اليونانية ، كان المناخ فى (لندن) معتدلًا لطيفًا ، جعل (فدوى) تهتف فى ارتياح :

ــ ياله من طقس جميل ! .. يبدو أنهم يظلمون (لندن) كثيرًا ، عندما يصفونها بعاصمة الضباب .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ــ لا تتعجّل الأمور ، إنك لم ترى الضباب بعد .

سألته فى فضول :

ــ هل سبق لك مشاهدته ؟

رفع سبّابته أمام وجهه ، وهو يقول :

ــ لا تنسى أن مستر (هنرى لويد) انجليزى ، من قمة رأسه حتى أخمص قدميه .

ضحكت وهى تتطلّع إلى وجهه ذى اللحية ، ثم مالت نحوه ، هامسة :

ــ أتعلم أنك تبدو بالفعل أكثر وسامة بوجه حليق .. لقد رأيتك بوجه حليق ، عند نجاتك من انفجار الباخرة .. كان شعرك مبتلًا ، وسقط عنك الشارب المستعار فى الماء ، و ...

قاطعها فى هدوء :

ــ يالك من فتاة !

بترت عبارتها ، وعقدت حاجبيها ، وهى تقول :

ــ ما الذى تقصده بهذه العبارة ؟

ضحك قائلًا :

ــ لست أقصد شيئًا .

ثم تطلّع إلى حجرتها الأنيقة ، وهو يضيف :

ــ من حسن حظنا أن وجدنا حجرتين مناسبتين هنا .. أليس كذلك ؟

قالت فى حدة :

ــ إنك لم تجب سؤالى بعد .

تطلّع إليها بنظرة ضاحكة ، ثم التقط سمّاعة الهاتف ، وقال لموظف الهاتف فى الفندق :

ــ صلنى بهذا الرقم .

أملاه الرقم فى بطء ، فسألته (فدوى) فى اهتمام :

ــ أهو رقم مكتب المخابرات فى (لندن) ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وأجاب فى هدوء :

ــ بل الرقم الشخصى لسير (ويلكوكس) .

هتفت فى دهشة عارمة :

ــ سير (ويلكوكس) ؟!

قبل أن ينطق بكلمة واحدة ، تعقيبًا على دهشتها ، جاءه صوت (ويلكوكس) ، عبر أسلاك الهاتف ، وهو يقول :

ــ من المتحدّث ؟

أجابه (أدهم) فى صوت واثق قوى ، وبإنجليزية سليمة للغاية :

ــ الرائد (أحمد صدق) ، من المخابرات المصرية يا سير (ويلكوكس) .

عقدت (فدوى) حاجبيها فى شك ، وهى تغمغم :

ــ (أحمد صدق) ؟!

فى حين صمت (ويلكوكس) تمامًا بعض الوقت ، على الطرف الآخر للهاتف ، قبل أن يقول فى بطء .

— من أين حصلت على هذا الرقم يا مستر (صدق) ؟ .. إنه رقم سري خاص .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يجيبه :

— أنت رجل شهير يا سير (ويلكوكس) ، ومن الطبيعى أن نحتفظ بملف ضخم عنك ، وعن منظمتك الخاصة .

صمت (ويلكوكس) فترة أخرى ، ثم قال :

— وما الأسرار الأخرى ، التى يحتويها ملفى لديكم يا مستر (صدق) ؟

أجابه (أدهم) :

— الكثير يا سير (ويلكوكس) .

ثم أضاف فى سرعة :

— ولكننا على أتم استعداد لتسليمك الملف كله .

قال (ويلكوكس) فى حذر :

— مقابل ماذا ؟

أجابه (أدهم) :

— مقابل صندوق أسود صغير .

طال صمت (ويلكوكس) هذه المرة ، حتى خيّل لـ (أدهم) أنه يسمع صوت أفكاره ، عبر أسلاك الهاتف ، قبل أن يقول البريطانى فى بطء حذر :

— لا تصلح مناقشة مثل هذه الأمور ، عبر أسلاك الهاتف يا مستر (صدق) .

قال (أدهم) فى هدوء :

— وماذا تقترح ؟

أجابه فى سرعة هذه المرة :

— سأنتظرك صباح الغد ، فى نادى الجولف .. إنك تعرفه بالطبع .. أليس كذلك ؟

قال (أدهم) فى برود :

— بلى .. فى أية ساعة ؟

أجابه فى سرعة أيضًا :

— العاشرة .. هل يناسبك هذا ؟

قال (أدهم) فى اقتضاب :

— بالتأكيد .

ثم أنهى المحادثة على الفور ، فهتفت به (فدوى) :

— هل ستلتقى به ؟

تطلّع إليها بنظرة طويلة صامتة ، ثم قال فى هدوء :

— لم يكن من المفروض أن تكونى هنا ، أو تسمعى حرفًا مما سمعته الآن ، فلا تلقى المزيد من الأسئلة .

أدهشه أن قالت فى استسلام :

— سمعًا وطاعة .

بدت له فى هذه اللحظة أكثر جاذبية وجمالاً ، من أية لحظة أخرى ، ولكنه قاوم مشاعره كعادته ، ونهض قائلاً :

— حاولى ألا تغادرى الفندق إلا للضرورة القصوى .

سألته فى رجاء :

ــ ألا تبقى قليلًا ؟ .. إن موعدك معه غدًا ، فلماذا لاتخلد إلى الراحة اليوم ؟

ابتسم فى هدوء ، وقال :

ــ عملنا لا يتوقف أبدًا .

قالت فى ضيق :

ــ وما الذى يمكنك فعله الليلة ؟

أجابها فى اقتضاب :

ــ استطلاع أرض العدو .

ثم أغلق الباب خلفه ، دون كلمة إضافية ، فارتجف قلبها بين ضلوعها ..

لقد بدأت جولة جديدة ..

واستعد ملك الموت مرة ثانية .

* * *

١٢ ــ فى ظلام الليل ..

تعلقت (نوفا) بالسور المرتفع ، المحيط بقصر سير (ويلكوكس) ، واعتلته فى خفة ومهارة ، ثم ألقت حبلًا سميكًا إلى (شيلنكو) ، بعد أن ثبتت طرفه فى حافة السور ، فتسلق (شيلنكو) السور بدوره ، وجلس على حافته يراقب القصر ، مغمغمًا :

ــ أتظنين وسائل الأمن هنا تسمح باقتحامنا المكان ؟

أجابته فى حدة :

ــ كلّا بالطبع ، ولكن علينا أن نبذل أقصى طاقتنا ؛ لتجاوز الاستحكامات ، وخداع وسائل الأمن ، حتى نبلغ القبو .

ثم أخرجت من جيبها ورقة مطوية ، فردتها بينها وبين (شيلنكو) ، مستطردة :

ــ دعنا نراجع وسائل الأمن هنا .. هناك خمسة كلاب شرسة ، تتجوّل فى الحديقة ، إلى جانب عشرة رجال مسلحين بالمدافع الآلية ، ثم أربع آلات تصوير تليفزيونية ، تحيط بالقصر ، وتنقل إلى طاقم الحراسة داخله كل ما يحدث خارجه ، وهناك ذلك السور المكهرب ، الذى نجلس فوقه .

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ لقد أثبتت الثياب المطاطية العازلة نجاحها ، فلم يؤذنا التيار الذى يسرى فى السور ، كما أن الرائحة الكيميائية الصناعية ، التى ابتكرها علماؤنا ، قد أفسدت حاسة الشمّ عند الكلاب ، فلم تنتبه إلى وجودنا .



ثم ألقت حبلًا سميكًا إلى (شيلنكو) ، بعد أن ثبت طرفه فى حافة السور ، فتسلق (شيلنكو) السور بدوره ..

أضافت :

ـــ وكذلك ستحجبنا عن أنظار رجال الأمن ، ونحن نعبر الحديقة ، ولكن يبقى أمامنا إزاحتهم عن الطريق ، والتشويش على آلات التصوير ، وهما عملان غاية فى الصعوبة .

أومأ برأسه موافقًا ، وقال فى حزم :

ـــ هيا بنا .

ألقى سلمًا من الحبال ، إلى حديقة القصر ، ثم هبط عليه معها فى سرعة ، وراحا يزحفان وسط الأعشاب ، فى اتجاه القصر ، وغمغمت (نوفا) فى قلق :

ـــ عجبًا ! .. كيف لم نلتق بأى رجل من رجال الحراسة حتى الآن ؟

أجابها فى قلق مماثل :

ـــ ربما يجمع بهم (ويلكوكس) لأمر ما .

ثم أضاف فى حزم :

ـــ والمفروض أن نستغل هذه الفرصة النادرة .

أخرجت من جيبها جهازًا صغيرًا ، وهى تقول :

ـــ سنفعل .

وضعت الجهاز على الأرض ، مستطردة :

ـــ عندما يبدأ هذا الجهاز عمله ، ستصاب أجهزة التصوير بخلل مؤقت ، لمدة دقيقتين فحسب ، ثم يتوقف الجهاز عن عمله لنصف الساعة ، ويعود للعمل بعدها تلقائيًا لدقيقتين أخريين ، وهذا يعنى أن أمامنا دقيقتين فحسب ، لبلوغ قبو القصر ، وبعدها سنحصل على نصف

ساعة كاملة ، للبحث عن الصندوق ، ثم دقيقتين للعودة إلى هنا .. هل فهمت ؟

أجابها فى اقتضاب :

ـــ فهمت .

ضغطت زر الجهاز ، وهتفت :

ـــ هيا .

نهضا فى حركة واحدة ، واندفعا يعدوان نحو مدخل القبو ..

والعجيب أن أحدًا لم يعترضهما ، حتى بلغا المدخل ، فأخرج (شيلنكو)من جيبه أداة صغيرة ، دسّها فى ثقب المفتاح ، وأدارها فى قوة ، فسقط لسان الرتاج ، وانفتح الباب على الفور ، فدلفا إلى القبو فى سرعة ، وأغلقا الباب خلفهما ..

ولثوان ، لم يتحرّك أحدهما حركة واحدة ، داخل القبو المظلم الرطب ، ثم لم تلبث (نوفا) أن أشعلت مصباحها اليدوى ، وهى تقول فى حزم :

ـــ هيا .

أضاء المصباح أمامهما ممرًا طويلًا ، ينتهى بباب مغلق ، فقطعا الممر فى حذر ، حتى بلغا الباب ، فدفعه (شيلنكو) بيده ، وغمغم :

ـــ إنه مفتوح .

ترددت (نوفا) فى قلق ، وهى تقول :

ـــ عجبًا ! .

ثم حسمت أمرها ، ودلفت إلى الحجرة الخالية فى حذر ، وتبعها

(شيلنكو) ، الذى أدار مصباحه فى الحجرة الخالية ، وقال فى توتر :

ـــ مامعنى هذا ؟

وفجأة ارتفع من خلفهما صوت حاد ، أشبه بارتطام زجاج بجسم معدنى ، واشتعلت الأضواء كلها دفعة واحدة ، حتى بهرت عيونهما ، فأغلقاها فى ألم ، ورفعت (نوفا) مسدّسها ، وهى تهتف فى عصبية :

ـــ سأطلق النار .

جاوبتها ضحكة ساخرة عالية ، ميّزت فيها صوت (مارى) ، قبل أن يرتفع صوت سير (ويلكوكس) ، وهو يقول فى هدوء ساخر :

ـــ معذرة ياعزيزتى (نوفا) .. إننى أكره الضيوف ، الذين لا يحملون دعوات خاصة ، ممهورة بتوقيعى .

فتحت (نوفا) عينيها ، ورأت (ويلكوكس) و (مارى) أمامها ، دون سلاح ، فرفعت مسدسها نحوهما ، وقالت : ـــ لاتتبجح هكذا يا سير (ويلكوكس) ، عندما تقف أعزل هكذا .

وأطلقت رصاصاتها فى غضب ..

ولكن المفاجأة كانت مذهلة بحق ..

لقد ظلّ (ويلكوكس) و (مارى) محتفظين بابتسامتهما الساخرة ، فى حين ارتطمت الرصاصات بحاجز خفى ، وارتدت فى عنف ، جعل (نوفا) تطلق صرخة ذعر ، وتترك مسدّسها يسقط أرضًا ، واتسعت عينا (شيلنكو) فى ذهول ، و (ويلكوكس) يقول :

ـــ ادخرى رصاصاتك أيتها الرفيق (نوفا) ؛ فبيننا الآن حاجز زجاجى بالغ الشفافية ، مضاد للرصاص ، عازل للصوت والحرارة ، وصوتى هذا الذى تسمعينه ، ينتقل إليك عبر أجهزة صوتية خاصة .. لقد

وقعت فى الفخ يا عزيزتى ، مع زميلك الغر الساذج .. لقد كشفنا وجودكما منذ اللحظة الأولى ، فلدينا هنا رادار خاص ، يكشف أية حركة غير مألوفة ، فى حديقة القصر ، ولقد أسعدتنى محاولتكما للغاية ، فقد بدت الليلة مملة سخيفة ، ولكن رؤيتكما أثناء عبوركما الأسوار ، أعادت إلى الليلة حيويتها ، فأمرت رجالى بإخلاء حديقة القصر ، وإعادة الكلاب إلى أقفاصها ، وجلست مع عزيزتى (مارى) ننتظر وقوعكما فى هذا الفخ المبتكر .

ضرب (شيلنكو) الحائط بقبضته ، وهو يقول فى حنق :

ـــ اللعنة !

تألقت عينا (ويلكوكس) فى ظفر ، وقال فى جذل :

ـــ لا تبتئس كثيرًا يا عزيزى (شيلنكو) ، فأنتما أول صيد هنا ، ولن يلبث عمالقة المخابرات الآخرون أن يلحقوا بكم ، حتى يكتمل العدد ، ويبدأ المزاد .

ثم اتجه إلى الجدار المجاور فى هدوء ، وضغط زرًا أحمر ، فسألته (نوفا) فى توتر :

ـــ ما هذا ؟

أجابها مبتسمًا :

ـــ آلة طريفة أيها الرفيق الضابط ، تمتص الهواء من سجنكما .

اتسعت عينا (شيلنكو) فى رعب ، واندفع نحو الجدار الزجاجى الشفاف ، وراح يضربه بقبضتيه فى عنف ، صارخًا :

ـــ أخرجونى من هنا .. لا أريد أن أموت هكذا .. ليس هكذا .

صاحت به (نوفا) فى غضب :

ـــ تماسك أيها الوغد .

ولكنه جثا على ركبتيه منهارًا ، هاتفًا فى ضراعة :

ـــ أخرجونى من هنا .

أما (نوفا) ، فقد قلبت شفتيها فى ازدراء ، وتطلعت مباشرة إلى عينى (مارى) الساخرتين الشامتتين ، قائلة فى صرامة :

ـــ سنلتقى مرة أخرى أيتها القذرة .

أجابتها (مارى) فى سخرية :

ـــ عند شاهد قبرك أيها الرفيق .

أرادت (نوفا) أن تلقى عبارة أخرى ، ولكنها شعرت بأنفاسها تتثاقل ، وبوجهها يحتقن ، فصرخت بالروسية :

ـــ أيها الأوغاد .

ثم سقطت على وجهها ، ولحق بها (شيلنكو) ، وهو يبكى فى انهيار ، حتى فقد الوعى بدوره ..

وفى هدوء ، ضغط (ويلكوكس) الزر الأحمر مرة أخرى ، وهو يقول فى سخرية :

ـــ نومًا هنيئًا يا عزيزتى (نوفا) .

مطت (مارى) شفتيها ، وقالت :

ـــ لست أميل إلى هذا الأسلوب .

أجابها (ويلكوكس) فى سخرية :

ـــ أعلم هذا ، فهو لا يهدر أنهارًا من الدماء .

سألته فى ازدراء :

ـــ لماذا لم تقتلهما مباشرة ؟

لوّح بيده فى الهواء ، وهو يقول فى لهجة مسرحية :

ـــ لأننى مازلت أحتفظ لهما بدور جيِّد ، فى مسرحيتى الخاصة يا عزيزتى .

مطّت شفتيها مرة أخرى ، وقالت :

ـــ يا للعبث !

أطلق ضحكة طويلة ، وضمّها إلى صدره ، وهو يقول :

ـــ ألا تستحق حياتنا الجافة شيئًا من العبث والمرح يا عزيزتى ؟

ثم لوّح بذراعه مرة أخرى ، وتألّقت عيناه فى ظفر ، وهو يستطرد :

ـــ إنك ستشاهدين مساء الغد أروع مشهد عرفته منظمة الجاسوسية الحرة يا عزيزتى (مارى) .. ستشاهدين متحف سير (ويلكوكس) للمخابرات .

وردّدت جدران المكان صدى ضحكته الظافرة ..

★ ★ ★

راقب (أدهم) ذلك الموقف منذ البداية ، بمنظاره الخاص بالرؤية الليلية ، حتى نجحت (نوفا) ورفيقها فى دخول القبو ، فغمغم فى سخرية :

ـــ خطأ يا عزيزتى (نوفا) .. الفخ أوضح من أن تسقطى فيه هكذا .

رأى بعدها (ويلكوكس) ورجاله ، يتسللون إلى القبو ، فهزّ رأسه ، قائلًا :

ـــ يا للخسارة !!

ثم أنزل مصباحه عن عينيه ، وتابع :

ـــ لم أتصوّرك أبدًا بكل هذه السذاجة يا (نوفا) .

ألقى نظرة صامتة طويلة ، بعينيه المجرّدتين على حديقة القصر ، ثم لم يلبث أن أعاد المنظار إلى عينيه ، عندما لمح نشاطًا ملحوظًا فيها ، ورأى رجال الحراسة ينتشرون فى الحديقة ، ويطلقون الكلاب الشرسة ، وأحدهم يختبر السور المكهرب ، وآلات التصوير ، فغمغم محدّثًا نفسه :

ـــ سور مكهرب ، وكلاب متوحشة ، وطاقم حراسة ، وآلات تصوير من الواضح أنك تحيط نفسك بحزام أمنى قوى يا سير (ويلكوكس) .

وخفض المنظار مرة أخرى ، وهو يتابع :

ـــ ولكن والدى ـــ رحمه الله ـــ كان يؤكد دائمًا أنه مامن جهاز أمنى ، مهما بلغ إحكامه ، يخلو من الثغرات .. أين ثغرتك إذن يا سير (ويلكوكس) ؟

راح يفكّر لحظات فى عمق ، ثم لم يلبث ثغره أن حمل ابتسامة واثقة ، وهو يقول فى جذل :

ـــ بالتأكيد .. هذه هى ثغرتك الأمنية .

أعاد المنظار إلى عينيه ، وراح يفحص المكان مرة أخرى فى اهتمام أكبر ، ثم لم يلبث أن غمغم فى ثقة شديدة :

ـــ نعم .. هذه هى ثغرتك .

وعاد إلى سيارته فى هدوء ، وانطلق بها مبتعدًا ..

لقد بدأت مرحلة جديدة من مراحل الصراع ..

مرحلة شرسة ..

★ ★ ★

١٣ ـ المساومة ..

جاء الصباح التالى صحوًا ، مشرقًا ، منعشًا ، مما أغرى معظم أعضاء نادى الجولف بالحضور ، فازدحمت بهم الملاعب ، على الرغم من اتساعها ، وبدأت بينهم مجموعة من المنافسات ، أشاعت جوًا حماسيًا مرحًا فى المكان ..

ووسط الجميع ، برز سير (ويلكوكس) بأناقته المعهودة ، ووسامته الواضحة ، ورفيقته (مارى) ، التى تتبعه فى كل خطواته ، مخالفة طبيعة النادى ، الذى لا تدخله النساء عادة ..

وكالمعتاد ، ربح سير (ويلكوكس) كل مبارياته ، وراح يوزع ابتسامته ومجاملاته على الجميع ، شأن أى ثرى انجليزى ، لا يشغل باله شىء ..

ثم ظهر (أدهم) ..

كانت الساعة تدق تمام العاشرة ، عندما أبصره سير (ويلكوكس) يعبر الملعب متجهًا إليه ، بشعره الكستنائى المصبوغ ، وخطه الأنيقة ..

وفى هدوء ، وبابتسامة واثقة ، مدّ (ويلكوكس) يده يصافح (أدهم) ، قائلًا :

ـ مرحبًا بك يا مستر (صدق) .. يدهشنى أن أراك هنا فى الملاعب ، فقوانين النادى تقضى ألا يلتقى الأعضاء بضيوفهم هنا ، بل فى قاعات الاستقبال المخصصة لهذا .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ لقد أبرزت بطاقة عضوية ، فسمحوا لى بالدخول .

أطلق (ويلكوكس) ضحكة قصيرة ، وقال :

ـ رائع يا مستر (صدق) .. أسلوب مخابراتكم يروق لى كثيرًا .

لم يعلّق (أدهم) بحرف واحد ، وهو يتطلّع إليه فى برود ، فأضاف (ويلكوكس) :

ـ حسنًا يا مستر (صدق) ، ما العرض الذى تقدّمه لى ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ لقد أخبرتك به أمس يا سير (ويلكوكس) .. الصندوق مقابل ملفك لدينا .

ابتسم (ويلكوكس) فى سخرية ، وقال :

ـ ومن قال إن ملفى لديكم يزعجنى ؟ على العكس يا مستر (صدق) .. إنه يملأ نفسى فخرًا .. يمكنكم الاحتفاظ به ، مع خالص تحياتى .

سأله (أدهم) :

ـ ما الذى تطلبه إذن ؟

هزّ (ويلكوكس) كتفيه ، قائلًا :

ـ لقد عرض سير (مايكل) ثلاثة ملايين جنيه استرلينى .. أى مايعادل خمسة ملايين دولار ، فما عرضكم أيها المصريون ؟

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ خمسة ملايين ونصف المليون .

قهقه (ويلكوكس) ضاحكًا ، وقال :

ـــ يالك من شحيح يا مستر (صدق) ؟ .. أتضيف نصف مليون فقط .

مال (أدهم) نحوه ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ اسمع يا سير (ويلكوكس) .. دعنا نكشف أوراقنا بكل صراحة .. أنت تعلم مثلى أن صندوقنا الأسود مغلق برتاج خاص ، له قفل ألكترونى من تسعة أرقام ، ولو تم فتحه بوسيلة عنيفة ، فسينطلق داخله حامض قوى ، يتلف الوثائق كلها فى لحظة واحدة ، وأنتم لا تعرفون الرقم السرى الخاص بفتحه ، وستحتاجون إلى وقت طويل للغاية ، قبل كشفه .. هل تعلم كم عملية ينبغى لك أن تجريها ، لتبلغ الرقم الصحيح ؟

قال (ويلكوكس) فى هدوء :

ـــ أكثر من مليونى عملية .

أجابه (أدهم) :

ـــ هذا صحيح تقريبًا ، ويعنى أننا الجهة الوحيدة ، التى يمكنها الإفادة من الوثائق .

ابتسم (ويلكوكس) فى مكر ، وقال :

ـــ وماذا عن (الموساد) ؟ .. إنهم مستعدون لدفع ضعف المبلغ الذى تعرضه ، مقابل فتح الصندوق عنوة ، وإتلاف الوثائق .

عقد (أدهم) حاجبيه فى ضيق ، وهو يقول :

ـــ اذكر المبلغ الذى تطلبه .

تأمله (ويلكوكس) لحظة ، ثم قال :

ـــ ليس المال وحده هو الذى يهمنى يا مستر (صدق) ، فأنا كما تعلم ،

رجل ثرى للغاية ، ولكننى أعشق الإثارة والمغامرة ، وأحب أن يحصل الأفضل دائمًا على مالدى .

سأله (أدهم) فى برود :

ـــ ما عرضك بالتحديد يا سير (ويلكوكس) ؟

مال (ويلكوكس) نحوه ، وقال فى جذل :

ـــ اسرق الصندوق .

سأله (أدهم) فى حذر :

ـــ ماذا تعنى ؟

اعتدل ولوّح بكفه ، قائلًا :

ـــ ما سمعته تمامًا يا مستر (صدق) .. اعثر على الصندوق الأسود فى قصرى ، واسرقه ، وسيكون لك .

ثم غمز بعينه ، مستطردًا :

ـــ ومجانًا .

وانصرف لا يلوى على شىء ..

* * *

لم تكد (فدوى) تلمح (أدهم) ، وهو يدخل إلى الفندق ، حتى تهلّلت أساريرها ، واندفعت نحوه ، هاتفة فى حرارة :

ـــ (أدهم) .. حمدًا لله على عودتك سالمًا .

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ عجبًا !! .. ألا يبدو صوتك منخفضًا بعض الشىء ، بالنسبة

محاولة إبلاغ دول حلف الأطلنطى بحقيقة شخصيتى ؟

تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تقول فى ارتباك :

ــ معذرة .. لقد اسعدتنى عودتك سالمًا ، حتى أننى لم أنتبه إلى ..

قاطعها بنفس اللهجة الساخرة :

ــ ماذا تعنين بعودتى سالمًا يا عزيزتى ؟! .. هل يعتبر الصحفيون الذهاب إلى نادى الجولف مغامرة جنونية ، غير مأمونة العواقب ؟

أدركت سخريته منها ، فعقدت حاجبيها فى غضب ، وهى تقول :

ــ نعم .. إذا ما كان رئيسه هو سير (جون ويلكوكس) .

هزّ كتفيه فى لا مبالاة ، وقال :

ــ إنه مجرّد رجل مأفون ، يتصوّر نفسه نجمًا سينمائيًا ، فى فيلم مغامرات رخيص .

سألته فى فضول :

ــ هل ساومك بشأن الصندوق ؟

أجابها فى سخرية ، لم تجد لها سببًا :

ــ بل قدّم لى عرضًا محدودًا ، فى هذا الشأن .

هتفت والفضول ينهش عقلها نهشًا :

ــ ماهو ؟

رمقها بنظرة استهتار ، وهو يقول :

ــ أنسيت أنه عمل مخابرات ؟

قالت فى توتر :

ــ لا .. لم أنس هذا ، ولكننى تصوّرت أن ثقتك بى تسمح لك

بإخبارى ما يتعلّق بهذا .

أجابها فى حزم :

ــ لا شأن للثقة الشخصية بعمل المخابرات .

قالت فى غضب :

ــ حسنًا .. هذا شأنك .

وانصرفت محنقة ، وتابعها هو ببصره فى حنان ، قبل أن يتمتم فى خفوت :

ــ هذا ما تعلّمته من أبى ــ رحمه الله ــ يا عزيزتى .. كلما كانت معرفة المرء أقلّ ، تعرّض لمخاطر أقلّ ، وأنت لا تدركين خطورة هذه اللعبة .. إنها حرب يا عزيزتى (فدوى) .. حرب طاحنة .

وكان على حق ..

إنه على شفا حرب ..

حرب شعواء ..

* * *

عقد (آرثر) حاجبيه فى توتر ، وهو يتجه بالسيارة إلى بوّابة السور الضخم ، المحيط بقصر سير (ويلكوكس) ، وقال لسير (مايكل) ، الجالس إلى جواره :

ــ مازلت أشعر بالحنق ؛ لتلبيتنا دعوة ذلك الحقير ، بدلًا من أن نطلق عليه النار بلا رحمة .

ابتسم سير (مايكل) فى رصانة ، وقال وهو ينفث دخان غليونه كعادته :

— هذا لأن خبرتك ما زالت محدودة ، فى عالم المخابرات يا (آرثر) .

قال (آرثر) فى ضيق :

— لا تنس أننى أفضل تلاميذك يا سير (مايكل) .

أجابه فى برود :

— ليس فى الحياة العملية يا (آرثر) .

ثم عقد حاجبيه ، وهو يقول فى حزم :

— استعد لمواجهة طاقم الأمن .

لم يكن بحاجة إلى هذه النصيحة ؛ فلقد أبطأ (آرثر) من سرعة السيارة بالفعل ، مع مرآى ذلك العملاق ، الذى يقف أمام البوّابة ، ممسكًا مدفعًا آليًا ضخمًا ، ومشيرًا للسيارة بالتوقّف فى صرامة ..

وأوقف (آرثر) السيارة إلى جوار العملاق ، الذى دفع رأسه عبر نافذتها فى وقاحة ، وتأمّل وجهى (آرثر) وسير (مايكل) بنظرة شك متحفزة ، ثم قال فى خشونة :

— هل تسمحان بالهبوط ؟

غادرا السيارة فى ضيق ، فتقدّم منهما رجل آخر ، وفحص جسديهما بجهاز خاص ، ثم قال فى غلظة :

— لا أسلحة أيها السادة .

قال (آرثر) فى حدة :

— لن أدخل مغارة (على بابا) هذه ، دون سلاح .

رفع العملاق فوهة مدفعه الآلى فى وجهه بحركة حادة ، وقال فى صرامة :

— هل تصرّ ؟

تنهّد سير (مايكل) فى ضيق ، وقال :

— أعطه مسدّسك يا (آرثر) .

أخرج (آرثر) مسدّسه من جرابه فى عصبية ، وناوله إلى حامل الجهاز ، وقال :

— هل يمكننا الدخول الآن ؟

أجابه العملاق :

— ليس بعد .

ثم أشار إلى رجل آخر ، يحمل مدفعًا آليًا مماثلا ، فأسرع يجلس على الأريكة الخلفية لسيارة (آرثر) ، وهنا قال العملاق :

— الآن يمكنكما الدخول .

استقلّ (آرثر) و (سير مايكل) سيارتهما ، وفتح العملاق البوّابة ، فأدار (آرثر) محرّك السيارة فى حدة ، وعبر البوّابة ، وهو يقول للرجل الجالس فى المقعد الخلفى فى عصبية :

— هل يمكننى ضغط دوّاسة الوقود ، أم أن هذا يحتاج إلى إذن خاص ؟

والعجيب أن الرجل أجابه فى برود :

— بل يمكنك هذا .

انطلقت السيارة عبر ممرات الحديقة الواسعة ، ونبحت كلاب الحراسة الشرسة خلفها ، وتطلّع إليها حرّاس القصر فى تحفّز ، والتقطت آلات التصوير صورتها ، وهى تقترب من القصر نفسه ، حتى توقّفت أمام بابه الكبير ، وهناك استقبل سير (ويلكوكس) ضيفيه بابتسامة عريضة ، قائلًا :

— مرحبًا بكما في قصري المتواضع ، يا أفضل رجال المكتب الخامس .

صافحه سير (مايكل) في هدوء ، في حين قال (آرثر) في حدة :

— من الواضح أنك تحيط نفسك بسوار أمني صارم يا سير (ويلكوكس) .

ابتسم (ويلكوكس) ، وهو يقول :

— هذا يمنحني شعورًا بالأمان يا صديقي .

ثم غمز بعينه مستطردًا :

— ويمنع الفضوليين ، في الوقت ذاته .

قال (آرثر) في أسلوب استفزازي :

— هل تؤمن بذلك حقًا ؟

ولكن سير (ويلكوكس) ظلّ محتفظًا بابتسامته العريضة ، وهو يقول :

— بالتأكيد يا صديقي .

وأشار إلى داخل القصر ، مستطردًا :

— هيا .. تفضلا إلى الحفل .

تبعه الاثنان إلى ردهة القصر الفاخرة ، المكتظة بالتحف الثمينة ، واللوحات الفنية النادرة ، إلى حد جعل (آرثر) يقول :

— أراهن أن محتويات هذه الردهة تربو على المليون جنيه .

قهقه (ويلكوكس) ضاحكًا ، وقال :

— يالك من متواضع ياصديقي ! .. إن لوحة (سيزان) تلك ، التي تراها في ركن الردهة ، تساوي مليونًا ونصف مليون جنية .

هتف (آرثر) :

— يا إلهي ! .. كم تساوي محتويات الردهة كلها إذن ؟

أجابه سير (مايكل) في هدوء :

— ما يقرب من المليار .

هتف (آرثر) في ذهول :

— ماذا ؟

ثم انعقد حاجباه في شدة ، وهو يستطرد محنقًا :

— لماذا تفعل كل هذا إذن يا (ويلكوكس) ؟

هزّ (ويلكوكس) كتفيه في استهتار ، وقال :

— من المؤكد أن لدي أسبابي .

ثم التفت إلى الردهة ، مستطردًا في جذل :

— ولكن لماذا نضيع وقتنا في مناقشة هذه الأمور البغيضة ؟ .. دعونا نستمتع بالحفل .

قال (آرثر) :

— أي حفل يا سير (ويلكوكس) ؟ .. إننا المدعوون الوحيدون هنا .. حتى صديقتك الدموية لا أثر لها .

ابتسم (ويلكوكس) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

— إنها تؤدي مهمة خاصة .

قال (آرثر) في حدة :

— مهمة قاتلة .. أليس كذلك ؟

عاد (ويلكوكس) يهزّ كتفيه في استهتار ، قائلًا :

— ربّما .

كان (آرثر) مستعدًّا لمواصلة الحديث إلى ما لا نهاية ، لولا أن أشار إليه سير (مايكل) بالصمت ، وسأل (ويلكوكس) مباشرة .

— مادمت لاتحب إضاعة الوقت يا سير (ويلكوكس) ، فلماذا

لا نتحدث مباشرة عن صفقتنا ؟

ابتسم سير (ويلكوكس) فى خبث ، وقال :

ــ ولِمَ لا ؟ .. هات مالديك يا رجل .

سأله (مايكل) على نحو مباشر :

ــ ماذا تطلب مقابل الصندوق ؟

تأمّله (ويلكوكس) لحظة فى صمت ، ثم قال فى هدوء :

ــ ماذا يمكنك أن تعرض ؟

أجابه (مايكل) فى حسم :

ــ خمسة ملايين ، وهذا آخر مبلغ يمكننا دفعه ، دون طلب موافقة مجلس الوزراء .

بدت معالم التفكير لحظات ، على وجه (ويلكوكس) ، ثم قال فى برود :

ــ وماذا لو رفضت هذاالعرض ؟

أجابه (آرثر) هذه المرة :

ــ فى هذه الحالة سأقدّم لك أنا عرضًا لا يمكنك رفضه .

سأله فى سخرية :

ــ ماهو ؟

تحرّك (آرثر) بغتة ، قبل أن يدرك أى شخص من الحاضرين مايقصده ، فانقضّ على (ويلكوكس) ، وأحاط عنقه بذراعه ، وانتزع من جيبه محقنًا صغيرًا ، وضع إبرته على عنقه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ حياتك يا سير (ويلكوكس) .. حياتك مقابل الصندوق .

وكانت خطوة ناجحة .

★ ★ ★



فانقض على (ويلكوكس) ، وأحاط عنقه بذراعه ، وانتزع من جيبه محقنًا صغيرًا ، وضع إبرته على عنقه ..

١٤ – عرض خاص ..

كانت مبادرة (آرثر) مفاجئة بحق ، حتى أنها ألجمت ألسنة الجميع لحظات ، قبل أن يتحرّك رجال (ويلكوكس) فى عصبية ، ويحاولوا انتزاع مسدساتهم من ستراتهم ، ولكن (آرثر) قال فى حدة :

— حذار أن يخطو أحدكم خطوة واحدة ، فهذا المحقن يحوى سمًّا زعافًا ، هو (السيانور) ، ولو انغرزت إبرة المحقن فى عنق سير (ويلكوكس) ، فسيقضى نحبه فى خمس ثوان ، قبل أن تنطلق رصاصة واحدة من مسدساتكم .

توتر الرجال فى شدة ، وتعلّقت أبصارهم بوجه زعيمهم ، فى انتظار أوامره ، فى حين بدا هو هادئًا للغاية ، وهو يسأل (آرثر) :

— هل تعتقد أنك تستطيع ربح المعركة بهذا ؟

أجابه(آرثر) فى صرامة :

— نعم .. أعتقد هذا ، فما من مخلوق حىّ ، على وجه البسيطة ، لا يملك غريزة حُب البقاء ، التى تدفعه للتضحية بكل شىء فى الوجود ، فى سبيل حياته ، وأنت لا تقاتل فى سبيل مبدأ ، يستحق أن تضحى بحياتك من أجله ، وهذا يعنى أنك ستقبل عرضى .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول (ويلكوكس) فى هدوء :

— فليكن .. لقد انتصرت يا فتى .

ابتسم سير (مايكل) فى ظفر ، وهو يقول :

— إنه تلميذى .

أجابه (ويلكوكس) ، فى سخرية عجيبة :

— ونعم التلميذ .

ضغط (آرثر) بساعده على عنق (ويلكوكس) ، وهو يقول :

— هيا .. مر رجالك باصطحابنا ، إلى حيث تخفى الصندوق .

قال (ويلكوكس) فى هدوء :

— فليكن .. هيا بنا .

وأطاعه فى استكانة عجيبة ، وهم يتجهون نحو القبو ، كما لو أن هزيمته لاتعنى له شيئًا ، وتبعه رجاله فى توتر وتحفّز ، وخلفهم سير (مايكل) ، يصوّب إليهم أحد مسدساتهم ، وهو ينفث دخان غليونه ، مزهوًّا بتلميذه النجيب ، حتى بلغ الجميع القبو الرطب المظلم ، فقال (ويلكوكس) فى هدوء مدهش :

— هل يمكننى إضاءة المكان ؟

أجابه (آرثر) فى صرامة :

— لا .. لا تمسّ شيئًا .. فقط أخبرنى أين زر الإضاءة ؟

أشار (ويلكوكس) بيده إشارة خفيفة ، وهو يقول :

— إلى يمينك ، بمستوى كتفك .

مدّ (آرثر) يده فى حذر ، يتحسّس الجدار بظهر كفه ، بحثًا عن زر الإضاءة ، وهو يمسك المحقن فى تحفّز ، وساعده مازال يحيط بعنق (ويلكوكس) ..

وفجأة أطلق (آرثر) صرخة ألم ، وجسده يرتجف فى عنف ..

واشتعل الموقف كله دفعة واحدة .

لقد دفع (ويلكوكس) (آرثر) بمرفقه فى صدره بقوة ، وألقى نفسه إلى الأمام ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصة من مكان ما ، أطاحت بمسدس (مايكل) ، وبعدها اشتعلت الأضواء كلها ، وغمرت المكان كضوء الشمس ..

ومن خلف جدار قريب ، برزت (مارى) الدموية ، وهى تبتسم فى سخرية ، وتصوّب مسدسها إلى (آرثر) ، قائلة :

— ألق تلك اللعبة أيها الذكى ، وإلا أجبرتك على حقن نفسك بها .

حدّق (آرثر) فى وجهها فى سخط ، وتصاعدت دماء الغضب إلى رأسه ، مع ابتسامة (ويلكوكس) الساخرة ، وصوته البارد ، وهو يقول :

— هل تصوّرت أنك أكثر ذكاءً من سير (جون ويلكوكس) ، يافتى المخابرات البريطانى ؟ .. هراء أيها الصبى .. لقد ألف سير (ويلكوكس) هذه المعارك المثيرة ، قبل أن تبدل أنت سروالك القصير ، فى المدرسة الابتدائية .

قال (آرثر) فى حدة :

— ولكن كيف لم ينتقل التيار الكهربى إليك ؟

أطلق سير (ويلكوكس) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :

— إنه ليس تيارًا كهربيًا يافتى ، بل مجرّد ذبذبة قوية مرتفعة .

أطلّت المرارة من عينى (آرثر) ، فى حين اتجه (ويلكوكس) بحديثه إلى (مايكل) ، قائلًا :

— أخطأت بتصوّرك أن القوة يمكنها أن تحسم الصراع بيننا يا سير (مايكل)

أجابه (مايكل) فى برود ، دون أن يتوقّف عن تدخين غليونه :

— لماذا ؟ .. القوةَ مازالت إحدى أقوى الأساليب ، لحسم كل الصراعات .

أشار (ويلكوكس) إلى صدره ، قائلًا :

— ليس مع جون (ويلكوكس) .

ثم ضغط زرًا خفيًا بالجدار ، وهو يستطرد :

— انظر .

انزاح جزء من الجدار ، كاشفًا عن قفص صغير ، أشبه بأقفاص الحيوانات ، تحيط بـ (نوفا) و (شيلكو) ، اللذين هبا واقفين فى غضب ، عندما انزاح الجدار ، فى حين تابع (ويلكوكس) فى سخرية :

— ها هو ذا دليل حى ، على أن استخدام القوة مع سير (ويلكوكس) ، لا يؤدى إلا للخسارة .

أمسكت (نوفا) قضبان القفص فى غضب ، وهى تقول فى حدة :

— اقتلنا يا (ويلكوكس) .. اقتلنا قبل أن تفوتك الفرصة .

ارتسمت على شفتى (مارى) ابتسامة ساخرة ، وهى ترفع مسدّسها نحوها ، قائلة :

— حسنًا يا عزيزتى ، مادمت تتوسّلين من أجل هذا .

أطلّ الغضب من عينى (نوفا) ، كبركان ثائر ، وهى ترمقها بنظرة كالحمم ، قائلة :

— نعم أيتها الحمراء .. اقتلينى الآن ، وإلا فسأجعلك تندمين على كل لحظة مرّت بك ، منذ مولدك ، لو خرجت من هنا على قيد الحياة .

انعقد حاجبا (مارى) ، وهى تقول فى برود شرس :

— فليكن .

وجذبت إبرة مسدسها فى حسم ، ولكن سير (ويلكوكس) قال فى صرامة :

— ليس الآن .

بدا الغضب على وجهها ، ولكنها خفضت مسدسها ، متمتمة فى حدة :

— فليكن .

أما (آرثر) ، فقد أشار إلى القفص فى عصبية ، قائلاً :

— والآن ما الخطوة التالية يا سير (ويلكوكس) ؟ هل تنوى وضعنا فى قفص ثان ؟

ضحك سير (ويلكوكس) ، وهو يقول :

— بل قل ثالث يا رجل .

وبضغطة زر أخرى ، انزاح جانب آخر من الحائط ، كاشفًا عن قفص ثان ، يجلس داخله (جولدمان) فى انهيار ، ولم يكد يرى الواقفين أمامه ، حتى قفز يتعلّق بقضبان القفص ، هاتفًا :

— سير (ويلكوكس) .. أخرجنى من هنا .. أرجوك .. سأصاب بالجنون يا سير (ويلكوكس) .. إننى أكره الأماكن المغلقة .

أشار إليه (ويلكوكس) فى استهتار ، قائلاً :

— اهدأ يا رجل .. لقد حاولت رشوة حارسى الخاص ، وسرقة الصندوق ، وهذا جزاء عادل لما فعلت .

هتف (جولدمان) فى ضراعة :

— لقد كانت مجرّد مزحة يا رجل .. أخرجنى من هنا .. أرجوك .

لوّح (ويلكوكس) بيده ، قائلاً :

— ليس الآن يا مستر (جولدمان) .. لم يحن الوقت بعد .. لقد قررْت إجراء مزاد علنى لبيع الصندوق ، وسيتمّ هذا المزاد هنا .. بشروطى .

وضغط زرًّا ثالثًا ، ليكشف عن قفصين خاليين ، وهو يستطرد :

— بعد أن يتفضّل صديقى سير (مايكل) بدخول هذا القفص ، مع مساعده الأشقر العصبى ، الذى يتصوّر نفسه (جيمس بوند) الجديد .

هتف (آرثر) فى حدة :

— إننى أفضّل الموت .

تجاهله (ويلكوكس) تمامًا ، وهو يستطرد :

— ويبقى القفص الآخر للمخابرات المصرية ، عندما يسقط مندوبها (أحمد صدقى) فى يدى ، و ..

قاطعه صوت ساخر ، يقول :

— ياله من عرض طريف !

التفت الجميع فى حركة حادة إلى مصدر الصوت ، واتسعت العيون كلها فى ذهول ..

فهناك ، عند مدخل القبو ، كان يقف رجل هادىء ، يصوّب مسدسه إلى الجميع ..

وكان هذا الرجل هو (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

* * *

تجمّد الموقف كله لنصف دقيقة كاملة ، والجميع يحدقون فى وجه (أدهم) ، الذى يرتكن إلى الحائط فى استخفاف ، ويصوّب مسدسه وابتسامته الساخرة إليهم ، قبل أن يهتف (ويلكوكس) فى ذهول :

— كيف .. كيف وصلت إلى هنا ؟

ولكن (مارى) أزاحته عن الطريق فى حركة حادة ، وهى ترفع مسدسها نحو (أدهم) ، صارخة :

— دع السؤال لما بعد .

خيّل إليهم أن (أدهم) قد أطلق رصاصته بأكبر قدر رأوه فى حياتهم — كمحترفين — من الاستهتار واللامبالاة ، وعلى الرغم من ذلك فقد أصابت رصاصته مسدس (مارى) ، وألقت به إلى ركن الحجرة ، قبل أن يقول هو فى سخرية :

— معذرة يا عزيزتى (مارى) .. إننى أكره النساء المسلحات .

ثم اكتسى صوته بصرامة مباغتة ، وهو يستطرد :

— والآن يا (ويلكوكس) ، مر رجالك بإلقاء أسلحتهم ، ودخول ذلك القفص الكبير هناك .

قال (ويلكوكس) فى حدة :

— إننى أكره من يخاطبنى دون ألقاب .

أجابه (أدهم) فى سخرية :

— لا بأس .. مرهم بإلقاء أسلحتهم أيها الوغد (ويلكوكس) .. هل يروق لك هذا اللقب ؟

تفجّر الغضب فى وجه (ويلكوكس) ، وقال فى عصبية :

— وماذا لو لم أفعل ؟

أجابه (أدهم) فى صرامة :

— ستجد بصحبتك خمسة من رجالك ، فى أثناء رحلتك إلى الجحيم .

مرّت لحظة صمت قصيرة متوترة ، قطعتها (مارى) هاتفة :

— مرهم بقتله يا (ويلكوكس) .

ولكن (ويلكوكس) رمقها بنظرة متوترة ، وقال لرجاله :

— أطيعوا أمر هذا الرجل .

ألقى الرجال مدافعهم الآلية فى سخط ، وانحشروا داخل القفص ، وأغلقه أحدهم ، ثم ألقى المفتاح عند قدمى (أدهم) ، الذى ابتسم فى سخرية ، وقال :

— أحسنت .

وهنا قال (آرثر) فى عصبية :

— إذن فقد ربح المصريون المعركة :

هتفت (نوفا) فى حدة :

— ليس بعد .

والتفت (ويلكوكس) إلى (أدهم) ، يسأله :

— إنك لم تجب عن سؤالى بعد .. كيف نجحت فى الوصول إلى هنا ؟ .. كيف اخترقت جهازى الأمنى ؟

أجابه (أدهم) فى استهتار :

— ما من جهاز أمنى بلا ثغرات يا (ويلكوكس) .. لقد أحطت نفسك بجدار أمنى قوى ، ولكنك تركت ثغرة كبيرة .

سأله (ويلكوكس) في اهتمام بالغ :

ـــ أين هي ؟

أشار (أدهم) إلى أعلى ، مجيبًا :

ـــ السقف .

عقد (ويلكوكس) حاجبيه ، وهو يقول في حيرة :

ـــ السقف ؟! .. أي سقف ؟

أجابه (أدهم) :

ـــ السماء يا (ويلكوكس) .. لقد نسيت أن تؤمّن سماءك ، فأتيتك أنا منها .

اتسعت عيون الجميع ـــ بلا استثناء ـــ في دهشة ، وهتف (ويلكوكس) :

ـــ ماذا تعني ؟

أجابه بابتسامة ساخرة :

ـــ بوسيلة أبسط مما تتصوّر .. لقد استأجرت طائرة ، لعبر سماء قصرك ، وقفزت منها بمظلة هبوط إلى السطح ، ثم هبطت عبر المدخنة إلى حجرة الضيوف ، وكانت خالية لحسن حظي ، وبعدها التقيت برجلين من رجالك في الممر الخارجي ، وأجريت معهما حوارًا قصيرًا ، سقطا بعده فاقدي الوعي ، من شدة جاذبيتي ، فاستعرت مسدس أحدهما ، وأتيت إلى هنا .

ساد الصمت تمامًا داخل القبو ، والجميع يحدقون في وجهه غير مصدقين ..

وفجأة انفجر (ويلكوكس) ضاحكًا ..

انفجر كمن شاهد فيلمًا هزليًا رائعًا ..

ولثوان ، ظلّ الجميع يحدقون في وجهه بدهشة ، وهو يضحك كالمجنون ، فيما عدا (أدهم) ، الذي قال في سخرية :

ـــ عجبًا ! .. هل رأيت وجهك في مرآة خفية يا رجل ؟

توقّف (ويلكوكس) عن الضحك ، وقال في جذل عجيب :

ـــ لا يا مستر (صدق) .. لقد تعرّفتك دون لحيتك وشاربك ، ولكنني رجل رياضي ، تبهرني دائمًا الأساليب الجديدة المبتكرة ، وتخلب لبّي العقول الذكية الجريئة .

ثم أشار إلى (أدهم) ، مستطردًا في مرح :

ـــ وأعدك أنني سأنتبه جيّدًا إلى السماء ، في المرة القادمة يا مستر (صدق) .

قالت (توفا) في غضب :

ـــ هذا لو أنه هناك مرة قادمة .

تجاهلها (ويلكوكس) تمامًا ، وهو يسأل (أدهم) :

ـــ والآن ماشروط المنتصر يا مستر (صدق) ؟

أجابه (أدهم) في سخرية :

ـــ صحيح أنني أكره الأغبياء ، ولكن لا بأس .. سأحتمل هذه المرة يا (ويلكوكس) .. إنني أريد الصندوق .. صندوقنا الأسود .

سأله (ويلكوكس) في لهفة عجيبة :

ـــ مقابل ماذا ؟

رفع (أدهم) فوهة مسدسه نحوه ، وهو يقول ساخرًا :

ــ ما المقابل الذى تقترحه يا (ويلكوكس) ؟ .. رصاصة أم رصاصتين ؟

قهقه (ويلكوكس) ضاحكًا ، وقال :

ــ من الطريف أنك تتحدث كما لو كنت تملك كل الأوراق الرابحة يا مستر (صدق) .

قال (أدهم) فى برود :

ــ ألديك اقتراح آخر ؟

قال (ويلكوكس) فى حماس :

ــ بالتأكيد .

ثم أشار إلى (مارى) ، قائلًا :

ــ عزيزتى .. هلا كشفت ورقتنا لصديقنا المصرى .

رمقت (مارى) (أدهم) بنظرة نارية ، وقالت :

ــ بكل سرور .

والتفتت إلى الحائط المجاور ، فقال (أدهم) فى صرامة :

ــ مهلًا أيتها الدموية الحمراء .

توقفت والتفتت إليه فى حدة ، فأضاف ساخرًا :

ــ من المؤسف أننى لا أثق فى الأجنبيات ، وبالذات ذوات الشعر الأحمر .

ضحك (ويلكوكس) ، قائلًا :

ــ اطمئن يا مستر (أدهم) .. إنها لن تخدعك ، ويمكنك أن تطلق

النار على رأسى مباشرة ، لو فعلت .

تنقل (أدهم) بصره فى حذر ، بين (ويلكوكس) و (مارى) ، ثم قال :

ــ فليكن .

ابتسمت (مارى) فى استهتار ، ثم رفعت يدها تضغط زرًا أزرق .. وانزاح جانب أخير من الحائط ، ليكشف عن قفص زجاجى اسطوانى ، داخله مقعد ضخم ، استقر فوقه جسد معروف ، أشار إليه (ويلكوكس) ، قائلًا :

ــ ها هى ذى ورقتنا الرابحة يا مستر (صدق) .

وانعقد حاجبا (أدهم) فى قوة ، فقد كان الجسد الجالس على المقعد هو جسد أقرب الناس إليه ، فى ذلك الوقت ..

جسد (قدرى) ..

★ ★ ★

١٥ ـ النيران ..

كانت مفاجأة حقيقية لـ (أدهم) ، الذى تطلع فى توتر حقيقى إلى (فدوى) ، التى امتلأ وجهها بالرعب ، وهى مقيدة إلى ذلك المقعد الضخم ، فى حين أشار إليها (ويلكوكس) ، وقال فى زهو شامت :

ـ جهاز ذلك الأمنى أيضًا لم يخل من الثغرات يا مستر (صدق) .. لقد تحدثت إلىّ لأوّل مرة من حجرة زميلتك هذه ، وكان هذا خطأ فادحًا ؛ إذ أننى أمتلك جهازًا إليكترونيًّا حديثًا ، يتيح لى معرفة الرقم الذى يخاطبنى ، وبعدها يكفينى اتصال هاتفى صغير ، مع أحد رجالى فى إدارة الهاتف ، لأعرف عنوان ذلك الرقم .. ولقد كشفنا أمر زميلتك من اليوم الأوّل ، وألقت صديقتنا (مارى) القبض عليها ، وأحضرتها إلى هنا ، منذ نصف الساعة فقط .

صوّب (أدهم) مسدسه إليه ، وهو يقول فى غضب :

ـ أطلق سراحها يا (ويلكوكس) .. أو ..

قاطعه (ويلكوكس) مبتسمًا :

ـ مهلًا يا مستر (صدق) .. دعنى أتمّ حديثى أوّلًا .

ثم عاد ينظر إلى القفص ، مستطردًا :

ـ لو تطلّعت إلى القفص جيدًا ، فسترى وعاءً صغيرًا عند قدمى زميلتك ، يمتلىء بحامض الهيدروكلوريك ، وفوقه كيس صغير ، يحوى سيانيد البوتاسيم .. هل تدرك ما يمكن أن يحدث ، إذا ما أسقطنا سيانيد البوتاسيم ، فى حمض الهيدروكلوريك ؟

كان (أدهم) يدرك ماسيحدث بالضبط ، ولكنه لم ينبس ببنت شفه ، فتابع (ويلكوكس) ، وكأنه لم يكن ينتظر جوابًا :

ـ سيحدث تفاعل أنيق ، ينتج منه حمض هيدرات السيانيد ، وكلورات البوتاسيوم ، ويتصاعد غاز دخانى قاتل .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة ، وهو يستطرد :

ـ باختصار يا عزيزى (صدق) .. هذا القفص الزجاجى عبارة عن حجرة إعدام بالغاز .

كرّر (أدهم) فى غضب :

ـ اطلق سراحها يا (ويلكوكس) .

قال (ويلكوكس) فى برود :

ـ بل استسلم أنت يا مستر (صدق) ، وإلا أسقطت صديقتنا (مارى) الكرات داخل الحمض .

هتف (أدهم) فى غضب ، وهو يدير فوهة مسدسه إلى (مارى) :

ـ ومن سيسمح لها بذلك ؟

رفعت (مارى) كعب حذائها الرفيع عن الأرض ، وقالت فى حدة :

ـ حاول أن تمنعنى أيها المصرى ، ولكن ينبغى أن تعلم جيدًا أن زر إطلاق الغاز القاتل يختفى فى كعب حذائى ، ويكفى أن أضربه فى الأرض بقوة ، لتلقى زميلتك حتفها خنقًا .

شعر (أدهم) أنه قد سقط فى فخ حقيقى ..

وأنه يواجه اختيارًا مريرًا ..

كان عليه أن يحسم أمره ، فى تلك اللحظة ..

وبسرعة ..

هل ينقذ حياة (فدوى) ، ويتخلى عن الصندوق الأسود ، بعد أن بلغ هذه النقطة الحاسمة من الصراع ؟

أم يواصل تنفيذ خطته ، ويستعيد الصندوق ، مضحيًا بحياة (فدوى) ، من أجل وطنه ؟ ..

وخفق قلبه بين ضلوعه في مرارة ..

إنه يدرك حتمية الاختيار ..

وحتمية الخسارة ..

وفجأة حدث تدخل لم يحسبه أحد ..

لقد انقضّ (آرثر) بغتة على (مارى) ، صائحًا :

ـــ لا تستلم يا رجل .. أنت أملنا الأخير .

جذبها في سقطته أرضًا ، وأمسك قدمها في قوة ، يمنعها من ضرب كعبها بالأرض ، وهي تصرخ :

ـــ اتركني أيها الغبي .. اتركني .

ولم يضيع (أدهم) لحظة واحدة ..

كانت فرصة نادرة ، لم يعتد إضاعة مثلها قط ..

وفي حركة سريعة ، أدار فوهة مسدسه نحو القفص الزجاجي ، وأطلق ثلاث رصاصات مرتفعة ، حطمت جانب القفص ، وصنعت فيه فجوة كبيرة ، مع صرخة (ويلكوكس) :

ـــ لا .. لن تربح أبدًا .

اندفع (أدهم) نحو القفص ، واعترض (ويلكوكس) طريقه ، هاتفًا :

ـــ سأمنعك بالقوة .

ولكن (أدهم) كال له لكمة كالقنبلة ، انتزعته من مكانه ، وألقت به مترين إلى الخلف ، ثم قفز عبر فجوة القفص الزجاجي ، وهتفت به (فدوى) :

ـــ (أدهم) .. كنت أعلم أنك ستنقذني في اللحظة المناسبة ، كما يحدث في أفلام المغامرات .

أدار رأسها جانبًا ، وهو يقول :

ـــ اصمتي .

وأطلق رصاصة مزّقت قيد معصمها الأيمن ، وأخرى أزاحت قيد المعصم الأيسر ، فانحنت هي تحلّ وثاق قدميها ، في حين نهض (ويلكوكس) ينتزع مسدسه الصغير ، هاتفًا :

ـــ قلت لك لن تنتصر .

استدار (أدهم) إليه في سرعة ، وأطلق رصاصة من مسدسه ، أطاحت بمسدس (ويلكوكس) ، ثم حمل (فدوى) بذراعه ، وقفز بها خارج القفص الزجاجي ، في اللحظة التي ارتفع فيها صوت (مايكل) ، قائلًا في صرامة :

ـــ كفى .. انتهت اللعبة أيها السادة .

التفت الجميع إليه ، حتى (مارى) ، التي نجح (آرثر) في تقييد معصمها خلف ظهرها ، بعد أن خمشت وجهه بأظفارها ، ومزّقت لحم عنقه بأسنانها ، ورأوه يصوّب إليهم مدفعًا آليًا ، التقطه من بين الأسلحة ، التي ألقاها رجال (ويلكوكس) أرضًا ، عند قدوم (أدهم) ..

وفي حركة سريعة ، رفع (أدهم) مسدسه نحو (مايكل) ، وهو يقول في حزم :

ـــ أوافقك أنها قد انتهت يا سير (مايكل) ، ولكن لصالح من ؟

أجابه سير (مايكل) بابتسامة واثقة :

ـــ لصالحنا نحن بالطبع أيها المصرى .

جذب (أدهم) إبرة مسدسه ، قائلًا :

ـــ هل تراهن ؟

اتسعت ابتسامة سير (مايكل) ، وهو يقول :

ـــ ستخسر الرهان حتمًا أيها المصرى ، فالمسدس الذى تحمله من طراز قديم ، تحوى خزانته ست رصاصات فحسب ، وأظنك تذكر كم رصاصة أطلقت منه .

تهللت أسارير (ويلكوكس) ، وهو يهتف :

ـــ ست رصاصات .. نعم .. إننى أذكر هذا جيدًا .. لقد أطلق ست رصاصات .. رائع يا سير (مايكل) .. لقد انتصرت أنت .. كم يسعدنى أن يكون الفائز انجليزيًا .

قال سير (مايكل) فى صرامة :

ـــ الصندوق يا سير (ويلكوكس) .

تعلقت الأنظار كلها بـ (ويلكوكس) فى انتظار جوابه ، فأطلق هذا الأخير ضحكة متوترة ، وقال :

ـــ بالطبع يا سير (مايكل) .. بالطبع .. إنك تستحق عن جدارة .. وستحصل عليه .. قد أكون مغامرًا يا سير (مايكل) ، ولكننى انجليزى مخلص ، لا يمكننى خيانة وطنى أبدًا .

ثم تقدم نحو الحائط ، وضغط زرًا خفيًا آخر ، فانكشفت فجوة صغيرة ،



ثم حمل (فدوى) بذراعه ، وقفز بها خارج القفص الزجاجى ، فى اللحظة التى ارتفع فيها صوت (مايكل)..

يرقد داخلها الصندوق الأسود ، وتألقت عينا سير (مايكل) لرؤيته ، وانعقد حاجبا (آرثر) ، وهو يغمغم :

ــ ماهذا المكان ؟ .. مغارة (على بابا) ؟!

أما (جولدمان) ، فقد أمسك قضبان قفصه فى انفعال ، وكذلك فعلت (نوفا) ، وهما يتطلعان إلى الصندوق ، فى حين هتف (شيلنكو) :

ــ هل ستتركه للبريطانيين ؟

هتفت به (نوفا) فى صرامة :

ــ اصمت .

وغمغمت (فدوى) فى أسف :

ــ يا للخسارة !

فى حين لم ينبس (أدهم) ببنت شفه ، وهو يتابع الصندوق ببصره ، و (ويلكوكس) يحمله بيده إلى (مايكل) ، ويسلمه إياه ، قائلاً بابتسامة عصبية مضطربة :

ــ ها هو ذا يا سير (مايكل) .. سأقدّمه لك مجانًا .

ولم يكد (مايكل) يمسك الصندوق بيده ، حتى هتفت (نوفا) فى انفعال جارف :

ــ اقتله يا (مايكل) .. اقتله .

تراجع (ويلكوكس) بحركة غريزية عنيفة ، ثم استعاد ابتسامته العصبية ، وهو يقول :

ــ هل جننت أيتها السوفيتية ؟ .. يبدو أنك تجهلين طبيعة النبلاء ، فى جزيرتنا العريقة .. من المستحيل أن يقتل انجليزى بنى جنسه هكذا .

صاحت وكأنها لم تسمع عبارته :

ــ اقتله أيها الرفيق (مايكل) .. هذا أمر .

تفجّرت جملتها كالقنبلة فى المكان ..

اتسعت عيون (ويلكوكس) و (آرثر) ، و (جولدمان) ، و (فدوى) فى ذهول ..

وانعقد حاجبا (أدهم) و (مارى) ، و (مايكل) نفسه فى شدة ..

كانت الجملة واضحة ..

واضحة إلى حد جعل سؤال (ويلكوكس) يبدو غبيًا ، وهو يقول :

ــ ما معنى هذا يا سير (مايكل) ؟ .. ما معنى إضافتها كلمة (الرفيق) هذه ؟ وما معنى قولها : (هذا أمر) ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء ، وهو يرمق سير (مايكل) بنظرة صارمة :

ــ الأمر واضح للغاية يا (ويلكوكس) .. إن سير (مايكل أوليفر) ، نائب رئيس المخابرات البريطانية ، جاسوس سوفيتى .

صرخ (آرثر) :

ــ هذا مستحيل !

وصرخت (نوفا) :

ــ قلت لك اقتله .

وهنا هتف (مايكل) :

ــ كفى .. فليصمت الجميع .

هتف (آرثر) :

ــ قل لهم : إنهم مخطئون يا سير (مايكل) .. أخبرهم أنهم أغبياء ، وأنه

من المستحيل أن تكون أنت بالذات ..

قاطعه (مايكل) فى عصبية :

ـــ لا يوجد مستحيل يا (آرثر) .

اتسعت عينا (آرثر) فى ذهول وهلع واستنكار ، فى حين تابع سير (مايكل) فى توتر :

ـــ لا يوجد مستحيل فى عالمنا .. إننى أعمل لحساب السوفيت منذ ما يقرب من خمسة عشر عامًا .. أعمل معهم لأننى أومن بالمبادىء الشيوعية .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـــ بالتأكيد .. كل الأغبياء يفعلون هذا .

هتف (مايكل) :

ـــ هذا شأنى .. لقد ساعدتهم طيلة عمرى ، وسأظلّ أساعدهم حتى النهاية .

اتسعت عينا (ويلكوكس) فى ذهول ، وهو يهتف :

ـــ مستحيل !!

أما (آرثر) ، فقال كالمصعوق :

ـــ أنت ؟! .. أنت يا سير (مايكل) ؟

صاح به (مايكل) :

ـــ نعم .. أنا .. لا تحدّق فى وجهى هكذا كالأبلة .. هيا .. اترك تلك الحمراء ، وافتح ذلك القفص ، واطلق سراح (نوفا) وزميلها .

دفع (آرثر) (مارى) جانبًا ، وقال فى صرامة :

ـــ لن أفعل يا سير (مايكل) .. لن أفعل مهما كان الثمن .

بدا لحظة أن (مايكل) سيكرّر مطلبه فى صرامة ، ولكنه لم يلبث أن أشاح بوجهه عن (آرثر) ، وقال لـ (ويلكوكس) :

ـــ أطلق أنت سراحهما .

شحب وجه (ويلكوكس) ، وقال :

ـــ ولكن تلك الشقراء ستقتلنى لو فعلت يا سير (مايكل) .

صرخ (مايكل) :

ـــ أيها الجبناء .

ثم استدار فى حركة حادة ، وأطلق رصاصات مدفعه على زجاج القفص ، فحطمه تمامًا ، وأطلق سراح (نوفا) و (شيلنكو) ..

ولكنه أبعد وجهه عن ساحة المعركة لحظة ..

وفى هذه اللحظة حدث الكثير ..

الكثير جدًا ..

لقد دفع (أدهم) (قدرى) جانبًا ، وانقضّ على (مايكل) ، فى نفس اللحظة التى قفز فيها (آرثر) نحو أحد المدافع الآلية ، الملقاة أرضًا ..

وكال (أدهم) لـ (مايكل) لكمة كالقنبلة ، أطاحت به أرضًا ، وأسقطت مدفعه الآلى ، ثم انتزع منه الصندوق ، ودار على عقبيه فى رشاقة وسرعة ، وهوى بالصندوق على وجه (ويلكوكس) ..

واندفع (شيلنكو) و (نوفا) خارج قفصهما ، وانقضّ الأول على (أدهم) ، يحاول انتزاع الصندوق منه ، فى حين انقضت (مارى) على (آرثر) ، تحاول منعه من التقاط المدفع الآلى ، والتقطت (نوفا) مدفعًا آليًا ، رفعته فى وجه (ويلكوكس) ، صارخة :

ـ ستموت أيها الحقير .

صرخ (ويلكوكس) :

ـ لا .. لا ..

ولكن رصاصات مدفعها انهالت عليه كالمطر ..

واخترقت جسده بلا رحمة ..

وسقط سير (ويلكوكس) جثة هامدة ..

وصرخت (مارى) ، وقد نسيت صراعها مع (آرثر) :

ـ (ويلكى) ..

استدارت إليها (نوفا) ، وصرخت فى غضب هادر :

ـ الحقى به ، مادمت تحبينه إلى هذا الحد .

ولكن (أدهم) لكم (شيلنكو) فى اللحظة نفسها ، فارتطم بها ، وانطلقت رصاصات مدفعها نحو السقف ، فتراجعت (مارى) فى سرعة ، واندفعت نحو ممر القبو الطويل ، وخرجت من القبو صارخة :

ـ لقد قتلت (ويلكى) .. قتلت (ويلكى) .

وهبَّ (آرثر) فى الوقت نفسه ، ورفع المدفع الآلى فى صرامة ، صائحًا :

ـ كفى .

وأعقب هذا بإطلاق رصاصات مدفعه الآلى فى الهواء ، فتراجعت (فدوى) فى ذعر ، والتصقت بالحائط فى رعب ، فى حين توقفت (نوفا) عن الصراخ ، والتفتت إليه فى غضب ، ورفع (شيلنكو) ذراعيه ، وقال (أدهم) فى صرامة :

ـ هل ستقتلنا ؟

أجابه (آرثر) فى حدة :

ـ نعم .. ودون تردّد .. لو اقتضى الأمر هذا .

قالت (نوفا) فى حدة :

ـ وماذا لو أطلقت أنا النار عليك أوّلًا ؟

نهض (مايكل) ، وأمسك مدفعها الآلى ، وهو يقول فى حدة :

ـ لا يا (نوفا) .

وانتزع المدفع من يدها ، والتفت به إلى (آرثر) قائلًا فى حزم :

ـ لن أسمح لك بقتله .

ثم ضغط زناد مدفعه بغتة ، مستطردًا فى شراسة :

ـ سأقتله أنا .

وانطلقت رصاصات مدفعه تخترق جسد تلميذه ..

تلميذه الوحيد ..

* * *

لم يكن (آرثر) يتوقّع هذا .

حتى بعد كشفه لخيانة سير (مايكل) ، لم يتصوّر هذا أبدًا ..

لهذا حدّق فى وجه سير (مايكل) فى ذهول ، قبل أن يسقط جثة هامدة ..

وران الصمت لحظة قصيرة للغاية ، قبل أن يصفق (أدهم) بكفيه فى برود ، ويقول فى صوت قاس كالفولاذ :

ـ أهنئك يا سير (مايكل) .. هأنتذا تثبت أن الجواسيس والخونة

يكونون عادة رجالًا بلا قلب ، وأنت تقتل أقرب تلاميذك إليك بلا رحمة أو تردد .

أجابه سير (مايكل) فى حدة :

ـــ هذا قانون عالمنا .

قال (أدهم) فى صرامة :

ـــ أى عالم ؟ .. عالم المخابرات ، أم عالم الأوغاد ؟

هتفت (نوفا) :

ـــ ماذا تنتظر ؟ .. اقتله .

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

ـــ اتركى لى هذا الأمر يا (نوفا) .

ثم أشار إلى قفص قريب ، وقال :

ـــ هيا أيها المصرى .. ادخل مع زميلتك هذا القفص .

صاحت (نوفا) :

ـــ لن نتركهما خلفنا يا (مايكل) .. سنقتلهما حتمًا .

ولكنه تجاهلها هذه المرة ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ هيا أيها المصرى .. لن أنتظر طويلًا .

جذب (أدهم) (قدوى) من يدها ، وهو يقول :

ـــ لا يا (مايكل) .. لن ندخل إلى القفص .. سننصرف من هنا الآن ، و ..

وفجأة هوى (شيلنكو) على رأس (أدهم) بقبضته ، فى لكمة قوية عنيفة غادرة ، ارتجّ لها رأس (أدهم) فى قوة ، وسقط فاقد الوعى ..

وأطلقت (قدوى) صرخة هلع ، عندما سقط (أدهم) ، فرفعت (نوفا) عينيها إليها فى حدة ، وهتفت :

ـــ اصمتى يا امرأة .

ثم أشارت إلى (شيلنكو) ، مستطردة :

ـــ هيا .. ضعها مع زميلها داخل القفص .

والتفتت إلى (مايكل) ، تسأله :

ـــ ماذا تنوى أن تفعل بهما ؟ إن تلك اللعينة ، ذات الشعر الأحمر ستعود بعد قليل حتمًا ، مع رجال الحراسة ، الذين يحيطون بالقصر ، ولابد لنا من الفرار بسرعة .

أجابها فى حزم ، وهو يتابع (شيلنكو) ببصره ، وهو يحمل (أدهم) الفاقد الوعى إلى القفص :

ـــ خطأ .. إن بقاءنا هنا هو أفضل الحلول ، فلن يمكنهم اقتحام القبو ، ونحن ندافع عنه ، ثم إن رجال الشرطة سيقتحمون المكان بعد دقائق ، بحسب الخطة الموضوعة ، وسيتمّ إلقاء القبض على الجميع ، وعند حدوث ذلك ، سيكون كل من علم بأمر عمل لحسابكم قد لقى مصرعه .

أشارت إلى رجال (ويلكوكس) ، الذين انكمشوا فى رعب داخل قفص صغير ، وإلى (جولدمان) ، قائلة :

ـــ فيما عدا هؤلاء .

ألقى نظرة لامبالية على الرجال الخمسة و (جولدمان) ، ثم رفع فوهة مدفعه الآلى نحوهم ، وحصدهم بسيل من رصاصات المدفع بلا رحمة ، ثم قال فى برود :

— ها نحن أولاء قد أزحناهم عن الطريق .
أشارت إلى (أدهم) و (فدوى) ، اللذين وضعهما (شيلنكو) داخل القفص ، وقالت :
— وهؤلاء .
ابتسم (مايكل) ، قائلًا :
— سيلقيان المصير نفسه ، ولكن بوسيلة مبتكرة .
واتجه إلى الصندوق الزجاجى ، وحمل وعاء الحامض ، وكيس سيانيد البوتاسيوم ، ووضع الوعاء داخل القفص ، فتراجعت (فدوى) فى رعب ، وهى تقول :
— ماذا ستفعل بنا ؟
ارتفع صوت أبواق سيارات الشرطة ، مختلطًا بدوى رصاصات ، وهو يقول فى سخرية :
— مجرَّد تحية صغيرة .
ثم أشار إلى (نوفا) و (شيلنكو) ، قائلًا :
— احبسا أنفاسكما ، فسننصرف على الفور .
وألقى الكيس داخل الحامض ، وأسرع ينصرف معهما ، تاركًا (أدهم) فاقد الوعى ، و (فدوى) ترتجف من الرعب ، وإلى جوارهما وعاء صغير ، تتصاعد منه أبخرة الغاز ..
الغاز القاتل .

* * *

١٦ ـ العودة ..

تطلَّعت (منى) فى لهفة إلى (قدرى) ، الذى توقَّف عن السرد ، وراح يتلفَّت حوله ، ويتململ فى مجلسه ، وهتفت به :
— ماذا أصابك ؟ .. لِمَ لا تواصل روايتك ؟
أجابها فى عناد طفولى :
— أنا جائع .
قالت فى لهفة :
— أكمل الرواية ، وسأبتاع لك وجبة لم تحلم بها .
هزَّ كتفيه ، وقال :
— لا .. لن أحتمل الانتظار .
ونهض مستطردًا :
— سأذهب لإحضار بعض الشطائر ، و ..
صاحت فى حزم :
— مستحيل !
هتف معترضًا :
— لن يمكننى الاستمرار دون طعام .. لقد أرهقنى التحدُّث طويلًا ، وجفَّ حلقى من كثرة الكلام .
هبَّت صائحة :
— ولكننى لن أسمح لك بترك الحجرة لحظة واحدة .
وقفزت إلى الهاتف الداخلى ، فأدارت رقمًا قصيرًا ، وقالت :

— صباح الخير يا (صالح) .. أنا (منى) .. (منى توفيق) .. كيف حالك أنت .. اسمع يا (صالح) .. أريد ست شطائر من اللحم المشوى .

زمجر (قدرى) ، قائلاً :

— لن تكفى .

قالت ضاحكة :

— فليكن .. إجعلها عشرا يا (صالح) .

هزّ (قدرى) كتفيه المكتظين ، وغمغم :

— هذا لو أنك ترفضين مشاركتى الطعام .

ضحكت مرة أخرى ، وقالت :

— لاتنس إضافة أربعة زجاجات من المياه الغازية على الأقل ..وبسرعة .

ثم أعادت السمّاعة إلى موضعها ، وعادت إلى مقعدها ، وقالت لـ (قدرى) ، فى لهجة يقطر منها الفضول :

— والآن أخبرنى .. كيف نجا (أدهم) من قفص الغاز هذا ؟

تململ لحظة ، ثم تنهّد فى استسلام ، قائلاً :

— لا بأس .. سأخبرك .

وأخبرها ..

★ ★ ★

لم تشعر (فدوى) فى عمرها كله بالرعب ، مثلما شعرت به فى هذه

اللحظة ، عندما بدأت أبخرة الغاز القاتل تتصاعد من وعاء الحامض ، و (أدهم) يرقد على قيد خطوات منها فاقد الوعى ..

وبدا لها أنها النهاية ..

نهايتها ..

ونهاية (أدهم) ..

ولم تكد تذكر فى ذهنها اسم (أدهم) ، حتى انبعث فى أعماقها أمل جديد ، فانحنت تهزّ (أدهم) فى قوة ، وهى تقول :

— (أدهم) .. استيقظ .. حاول أن تستعيد وعيك يا (أدهم) .. هيا .. استيقظ .. أرجوك .

فتح (أدهم) عينيه فى بطء ، ثم اعتدل فى حركة حادة ، هاتفًا :

— هل سرقوا الصندوق ؟

أدهشتها استعادته المباغتة لوعيه وحيويته ، فحدّقت فى وجهه لحظة ، ثم هتفت فى ذعر :

— إنهم يقتلوننا بالغاز .

فهم الموقف كله من نظرة واحدة ، فأمسك يد (فدوى) فى قوة ، وهو يقول فى لهجة حازمة آمرة :

— ارقدى على وجهك .

أطاعته بلا مناقشة ، وهى تسأله :

— هل سينقذنا هذا ؟

أخرج من جيبه منديلًا ، أحاط به أنفها وفمها ، وهو يقول :

— ربما .. هذا الغاز خفيف الوزن ، يتصاعد إلى أعلى ، وستبقى

أرضية القفص محتفظة بالهواء النقى لفترة طويلة ، وهذا أملنا الوحيد ..
والآن اصمتى تمامًا ، فالحديث يضطرك إلى استهلاك هواء أكثر ، وغاز
أكثر .

سألته فى قلق :

ــ وماذا عنك ؟

ضغط رأسها إلى أسفل فى حزم ، حتى ارتطم أنفها بأرضية القفص ،
ثم كتم أنفاسه ، ونهض يفحص رتاج القفص فى اهتمام بالغ ..

كان رتاجًا تقليديًا ، يحتاج إلى مجرّد أداة رفيعة لفتحه ..

ولكن (أدهم) لم يكن يملك مثل هذه الأداة ..

وفى سرعة ، انحنى نحو (فدوى) ، وفحص شعرها بأصابع مرنة ،
قبل أن يلتقط منه مشبك شعر رفيع ، دسّه فى ثقب الرتاج ، وراح يعالجه
فى اهتمام وعناية ..

ومضت لحظات قصيرة ، بدت لـ (فدوى) أشبه بدهر كامل ، قبل
أن يرتفع صوت سقوط اللسان ، ثم تحيط ذراع (أدهم) القوية
بوسطها ، وتنتزعها من مكانها ، ووجدت نفسها تطير فى الهواء ، فى ذراع
(أدهم) ، ثم تهبط على قدميها وسط القبو ، و (أدهم) يهتف :

ــ هيا .. أسرعى .

انطلقا يعدوان عبر ممر القبو ، حتى بلغا بابه ، وتناهت إلى مسامعهم
أصوات الطلقات النارية ، التى يتبادلها رجال الشرطة مع رجال
(ويلكوكس) ، فهتفت (فدوى) :

ــ لن تنجح أبدًا .

قال فى صرامة :

ــ لا تكررى هذا القول قط .

أدار عينيه فى المكان بسرعة ، ثم دفع بابًا جانبيًا صغيرًا ، وهو يقول :

ــ ترى ما الذى يمكن أن نجده هنا ؟

تألقت عيناه ، عندما وقع بصره على دراجة بخارية جديدة ، تستقر
لامعة أنيقة ، داخل حجرة خاصة صغيرة ، وقال فى سخرية :

ــ لو أن خزان وقود تلك الدراجة الآلية ممتلئ بالوقود ، فسأشك فى
أن ملاكى الحارس يشاركنى هذه المهمة .

فحص خزان الوقود فى سرعة ، وهتف :

ــ رائع .

سألته فى لهفة :

ــ أهو ممتلئ ؟

هتف :

ــ بالطبع .

ثم قفز فوق الدراجة البخارية ، واستطرد :

ــ هيا أيتها الصحفية الجريئة .. اركبى خلفى ، وسأصحبك فى رحلة
فريدة ، يندر أن تتاح لصحفى فرصة القيام بها .

أسرعت تركب خلفه ، وهى تقول :

ــ اسرع .. إنهم يقتربون من هنا فى سرعة .

قال مبتسمًا :

ــ على الرحب والسعة .

ثم انطلق بالدرّاجة البخارية ، هاتفًا :

ــ تشبّثي جيّدًا .

تجاوز باب القبو في مهارة مدهشة ، وانطلق بالدرّاجة البخارية وسط الحديقة ، متجهًا نحو رجال الشرطة مباشرة ، وخُيِّل لـ (فدوى) أنها تشاهد آخر لحظات حياتها ، عندما رفع رجال الشرطة أسلحتهم نحو الدرّاجة البخارية ، وهتف قائدهم في قوة :

ــ توقّف .

تجاهل (أدهم) النداء تمامًا ، وانحرف بالدرّاجة في حركة حادة ، فانزلقت فوق الحشائش الرطبة ، وكادت تنقلب ، لولا مهارته الفريدة ، التي جعلته يسيطر عليها تمامًا ، ثم ينطلق بها بمحاذاة رجال الشرطة ، الذين راحوا يطلقون النار خلفه في استماتة ، وهو يناور بدراجته في مهارة مدهشة ، محاولاً بلوغ بوّابة القصر ..

ولكن قائد الشرطة أدرك هدفه ، فصاح في رجاله :

ــ اغلقوا البوّابة .. أطلقوا النار على أي شخص يحاول تجاوزها .

أطاع رجاله الأمر في سرعة ، ورأتهم (فدوى) يغلقون البوّابة ، فصرخت :

ــ لقد أغلقوها في وجهنا .

درس (أدهم) الموقف بنظرة سريعة ، توقّفت عند واحدة من سيارات الشرطة ، تقف على بعد ثلاثة أمتار من السور ، وقال في حسم :

ــ دعيهم يفعلون .

دار بالدرّاجة البخارية ، وانطلق بها مبتعدًا عن السور ، فهتفت به :

ــ أين سنذهب ؟

لم يجب ، وإنما واصل انطلاقه بالدرّاجة ، حتى صار على بعد مائتي متر من السور ، ثم استدار يواجهه مرة أخرى ، ويقول لـ (فدوى) في حزم :

ــ تشبثي بكل ما يمكنك من قوة .

تشبثت به بكل قواها ، وهي تسأله في ذعر :

ــ ماذا ستفعل ؟

لم يجب هذه المرة أيضًا ، وإنما أطلق العنان للدرّاجة البخارية ، التي شقت طريقها نحو السور كالصاروخ ، فاتسعت عينا (فدوى) في رعب ، وتوقّف الجميع عن إطلاق النار ، وقائد الشرطة يقول في توتر حائر :

ــ ماذا ينوي هذا الأحمق أن يفعل .

كان (أدهم) يتجه في سرعة مخيفة نحو السور ، وكأنه ينوي الارتطام به ، فاحتبست أنفاس الجميع ، وأطلقت (فدوى) شهقة رعب ، وأغلقت عينيها في قوة ..

ثم جذب (أدهم) مقود السيارة إلى أعلى ، وقفز بها فوق سيارة الشرطة ، و ..

وكان مشهدًا مذهلاً ..

مشهدًا لن ينساه شخص واحد ممن رأوه ، مهما بقي له من العمر ..

لقد قفزت الدرّاجة البخارية من فوق سيارة الشرطة كالصاروخ ، وقطعت الأمتار الثلاثة التي تفصلها عن السور ، كطائرة صغيرة ، قبل أن



لقد قفزت الدرّاجة البخارية من فوق سيارة الشرطة كالصاروخ ، وقطعت الأمتار الثلاثة التى تفصلها عن السور ، كطائرة صغيرة ..

تتجاوز السور المرتفع ، ثم تبدأ فى الهبوط خلفه ..

واتسعت العيون فى ذهول ..

وفى انبهار ، غمغم قائد الشرطة :

ــ يا للمجنون ! .. سيتحطّم حتمًا ..

ولكن الدرّاجة هبطت فى سرعة ، وارتفع إطارها الأمامى بجذبة من يد (أدهم) ، قبل أن يلمس إطارها الخلفى الأرضى ، فى مشهد مبهر ..

(فدوى) وحدها ، دون الحاضرين جميعًا ، لم تر ذلك المشهد ..

لقد تشبّثت بـ (أدهم) ، بكل ماتملك من قوة ، وهوى قلبها بين ضلوعها ، عندما شعرت بالدرّاجة تقفز فى الهواء ، وهى مغمضة العينين ، ثم كادت معدتها تقفز عبر فمها ، مع هبوط الدرّاجة ..

وعندما استقرّ الإطار الخلفى للدرّاجة على الأرض ، أطلقت صرخة ذعر ، خُيّل إليها أن الدرّاجة ستنقلب رأسًا على عقب ، ولكن مهارة (أدهم) المذهلة سيطرت على الموقف تمامًا ، على نحو مبهر ، حتى أنه لم يكد الإطار الأمامى يبلغ الأرض بدوره ، حتى انطلق (أدهم) بالدرّاجة مبتعدًا كالصاروخ ..

وعم الذهول ثوان ، تجمّدت خلالها الحركة تمامًا ، قبل أن ينتزع قائد الشرطة نفسه من ذهوله ، ويصرخ :

ــ الحقوا به .. أوقفوا هذا الشيطان ..

ولكن هيهات ..

لقد فرّ الصيد ..

وبدأت جولة جديدة ..

* * *

١٧ ــ لعبة انتحارية ..

تطلّعت (فدوى) إلى وجه (أدهم) الحليق ، فى إعجاب وانبهار كاملين ، وتأبّطت ذراعه فى حب واضح ، وهى تقول فى هيام :

ــ يا إلهى ! .. لم أحلم يومًا بكل هذه السعادة .

تطلّع (أدهم) إليها فى دهشة ، وهما يسيران جنبًا إلى جنب ، بعد أن تخلّص من الدرّاجة البخارية ، وقال فى سُخرية :

ــ السعادة ؟! .. هل تجدين سعادتك فى الفرار من القتلة واللصوص ؟

أجابته فى همس :

ــ بل فى أن تحيط بى المخاطر من كل صوب ، ويحدق بى الموت فى كل جانب ، ثم يأتى فارس أحلامى الهمام ، وينقذنى من كل هذا ، ويحملنى على صهوة جواده الأبيض ، و ..

قاطعها متهكمًا :

ــ ويلقى بك فى البئر المسحورة .

عقدت حاجبيها ، وهى تهتف فى غضب :

ــ (أدهم) .. لا تفسد الصورة .

قال ساخرًا :

ــ أية صورة ؟ .. إننا نواجه موقفًا لا نُحسد عليه ، وأنت تتخيلين عالمًا رومانسيًّا .

قالت فى حدة :

ــ ولِمَ لا ؟ .. لن يغير أحلامى ما نواجهه .

أجابها فى حسم :

ــ ولكنها ستلهينا عنه .

هتفت :

ــ وماذا يمكننا أن نفعل الآن ؟

أجاب فى صرامة :

ــ سأكمل مهمتى .

قالت محنقة :

ــ أية مهمة ؟ .. لقد حصل سير (مايكل) و (نوفا) و (شيلنكو) على الصندوق ، ولست تدرى حتى أين هو الآن ، فى (لندن) مع نائب مدير المخابرات البريطانية ، أم فى (موسكو) ، خلف الستار الحديدى (*)

أجابها فى ثقة :

ــ إنه فى (موسكو) حتمًا ، فما دام (مايكل أوليفر) عميلًا سوفيتيًّا ، فلن يسلّم الصندوق إلى البريطانيين ، بل سيساعد (نوفا) و (شيلنكو) على الفرار به إلى (موسكو) .

(*) الستار الحديدى= مصطلح أطلقه الغرب على أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتى ، نظرًا للسرية الشديدة ، التى تحيط بها هذه الجبهة كل أمورها ، ولإصرار السوفيت على اعتبار كل أجنبى جاسوسًا ، حتى يثبت العكس ، ولقد انتهى كل هذا فى أواخر الثمانينات ، على يد الزعيم السوفيتى (ميخائيل جورباتشوف) .

قالت فى توتر :

ـــ وهذا يجعل اللعبة فى حكم المنتهية .

قال فى صرامة :

ـــ من قال هذا ؟ .. إنهم ما زالوا يجهلون الشفرة السرية لفتح الصندوق ، وهذا يعنى أننا نملك بعض الوقت .

هتفت :

ـــ بعض الوقت لماذا ؟

أجاب فى حسم :

ـــ للسفر إلى (موسكو) ، ومحاولة استعادة الصندوق .

تجمدت فى مكانها ، وحدقت فى وجهه فى رعب وذهول ، قبل أن تهتف :

ـــ هل جننت يا (أدهم) ؟ .. ألا تدرك من هم السوفيت ، وكيف يتعاملون مع الأجانب ، خلف ستارهم الحديدى ؟

هز كتفيه ، وقال :

ـــ إننى لم أتعامل معهم من قبل ، ولكننى أعرفهم جيدًا .

صاحت :

ـــ لن أتركك وحدك .

تطلع إليها لحظة فى صمت ، ثم ابتسم فى حنان ، وهو يمسك كتفيها ، ويتطلع إلى عينيها ، قائلًا :

ـــ اسمعينى جيدًا يا (فدوى) .

قاطعته هاتفة :

ـــ أصبحت أمقت هذه الجملة .

تنهد قائلًا :

ـــ لا بأس .. احتمليها للمرة الأخيرة ، وأرهفى سمعك .. لست أدرى كيف أصبحنا لصيقين إلى هذا الحد ، ومن المؤكد أن أى زميل لى سيصاب بالذهول ، لو سمع ما نتحدث فيه ، وسيكون لرؤسائى كل الحق فى مجازاتى ؛ لأننى أصطحب صحفية فى مهمة رسمية ، من مهام المخابرات ، المفروض إحاطتها بأكبر قدر ممكن من السرية والكتمان ، ولكن الأمور لم تعد تحتمل التفكير فى مثل هذه العواقب .. المهم أن تستيقظى من الحلم قبل فوات الأوان .. إنك لست فتاة مخابرات يا (فدوى) .. إنك صحفية ، وأكرر أنك لا تستطيعين كتابة حرف واحد من كل هذا ، فى أية صحيفة ، فلماذا تخاطرين بنفسك إذن ؟

لم تجب ، ولكن عينيها أفصحتا عن الكثير ، فتابع فى حنان عجيب :

ـــ فى هذه المرة سأطالبك بالانتظار ، والرحيل إلى (القاهرة) ، فكما قلت بنفسك : (الاتحاد السوفيتى) ليس دولة عادية .. وعواقب الخطأ هناك وخيمة ، والتعامل خلف الستار الحديدى يحتاج إلى المحترفين .. والمحترفين فقط .

اغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تتطلع إليه ، هامسة :

ـــ إننى أحبك .

تطلع إلى عينيها بنظرة عميقة صامتة ، قبل أن يقول فى خفوت :

ـــ ارحل يا (فدوى) .. ارحل قبل فوات الأوان .

ثم أفلت ساعدها من يده ، وكرر :

— ارحلى .

وابتعد عنها فى خطوات سريعة ..

وحاسمة ..

* * *

على الرغم من الطقس شبه الحار ، الذى ساد القارة الأوربية ، فى هذا الوقت من العام ، كان الطقس فى (موسكو) شديد البرودة ، وإن لم يبلغ بعد تلك الدرجة الرهيبة من الانخفاض ، التى تكاد تتجمَّد لها الكلمات على الشفاة ، مثلما يحدث فى فصل الشتاء ..

وفى حجرة مكيَّفة الهواء ، تطلّ على الميدان الأحمر مباشرة ، وقف (شيلنكو) عاقدًا كفيه خلف ظهره ، مرتديًا ثوبًا عسكريًّا سوفيتيًّا رسميًّا ، ومتطلعًا فى توتر بالغ إلى شاب فى مثل سنه تقريبًا ، انهمك فى فحص الرتاج السرى للصندوق الأسود الصغير ، وإلى جواره (نوفا) ، التى سألته فى عصبية :

— ألم تعثر على الشفرة السرية بعد ؟

أجابها الشاب فى هدوء :

— رويدك أيتها الرفيق (نوفا) .. إنها شفرة من تسعة أرقام ، وتحتاج إلى مليونى محاولة على الأقل لفتحها .

هتفت محنقة :

— وهل سأقضى عمرى كله فى انتظار هذا ؟

عقد (شيلنكو) حاجبيه ، وقال متوترًا :

— وما الذى يقلقك إلى هذا الحد ، أيتها الرفيق (نوفا) ؟ .. لقد حصلنا على الصندوق ، وأمامنا العمر كله لفتحه .

لوَّحت بذراعها ، هاتفة :

— خطأ يا رفيق (شيلنكو) .. هذا الصندوق يحوى اسم عميل (الموساد) بين صفوفنا ، وكشف أمر هذا العميل مبكّرًا ، يعنى منعه من نقل المزيد من أسرارنا إلى الاسرائيليين .

ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يتمتم :

— بلا شك أيتها الرفيق (نوفا) .. بلا شك .

استدارت هى إلى الشاب الآخر ، وسألته :

— كم من الوقت تحتاج ، لحل تلك الشفرة السرية ؟

هزّ كتفيه ، مجيبًا :

— من يدرى ؟ .. ربما أتوصَّل إلى الرقم الصحيح بعد دقائق ، أو بعد عدة شهور ؟

صرخت مستنكرة :

— عدة شهور .

ارتفع رنين هاتفها الخاص فى هذه اللحظة ، يمنعها من الاستطراد ، فاختطفت سمّاعته فى حركة حادة ، ووضعتها على أذنها ، قائلة :

— من المتحدّث ؟

زوت مابين حاجبيها فى اهتمام بالغ ، وهى تستمع إلى محدثها ، وقالت فى اقتضاب غامض :

— متى ؟

استمعت إليه لحظات أخرى ، ثم أجابته فى حزم :

ــ سأصل على الفور .

وأعادت سمّاعة الهاتف ، وهى تقول للشاب فى صرامة :

ــ واصل محاولاتك لفتح هذا الصندوق اللعين ، وسأعود بعد قليل .

سألها (شيلنكو) ، وهى تسرع نحو باب الحجرة :

ــ ماذا هناك ؟

لوّحت بكفها ، هاتفة :

ــ مشكلة تتعلّق بالأمن .

وأغلقت الباب خلفها فى قوة ، فانعقد حاجب (شيلنكو) أكثر وأكثر ، واتجه إلى الشاب المنهمك فى حل الشفرة ، وقال فى لهجة آمرة صارمة :

ــ أريدك أن تبلغنى ، فور توصلك لسر الشفرة .

أجابه الشاب :

ــ سأخبركما بالطبع أيها الرفيق (شيلنكو) ، و ..

قاطعه فى صرامة :

ــ بل تخبرنى أنا أيها الرفيق . أريد أن أعلم بالأمر ، قبل أن تعلم به (تونا) .

ارتبك الشاب ، وقال :

ــ ولكن أيها الرفيق ..

قاطعه (شيلنكو) مرة أخرى :

ــ نفذ ما آمرك به أيها الشاب .. إنه عمل أمنى .

شحب وجه الشاب ، وغمغم :

ــ كما تأمر أيها الرفيق .. كما تأمر .

ولكنه لم يفهم سر مطلب (شيلنكو) ..

لم يفهمه أبدًا ..

* * *

انطلقت سيّارة إيطالية صغيرة ، بمحاذاة الحدود (السوفيتية ــ الفنلندية) ، وأخذ سائقها يتطلّع إلى خط الحدود فى اهتمام بالغ ، ثم لم يلبث أن توقّف عند لافتة كبيرة ، تحمل ، بالانجليزية ، والفرنسية ، والروسية ، والألمانية ، تحذيرًا واضحًا ، يقول :

ــ الحدود السوفيتية .. عبور اللافتة يعدّ تعديًا غير مشروع على الحدود ، ويستوجب إطلاق النار مباشرة ، دون إنذار .

ابتسم سائق السيارة فى سخرية ، وهو يقول :

ــ كان ينبغى أن توضع اللافتة فى الناحية الأخرى ، فعدد الذين يعبرون الحدود ، فرارًا إلى (فنلندا) ، يفوق حتمًا عدد الحمقى ، الذين يلقون أنفسهم فى الجحيم السوفيتى .

وتحسّس مسدسه ، داخل جيب معطفه ، ثم غادر السيارة ، وعبر اللافتة إلى الناحية الأخرى ، مستطردًا :

ــ وأنا واحد من هؤلاء الحمقى .

لم يكن ذلك السائق سوى (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ، الذى قرّر إكمال اللعبة على أرض الخصم ..

أرض الثلوج ..

والخطر ..

والموت ..

وفى سرعة وحذر ، راح يقطع طريقة ، عبر غابة ضخمة ، مترامية الأطراف ، وهو يدرس كل موضع ، يمكن أن تطأه قدمه ..

كان يعلم أن السوفيت لا يمكنهم إحاطة حدودهم بسور شائك متصل ، ولكنهم يعوضون هذا النقص بدوريات حراسة لا حصر لها ، وعدد ضخم من الفخاخ ، المنتشرة فى كل مكان ، والتى لا يملك سوى قادة دوريات الحراسة ، خرائط توزيعها وانتشارها ..

وكان عليه أن يقطع الطريق ، من الحدود إلى (لينينجراد) ، ثم يستخدم وسيلة خاصة تنقله إلى (موسكو) ..

هكذا تقتضى خطته ..

وفى حزم كامل ، وإصرار مدهش ، قطع (أدهم) ثلاثة كيلو مترات كاملة ، داخل الأراضى السوفيتية ، قبل أن يتناهى إلى مسامعه من بعيد صوت سيارة ، تابعة لواحدة من دوريات الحدود ، وهى تقترب ، فاستل مسدسه فى سرعة ، واختفى خلف جذع شجرة ضخمة ، وراقب السيارة ، التى اقتربت فى سرعة ، وعلى متنها ضابط سوفيتى ، مع أربعة جنود مسلحين ، وبدا للوهلة الأولى أنها ستمضى فى طريقها دون توقف ، ولكن الضابط هتف بالسائق فجأة :

ـ قف .

ضغط السائق كابح السيارة ، التى انزلقت قليلًا فوق الأرض الزلجة ،

قبل أن تتوقف تمامًا ، ويهبّ الضابط واقفًا ، وهو يهتف :

ـ هناك شىء يتحرّك .

حبس (أدهم) أنفاسه ، وجذب إبرة مسدسه فى تحفّز ، عندما قفز الجنود خارج السيارة ، وسأل أحدهم ضابطه :

ـ أين أيها الرفيق الضابط ؟

انتزع الضابط مسدسه بدوره ، وهو يشير إلى شجرة قريبة ، قائلًا :

ـ هناك .. خلف جذع هذه الشجرة ..

وكان يشير إلى الشجرة التى يختفى خلفها (أدهم) .. مباشرة .

* * *

١٨ ـ الذئب ..

شعرت (فدوى) بتوتر بالغ ، وهى تجلس داخل حجرة الأمن ، فى مطار (موسكو) ، وراحت تلعن تلك الفكرة الحمقاء ، التى دفعتها إلى المجىء إلى (موسكو) ، خلف (أدهم) ..

لقد قاومت الفكرة فى تخاذل شديد ، عندما طرأت بذهنها فى (لندن) ، ولكنها لم تلبث أن استسلمت لها ، وغذتها بحبها له ، فأسرعت ببطاقتها الصحفية ، وجواز سفرها ، إلى السفارة السوفيتية بـ (لندن) ، وطلبت الحصول على تأشيرة دخول للأراضى السوفيتية ..

لم تكن العلاقات المصرية السوفيتية على ما يرام ، فى تلك الآونة ، وعلى الرغم من هذا منحتها السفارة تأشيرة الدخول على الفور ، على عكس المتبع فى السفارات السوفيتية عادة ..

وفى فجر اليوم التالى ، استقلت (فدوى) أول طائرة إلى (موسكو) ..

وعندما بلغت العاصمة السوفيتية ، راجع ضباط الجوازات جوازها فى دقة فائقة ، تجاوزت حتى إجراءات الأمن المشددة ، التى اشتهرت بها إدارة أمن المطارات والموانى ، فى (الاتحاد السوفيتى) ..

وبعد ساعة كاملة ، انهارت خلالها أعصابها ، أو كادت ، اتجه إليها ضابط الجوازات الأول ، وقال فى لهجة باردة متعجرفة :

ـ ستضطرين إلى الانتظار معنا بعض الوقت .

انهار قلبها بين قدميها ، وهى تقول فى ارتياع :

ـ لماذا ؟ .. أوراقى كلها سليمة ، وتأشيرتى قانونية ، و ..

قاطعها الضابط فى صرامة :

ـ ستنتظرين .

كان من الواضح أنه غير مستعد للنقاش ، أو حتى لتقديم تفسيرات مناسبة ، لذا فقد استسلمت له وهى ترتجف رعبًا ، خشية أن يزيد اعتراضها الطين بلّة ، وها هى ذى تجلس فى حجرة الأمن ، أقرب إلى الجثة الهامدة ، منها إلى الأحياء ، بعد كل ما تعرّضت له من شد عصبى ، كاد يمزّق أعصابها فى البداية ..

وفجأة انتفض جسدها كله فى عنف ، واتسعت عيناها فى رعب ، حتى كادتا تقفزان من محجريهما ، وهوى قلبها فى هوة عميقة ، عندما رأت أمامها تلك الابتسامة المخيفة ، التى تجمع مابين السخرية والشماتة والظفر .

ابتسامة (نوفا) ..

وران الصمت لحظة واحدة ، كاد قلب (فدوى) يتوقف خلالها ، من شدة الرعب ، وهى تحدّق فى وجه (نوفا) ، التى قطعت حبل الصمت ، وهى تقول فى نصر :

ـ كنت أعلم أنك ستأتين .

لم تجد (فدوى) ماتقوله ، سوى تلك الحشرجة المنهارة ، التى يميز خلالها المرء عبارة واحدة :

ـ إننى صحفية .

أطلقت (نوفا) ضحكة عالية ساخرة ، وقالت :

— حقًا ؟! .. يالها من حجة واهية تافهة .

تفجرت الدموع من عينى (فدوى) ، وهى تهتف :

— أقسم لك إننى مجرد صحفية ، و ..

انقضت (نوفا) عليها بغتة فى عنف ، وجذبتها من شعرها فى قسوة ، وهى تصرخ :

— خطأ أيتها الذكية .. لا تحاولى استخدام تلك الخدعة مرة أخرى ؛ فأنا أكره أن تتصور امرأة أنها أكثر ذكاءً منى .

تأوهت (فدوى) فى ألم ، واختنقت الكلمات فى حلقها ، و (نوفا) تواجهها قائلة :

— أين هو ؟

غمغمت (فدوى) فى انهيار :

— من ؟

صرخت بها (نوفا) :

— زميلك رجل المخابرات ، الذى ينتحل اسم (أدهم صبرى) ، أو (أحمد صدق) ، أو (هنرى لويد) .. أى اسم ينتحل هنا .. (سيرجى) ، أم (إيفان) ، أم (راينوفيتشى) ؟ .. هيا .. اخبرينى ، قبل أن ينفد صبرى .

قالت (فدوى) ، ودموعها تغمر وجهها :

— لست أعرف شيئًا عنه .. أقسم لك .

صرخت (نوفا) :

— هكذا ؟! .. فليكن أيتها المصرية .. أنت أردت هذا .. أنت أردت

الوقوع فى قلب الجحيم .

ثم دفعتها إلى أحد رجالها ، مستطردة فى غلظة :

— احملها إلى مكتبى ، ومر الرفيق (يوركوف) بموافاتى هناك .

لم تكد تذكر اسم (يوركوف) ، حتى اتسعت عينا الجندى فى رعب ، كما لو أنها قد ذكرت اسم ملك الموت نفسه ، ثم اسرع يحيط معصمى (فدوى) بالأغلال ، ويدفعها أمامه إلى السيارة ، فى حين أشعلت (نوفا) واحدة من سجائرها فى عصبية ، وهى تقول :

— ستعترف .. ستفعل حتمًا .. مامن بشر يمكنه أن يتحدى أسلوبى الخاص .

وكانت على حق ، فأسلوبها الخاص هذا قطعة من الجحيم .. قطعة كبيرة ..

* * *

رفع الجنود السوفيت مدافعهم الآلية فى حزم ، وبدأوا يتحركون نحو الشجرة ، التى يختفى خلفها (أدهم) ، الذى استعد بمسدسه فى تحفز ، وهو يتساءل عن كيفية كشف أمره ، على الرغم من ثقته فى أنه يجيد الاختفاء خلف جذع الشجرة ، و ..

وفجأة هتف الضابط :

— مهلًا يا رجال .. إنه مجرد ذئب .. هيا بنا .

تنهد الرجال فى ارتياح ، وخفضوا أسلحتهم ، واستداروا ليعودوا إلى السيارة ، فى نفس اللحظة ، التى غمغم فيها (أدهم) فى قلق :



كان ذئبًا رماديًا ضخمًا ، برزت أنيابه الحادة فى وحشية ، وراحت مخالبه تخمش الأرض فى حذر ..

ــ ذئب ؟!

لم يكد ينطق الكلمة ، حتى استقبلت أذنه تلك الزمجرة الشرسة ، فالتفت إليها فى حركة حادة سريعة ، ووقع بصره عليه ..

على الذئب ..

كان ذئبًا رماديًا ضخمًا ، برزت أنيابه الحادة فى وحشية ، وراحت مخالبه تخمش الأرض فى حذر ..

وفى سرعة ، صوّب (أدهم) مسدسه إلى الذئب ، ثم تجمّدت سبابته على الزناد ..

إنه لن يستطيع إطلاق النار ، قبل انصراف سيارة الدورية ، وابتعادها بقدر كاف ..

ولكن هل ينتظر الذئب ؟

كان من الواضح أن الحيوان الشرس يدرس خصمه جيدًا ، قبل الانقضاض عليه ، وأنه جائع ، إلى الحد الذى يكفيه لقتال شرس عنيف ، يفوق قدراته التقليدية ..

ولم يكن الجنود قد صعدوا إلى السيارة بعد ..

واحتبست أنفاس (أدهم) فى صدره ، وهو يختلس نظرة إلى السيارة ، وأخرى إلى الذئب ..

كان الذئب جامدًا فى مكانه ، يزمجر فى خفوت ، فى حين صعد الجنود كلهم إلى السيارة ، واتخذ الضابط مقعده ، إلى جوار السائق ، وقال :

ــ هيا .. انطلق .

وكأنما كان الأمر موّجهًا إلى الذئب ، فلم يكد يسمعه ، حتى انقضّ

بغتة على (أدهم) ، ودفعه ليسقطا معًا ، بعيدًا عن جذع الشجرة ، فى نفس اللحظة التى بدأت فيها السيارة فى التحرّك ..

وصرخ أحد الجنود :

ـــ رجل .. هناك .

توقّفت السيارة مرة أخرى فى عنف ، وتطلّع السوفيتى لحظة واحدة إلى (أدهم) ، الذى يدفع الذئب بعيدًا عنه ، ويصدّ هجومه فى شراسة ، ثم صاح الضابط :

ـــ أحضروا هذا الرجل .

وقفز الجنود من السيارة على الفور ، ورفعوا مدافعهم الآلية ، وهم يندفعون نحو (أدهم) ..

وأدرك (أدهم) أنهم قد كشفوا أمره ، ولم يعد هناك طائل من محاولة الاختباء ، فرفع فوهة مسدّسه إلى رأس الذئب ، وقال فى ضيق :

ـــ معذرة .. أنت أجبرتنى على هذا .

انطلقت رصاصة تخترق جمجمة الذئب ، الذى أطلق عواءً قصيرًا ، والدماء تتفجّر من جمجمته ، وتلوّث وجه (أدهم) ، وصدره ، ويده ، ومسدّسه ، ثم سقط جثة هامدة ، فى نفس اللحظة التى تصوّر فيها الجنود السوفيت ، أن الرصاصة هى محاولة مقاومة ، فرفعوا فوهات مدافعهم الآلية ، وأطلقوا النار نحو (أدهم) ..

مباشرة ..

★ ★ ★

تطلّع (شيلنكو) فى دهشة إلى (نوفا) ، التى اقتحمت مكتبها فى حدة ، وهى تدفع أمامها (فدوى) ، وتوقّف الشاب الذى يعمل فى محاولة فتح القفل السرى للحقيبة عن عمله ، وتطلّع إلى (نوفا) فى قلق ، فصاحت به فى صرامة :

ـــ واصل عملك يا (مينوفيتش) .

أدار الشاب رأسه فى سرعة إلى عمله ، وتصبّب وجهه عرقًا ، على الرغم من برودة الجو ، و (شيلنكو) يسأل (نوفا) فى دهشة :

ـــ أليست هذه زميلة رجل المخابرات المصرى ؟

أجابته (نوفا) ، وهى تدفع (فدوى) للجلوس على مقعد كبير فى قسوة :

ـــ إنها هى .

سألها فى دهشة :

ـــ أهذه هى مكالمة الأمن ، التى تلقيتها منذ ساعة تقريبًا ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تقيّد (فدوى) المذعورة إلى مقعدها ، ثم أجابت :

ـــ نعم .. لقد طلبت من سلطات المطار إبلاغى بحضورها ، فور وصولها ، واحتجازها لديهم ، حتى أبت فى أمرها .

هتف :

ـــ أكنت تعلمين أنها ستأتى ؟

اعتدلت ، وقد انتهت من إحكام وثاق (فدوى) ، وأجابت :

ـــ بالطبع .. لقد أثبت زميلها أنه عنيد للغاية ، ومادام يعلم أنه من

العسير التوصل إلى الشفرة السرية لفتح الصندوق ، فلن يتردد فى المجىء إلى هنا ، لمحاولة استعادته ، ووجودها دليل على وجوده .

لم تفهم (فدوى) حرفًا واحدًا من هذا الحوار ، الذى تمّ باللغة الروسية ، حتى التفتت (نوفا) إليها فى حركة حادة ، وسألتها :

ـــ والآن أيتها المصرية ، ستجيبين على أسئلتى ، فى محاولة أخيرة لدرء العذاب عنك .. ما الاسم الذى ينتحله زميلك ؟ وما خطته للوصول إلى هنا ؟

أجابتها (فدوى) فى انبهار :

ـــ لست أدرى .. أقسم لك .

انعقد حاجبا (نوفا) فى قسوة ، وهى تقول :

ـــ أخطأت أيتها الغبية ، وأضعت فرصتك الأخيرة .

ثم صاحت فى غضب :

ـــ (بوركوف) .

دلف إلى مكتبها رجل ضخم الجثة ، غليظ الملامح ، قصير الشعر ، قال فى صوت ضخم خشن :

ـــ فى خدمتك أيتها الرفيق (نوفا) .

ألقت إليه أمرًا باللغة الروسية ، فتألقت عيناه فى شراسة جذلة ، قبل أن تلتفت هى إلى (فدوى) ، وترمقها بنظرة شامتة ، مكررةً الأمر بالانجليزية :

ـــ انزع أظفارها .

اتسعت عينا (فدوى) فى رعب ، وانطلقت من حلقها صرخة قوية .. ويائسة ..

* * *

لو جرت الأمور على النسق التقليدى ، لكان من الضرورى أن يلقى (أدهم صبرى) حتفه ، برصاصات الجنود الأربعة ، ولكن (أدهم صبرى) لم يكن أبدًا تقليديًا أو عاديًا ..

ففى اللحظة التى ضغطت فيها سبابات الجنود ، على أزندة مدافعهم الآلية ، كان هو قد دفع جثة الذئب بعيدًا ، وقفز واقفًا على قدميه ، ثم اختفى خلف الجذع الضخم ..

وأطلق الجنود رصاصاتهم على جذع الشجرة ، وهم يواصلون عدوهم إليها ، وصاح بهم الضابط ، وهو ينتزع مسدسه ، ويلحق بهم بدوره :

ـــ لا تدعوه يفلت .. أمسكوا به بأى ثمن .

بلغ الجنود جذع الشجرة ، مع نهاية صيحته ، فتوقفوا فى حذر ، وهتف أحدهم ، وفوهات المدافع الأربعة مصوّبة إلى الجذع :

ـــ اخرج يا رجل .. اخرج وإلا أطلقنا النار عليك .

ولما لم يتلقوا جوابًا ، أشار إليهم ضابطهم بالالتفاف حول الشجرة فى صمت ، وإطلاق النار على الهدف مباشرة ، فنفذوا أوامره بسرعة المحترفين ، والتفوا فى دائرة واسعة حول الشجرة ، ثم قفزوا إلى الجانب الآخر منها ، وأطلقوا رصاصات مدافعهم فى غزارة وسخاء ..

وأصابت كل رصاصاتهم الهدف ..

كلها .

* * *

١٩ ـ إلى (موسكو) ..

اتسعت عيون الجنود السوفيت وضابطهم فى دهشة بالغة ، وهم يحدقون فى جذع الشجرة ، الذى استقرّت فيه رصاصاتهم ، قبل أن يهتف أحدهم :

ـ أين ذهب ذلك الرجل ؟

غمغم ثان فى توتر :

ـ ربما كان مجرّد شبح .

وقال ثالث فى حيرة :

ـ ولكننى رأيته بنفسى يختفى هنا .. بل رأيناه جميعًا .

وأشار الرابع إلى جثة الذئب ، قائلًا :

ـ وهذا هو الدليل .

أمّا ضابطهم ، فقد عقد حاجبيه فى شك وحذر ، وهو يقول :

ـ إنه ليس شبحًا بالتأكيد ، فالأشباح وهم سخيف ، ومادمنا رأيناه جميعًا يختفى هنا ، فلقد فعل حتمًا ، وسنجد تفسيرًا منطقيًّا لاختفائه حتمًا .

رفع أحدهم وجهه وسبّابته إلى أعلى ، وهو يقول :

ـ المكان الوحيد ، الذى يمكن أن يذهب إليه هو ..

اتسعت عيناه فى دهشة ، وتجمّدت العبارة فى حلقه ، عندما وقع بصره على (أدهم) ، المعلّق بأغصان الشجرة الضخمة ، على ارتفاع ثلاثة أمتار ..

وفى سخرية ، قال (أدهم) :

ـ مرحبًا .

ثم انقضّ على الرجال الخمسة كالصاعقة ..

لم تكد قدماه تستقران على الأرض ، حتى ارتفعت إحداهما تطيح بأحد المدافع الآلية ، فى نفس الوقت الذى انتزعت فيه قبضته اليمنى مدفعًا ثانيًا ، وهوت به على وجه أحد الجنود الأربعة ، ثم غاصت قدمه فى معدة جندى آخر ، وحطمّت قبضته اليسرى فك جندى ثالث ، قبل أن تنضمّ القبضتان ، وتهويان معًا بالمدفع الآلى ، على رأس الجندى الرابع ..

كل هذا قبل أن يفيق الضابط من ذهوله ، ويهتف :

ـ يا للشيطان !

لم يكد يتمّ قوله ، حتى كانت فوهة مدفع آلى تلتصق بعنقه ، مع صوت (أدهم) الصارم ، وهو يقول :

ـ لو أننى مكانك لألقيت مسدسى أيها الرفيق .

ألقى الضابط مسدسه فى سرعة ، وألقى نظرة مرتجفة على رجاله ، الذين تراصوا حوله فاقدى الوعى ، وهو يقول :

ـ هل .. هل ستقتلنى ؟

أجابه (أدهم) بلغة روسية سليمة :

ـ ليس إذا أطعتنى .

هتف الضابط :

ـ سأفعل .. أقسم إننى سأفعل .

أشار (أدهم) إلى الجنود ، وقال :

ـ حسنًا .. انزع أحزمة جنودك ، وأحكم بها وثاق معاصمهم خلف ظهورهم .

أسرع الضابط يطيع الأوامر ، حتى انتهى من تقييد جنوده . فقال (أدهم) :

ــ والآن استدر ، وضع معصميك خلف ظهرك .

استدار الضابط وهو يرتجف ، واستسلم تمامًا لـ (أدهم) ، الذى أحكم وثاقه بدوره ، ثم سأله :

ــ هل تحمل خريطة الأمن ؟

أومأ الضابط برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم ..إنها فى جيب سترتى الأيسر العلوى .

التقط (أدهم) الخريطة من جيبه ، وابتسم قائلاً :

ــ عظيم .

ثم دسّها فى جيب معطفه ، وقال للضابط :

ــ إلى اللقاء .

واسرع نحو السيارة ، فقفز إليها ، وأدار محرّكها ، مغمغمًا :

ــ هيا يا (أدهم) .. إلى (موسكو) .

وانطلق إلى هدفه ..

* * *

ارتجف (مينوفيتشى) فى قوة ، وراح قلبه ينبض فى عنف ، مع صرخة الألم الرهيبة ، التى انطلقت من حلق (فدوى) ، و (بوركوف) ينتزع إظفر خنصرها ، ولعن اليوم الذى التحق فيه بهذا العمل الرهيب ، وحاول أن يدفن رأسه وأفكاره فى عمله ، ويواصل بحثه عن الرقم السرى ، ولكنه سمع صوت (بوركوف) الغليظ من خلفه وهو يقول فى لهجة تحمل نبرة ضيق :

ــ لقد فقدت الوعى .

صاحت به (نوفا) فى غضب :

ــ أيها الغبى .. كيف سمحت لها بهذا ؟ .. هيا .. ايقظها وواصل عملك .

أمسك (شيلنكو) ذراعها فى صرامة ، وهو يقول :

ــ كفى أيتها الرفيق (نوفا) .. إنك تتجاوزين الحد المعقول .

انتزعت ذراعها من قبضته ، وهى تصرخ :

ــ لا شأن لك بهذا .

صاح بها محنقًا :

ــ إنك ستقتلينها ، دون أن تحصل منها على شىء .. لقد انتزعت اظفرين من أظفارها ، وعرضتها للصدمات الكهربية أربع مرات ، وفقدت وعيها لخمس ساعات كاملة ، فى المرة السابقة ، دون أن يتغيّر قولها ، واصرارها على أنها لا تعلم شيئًا عن رجل المخابرات المصرى هذا .

صرخت فى ثورة :

ــ سأقتلها لو استلزم الأمر .

صاح :

ــ المهم أن تحصل منها على شىء أوّلًا .

ضربت سطح مكتبها بقبضتها فى غضب ، وهتفت :

ــ سأفعل .. سأحصل على كل ما لديها .

ثم استدارت إلى (مينوفيتشى) ، واستطردت صارخة :

ــ وأنت .. ألم تتوصّل إلى الرقم بعد ؟

ارتجف المسكين رعبًا ، وقال :

— ليس بعد أيها الرفيق (نوفا) .. ليس بعد .. إننى أبذل قصارى جهدى .. أقسم لك .

زمجرت فى غضب ، وهتفت :

— لقد سئمت كل هذا .. إننا هنا منذ مايقرب من اثنتى عشرة ساعة ، دون أن نحصل على نتيجة واحدة .

كرَّر (مينوفيتشى) فى رعب :

— إننى أبذل قصارى جهدى ، أيها الرفيق (نوفا) .

خرج صوت (بوركوف) غليظًا أجش ، وسط كل هذا ، وهو يقول :

— هل أواصل انتزاع أظفارها ، أيها الرفيق (نوفا) ؟

التفتت إليه صارخة فى غضب :

— ليس وهى فاقدة الوعى أيها الغبى .

لم تكد تنطق آخر حروف صرختها ، حتى فُتح الباب فى عنف ، وظهر على عتبته رجل طويل القامة ، ضخم الجثة ، له كرش هائل ، يرتدى زى جنرال من جنرالات الجيش السوفيتى ، ومنظارًا أحاديًّا ، يضغطه بجفنى عينه اليسرى على نحو عجيب ، جعله أشبه بجنرالات الجيش الألمانى ..

ولم يكد بصر (نوفا) يقع على الرجل ، حتى شحب وجهها ، وهتفت :

— جنرال (نايكوف) ؟! .. كنت أظن رحلتك إلى (لينينجراد) لن تنتهى مبكرًا .

بدا الجنرال (نايكوف) شديد الغضب والصرامة ، وهو يقول :

— مبكرًا ؟! .. إننا فى منتصف الليل أيها الرفيق (نوفا) .

اتخذ (شيلنكو) و (مينوفيتشى) و (بوركوف) وقفة عسكرية صارمة ، عندما دلف الجنرال إلى الحجرة ، مستطردًا فى خشونة :

— لماذا بقيت فى مكتبك ، حتى هذه اللحظة من .. ؟

بتر عبارته بغتة ، عندما وقع بصره على (فدوى) ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وانفرجت شفتاه قليلًا ، وكأنه سينطق بشىء ما ، ثم لم يلبث أن رفع عينيه إلى (نوفا) ، وهتف بها :

— ما هذا ؟

ازدردت لعابها ، وهى تقول :

— إنها جاسوسة مصرية ، تبعتنا إلى هنا مع زميل لها ، فى محاولة لاستعادة الصندوق الأسود .

صاح فى غضب :

— أى صندوق أسود ؟

أشارت إلى الصندوق ، مجيبة فى توتر :

— هذا أيها الرفيق الجنرال .. أنت نفسك كلفتنى مهمة إحضاره من (أثينا) .

هتف محنقًا :

— وماذا تفعل هذه الجاسوسة هنا فى مكتبك ؟

فركت كفيها فى عصبية ، وهى تقول :

— كنت أستجوبها .

صرخ :

— هنا ؟!

ثم اتجه إلى مقعد (فدوى) ، وأمسك كفها ، التى انتزع منها (بوركوف) إظفرين ، وازداد انعقاد حاجبيه فى غضب ، وهو يلتفت إلى (نوفا) ، هاتفًا :

ــ ومنذ متى يتمّ استجواب الأسرى والجواسيس ، فى مكاتب ضباط الإدارة ؟

أحنقها أن يتحدث إليها بهذا الأسلوب ، أمام بعض مرءوسيها ، فالتفتت إلى (ميوفيتش) ، وصاحت به فى حدة :

ــ ما الذى تفعله بوقفتك السخيفة هذه ؟ .. عد إلى عملك .

ارتجف وهو يسأل الجنرال (نابكوف) فى ارتباك :

ــ سيّدى الجنرال .. هل ..

قاطعه الجنرال فى صرامة :

ــ لا بأس .. عد إلى عملك .

عاد المسكين يواصل بحثه عن الرقم الشفرى السرى ، فى حين أجابت (نوفا) عن سؤال الجنرال فى عصبية ، قائلة :

ــ إنها حالة استثنائية ، فلقد أردت استجواب تلك الجاسوسة ، فى وجود الصندوق ، عسى أن يمكننى انتزاع سر الشفرة منها .

مطّ شفتيه فى ازدراء واضح ، ثم التفت إلى (بوركوف) ، يسأله :

ــ أأنت الذى انتزع أظفارها ؟

أجابه (بوركوف) بصوته الغليظ :

ــ نعم أيها الرفيق الجنرال .

رمقه الجنرال بنظرة باردة طويلة ، قبل أن يقول :



كان المسكين يواصل بحثه عن الرقم الشفرى السرى ، فى حين أجابت (نوفا) سؤال الجنرال فى عصبية .

— وماذا عن الصندوق ؟ .. هل توصلتم إلى شيء ما بشأنه ؟

أراحها اتجاهه للحديث عن الصندوق ، فقالت في سرعة :

— ليس بعد ، ولكننا سنصل إلى سر الشفرة حتمًا ، وبمجرد فتح الصندوق نكون قد ربحنا المعركة كلها ، و ..

قاطعتها تكة خافتة ، مع صيحة ارتياح أطلقها (مينوفيتشي) ، وهو يقول :

— نجحت .. لقد انفتح الصندوق .

برقت عينا (نوفا) ، وهي تلتفت إليه ، هاتفة في لهفة :

— انفتح .. لقد نجحنا يا سيدي الجنرال .. ربحنا المعركة كلها .

وأزاحت غطاء الصندوق في انفعال ، ثم التقطت من داخله عدة ورقات مطوية ، وهي تقول :

— أخيرًا سنعرف اسم عميل (الموساد) ، واسم كل الـ ..

قاطعها صوت صارم ، يقول :

— خطأ يا (نوفا) .. إنك لن تقرئي حرفًا واحدًا من هذه الأوراق .

التفتت بسرعة إلى مصدر الصوت ، واتسعت عيناها في ذهول ، مع أعين الجميع ، وهم يحدقون في وجه الشخص ، الذي نطق هذه العبارة ، والذي يصوب إليهم جميعًا مسدسًا ضخمًا ، وهتفت (نوفا) :

— أنت ؟! .. مستحيل !!

وكانت مفاجأة كبرى بحق ..

★ ★ ★

٢٠ — الفرار ..

« وأنا أعرف الحل .. »

هتفت (منى) بالعبارة في ثقة ، مقاطعة (قدري) ، الذي توقف عن سرد الرواية ، وقضم قطعة كبيرة من شطيرته ، وهو يقول مبتسمًا :

— حقًا ؟

أجابته في حماس :

— بالتأكيد .. لقد عملت مع (أدهم) طويلًا ، إلى الحد الكافي لاستنتاج كل أساليبه ووسائله .

رفع حاجبيه بدهشة مصطنعة ، وهو يفرغ نصف زجاجة المياه الغازية في جوفه ، ثم قال :

— هكذا ؟

تابعت بنفس الحماس :

— بالطبع .. لن يمكنك أن تفهمه مثلي .

واعتدلت في مقعدها ، ولوحت بكفها ، مستطردة :

— أراهنك أن الجنرال (نابيكوف) هذا لم يكن سوى (أدهم) متنكرًا ، وأنه لم يكد يرى الصندوق وهو يُفتح ، و (نوفا) وهي تلتقط الوثائق ، حتى كشف حقيقة شخصيته ؛ ليستعيد الوثائق والصور .

قهقه (قدري) ضاحكًا ، وقال :

— يا للذكاء !

عقدت حاجبيها في شك ، وسألته في حذر :

— أليس هذا ماحدث ؟

قهقه (قدرى) ضاحكًا مرة أخرى ، وهو يقول :

— ليس بالضبط .

قالت فى حدة :

— ماذا تعنى بهذه العبارة ؟ .. هل حدث ما توقعته أنا أم لا ؟

التهم الجزء الباقى من الشطيرة الأخيرة فى حركة سريعة ، ثم قال :

— لا داعى لاستنتاج الأحداث مسبقًا ، استمعى إلى القصة ، وستعرفين كل شىء فى حينه .

مطّت شفتيها ، وعقدت ساعديها أمام صدرها ، وهى تقول :

— حسنًا .. سأستمع إلى قصتك .

غمغم :

— هذا أفضل .

وواصل الأحداث ..

* * *

كانت المفاجأة مذهلة بحق ، حتى أن (نوفا) ظلّت تنقل بصرها ، بين فوهة المسدس ووجه صاحبه ، لنصف دقيقة على الأقل ، قبل أن تهتف مرة أخرى :

— أنت ؟!

أجابها (شيلنكو) فى صرامة متوترة :

— نعم .. أنا أيتها الرفيق (نوفا) .. أنا الذى ستجدين اسمه أمامك .

فى تلك الوثائق .

هتف الجنرال (نابيكوف) :

— أنت يا (شيلنكو) ؟! .. أنت الجاسوس الإسرائيلى ؟!

صاح (شيلنكو) فى عصبية :

— نعم .. أنا هو .. لم يعد هناك مجال للإنكار .

ومدّ يده إلى (نوفا) ، مستطردًا فى حدة :

— أعطينى الوثائق والصور .

لم تطع أمره ، وهى تقول فى غضب :

— هل تتصوّر أنك ستنجح فى الفرار من هنا ؟

أجابها فى حدة :

— بالتأكيد .. هذا المسدس الذى أحمله مزوّد بكاتم للصوت .. سأطلق النار منه على رءوسكم جميعًا ، وبعدها أحمل الوثائق والصور ، وأستقل الهليوكوبتر الخاصة بالجنرال (نابيكوف) ، وأعبر بها الحدود الفنلندية إلى (فنلندا) ، أو حتى إلى (السويد) ، وبعدها أرحل إلى (إسرائيل) .

قالت فى عنف :

— ولكن لماذا ؟ .. لماذا خنتنا يا (شيلنكو) ؟

أجابها فى عصبية :

— بل قولى لماذا لم أفعل منذ البداية ؟ .. أى مستقبل ينتظرنا هنا أيتها الغبية ؟ .. أى نجاح يمكن أن نحققه ، فى ظل مبادىء سخيفة ، تقتل الطموح فى أعماق البشر ؟ .. ألم تقارنى أبدًا بيننا ، وبين من يتهنون

مهنتنا ، فى الدول الأخرى ؟

إن كلًا منهم يملك منزلا أنيقًا ، وسيّارة .. يمتلكهما إلى الأبد ، وليس كعهدة شخصية ، ترتبط بسنوات عمله ، كما يحدث معنا .

صاحت به :

ـــ أنت اخترت هذه المهنة بمحض إرادتك .

هتف محنقًا :

ـــ لأنها أفضل مهنة موجودة ، وليس لأنها أفضل وسيلة للعيش .

قلبت شفتيها فى ازدراء ، قائلة :

ـــ حقير .

ثم أضافت فى غضب ، يحمل رنة شماتة :

ـــ ولكن خطتك كلها فشلت ، لسبب بسيط ، لم تتوقعه أبدًا يا (شيلنكو) .

اشتدّ توتره ، وهو يقول :

ـــ أى سبب هذا ؟

فردت الأوراق أمامه ، وهى تهتف شامتة :

ـــ هذه الأوراق زائفة أيها الغبى .. لقد خدعنا سير (ويلكوكس) قبل وفاته .. الصندوق كله زائف .

اتسعت عينا (شيلنكو) فى ذهول ، وهو يحدّق فى الأوراق البيضاء ، التى تحمل عبارة واحدة ، تقول بالانجليزية :

ـــ مع أسف وتحيات سير (جون ويلكوكس) .

وصرخ (شيلنكو) :

ـــ مستحيل ! .. مستحيل !

وفجأة صاحت (نوفا) :

ـــ اقتله يا (بوركوف) .

انقضّ عليه (بوركوف) ، وهو يُطلق صرخة أشبه بصرخة ثور هائج ، فأدار (شيلنكو) فوهة مسدسه إليه فى سرعة ، ولكن (بوركوف) أطاح بالمسدس فى ضربة كالقنبلة ، ثم أحاط وسط (شيلنكو) بذراعيه المفتولتين ، ورفعه إلى أعلى ، وهو يطلق صرخات وحشية مخيفة ، ويعتصر ضلوع (شيلنكو) بساعديه ..

وجحظت عينا (شيلنكو) فى ألم هائل ، وأطلق صرخة مختنقة ، صاحت (نوفا) مكرّرة :

ـــ اقتله .. اقتله يا (بوركوف) .

وانكمش (ميتوفيتشى) فى مكانه رعبًا ، أمام ذلك المشهد الرهيب ، فى حين عقد الجنرال (نايكوف) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

ـــ كفى .. اتركه .

ولكن قوله جاء متأخرًا ، فقد جحظت عينا (شيلنكو) جحوظًا هائلًا ، مع صوت قرقعة مخيفة ، ارتجف لها جسد (ميتوفيتشى) ، الذى لم يحتمل المشهد ، فهوى فاقد الوعى ، فى نفس اللحظة التى سقط فيها رأس (شيلنكو) على صدره ، ولفظ أنفاسه الأخيرة ..

وتألقت عينا (نوفا) فى ظفر ، عندما ألقى (بوركوف) جثة (شيلنكو) أرضًا ، فى حين قال الجنرال (نايكوف) فى غضب :

ـــ لماذا أمرته بقتله يا (نوفا) ؟

قالت فى انفعال :

ـــ كان خائنًا يستحق الموت .

ثم التفتت إلى (بوركوف) ، قائلة فى حدة ، وهى تشير إلى (فدوى) الفاقدة الوعى :

ـــ هذه الجاسوسة أيضًا تستحق الموت .. اقتلها يا (بوركوف) .

التفت (بوركوف) إلى (فدوى) ، وعيناه تتألقان جذلاً ، ولكن الجنرال (نابيكوف) هتف فى غضب :

ـــ كفى .

ثم التفت إلى (نوفا) ، مستطردًا :

ـــ كيف تجرئين على إصدار الأوامر فى وجودى ؟

ارتبكت ، وهى تقول فى عصبية :

ـــ معذرة أيها الرفيق الجنرال ، ولكن ..

قاطعها فى صرامة وغضب :

ـــ لن أقبل اعتذارات .. لقد ارتكبت اليوم أخطاء عديدة يا (نوفا) ، تستحقين من أجلها محاكمة عنيفة ، وهذا المكان ليس المكان المناسب لاستجواب الجواسيس .. سأحمل هذه الجاسوسة فى طائرتى الخاصة ، إلى المركز الرئيسى ، وهناك سيتمّ استجوابها ، و ...

قاطعه نداء ، انطلق فجأة من أجهزة الاتصال ، المنتشرة فى كل حجرات المبنى ، يقول فى لهجة تشف عن خطورة الأمر :

ـــ انذار .. انذار .. هناك مجهول ينتحل شخصية الجنرال (نابيكوف) ، واستولى على طائرته الخاصة من (لينينجراد) ، ووصل بها

إلى هنا .. فليبحث عنه الجميع فى كل الأقسام .. الجنرال (نابيكوف) الحقيقى ما يزال فى (لينينجراد) ..

أكرّرُ .. إنذار .. إنذار ..

حدّقت (نوفا) فى وجه الجنرال الواقف أمامها فى ذهول ، والنداء يتكرّر على نحو متصل ، فى حين أخرج الجنرال الزائف مسدسه فى حركة سريعة ، وصوّبه إليها ، وتغيّر صوته فى مرونة مذهلة ، وهو يقول فى سخرية :

ـــ نعم يا عزيزتى (نوفا) .. إننى لست الجنرال (نابيكوف) .. ولكننى أشبهه كثيرًا .. أليس كذلك ؟

حدّقت فى وجهه لحظة أخرى فى ذهول ، ثم صرخت بغتة :

ـــ اقتله يا (بوركوف) .. اقتله

وكما حدث مع (شيلنكو) تمامًا ، انقضّ (بوركوف) بجسده الضخم على الجنرال الزائف ، وهو يطلق صرخة وحشية ، انتزعت (فدوى) من غيبوبتها ، ليقع بصرها على ذلك المشهد الرهيب ..

ومن المؤكد أنها لم تفهم ما يحدث ، عندما شاهدت جنديًا سوفيتيًا يهاجم جنرالًا ، ولقد أدهشها كثيرًا أن يقفز الجنرال بكل هذه الرشاقة ، على الرغم من جسده الضخم ، ويستقبل (بوركوف) بركلة عنيفة فى وجهه ، جعلت الثور السوفيتى يترنّح لحظة ، قبل أن تهوى لكمة كالصاعقة على فكه ، وتلقى به عند قدمى (فدوى) ، التى أطلقت صرخة ذعر ، وارتجف جسدها ارتجافة عنيفة ، عندما هبّ (بوركوف) واقفًا ، واندفع مرة أخرى نحو الجنرال ، الذى كان يمسك مسدسه ،

ويستطيع تفجير جمجمة العملاق السوفيتي برصاصة واحدة ، وعلى الرغم من ذلك فقد تفادى انقضاضة (بوركوف) ، وهوى على مؤخرة عنقه بضربة كالقنبلة ، خار لها السوفيتي كالثور ، قبل أن يرتطم رأسه بالحائط ..

والتقطت (نوفا) مسدسها في غضب ، ورفعته نحو الجنرال ، صارخة :

ـــ لن تنجح .

ولكن الجنرال دار على أطراف أصابعه في مرونة مدهشة ، ورفع قدمه يضرب بها المسدس ، ثم قفزت قدمه الأخرى تركل وجه (نوفا) في عنف ، جعل مؤخرة رأسها ترتطم بالحائط ، فأطلقت صرخة مكتومة ، وسقطت على وجهها فاقدة الوعي ..

واستدار (بوركوف) مرة أخرى يواجه (أدهم) ، وهو يزمجر في غضب وحشي ، وقال له (أدهم) بالروسية في سخرية :

ـــ هيا أيها الثور الغبي .. هيا .. اهجم .

صرخ (بوركوف) في غضب ، وانقضّ على (أدهم) ، الذي استقبله بلكمة كالقنبلة في فكه ، وهو يقول :

ـــ هذه من أجل إظفر (فدوى) الأوّل .

ثم أعقبها بأخرى ساحقة ، اجتمع فيها كل غضبه ومقته وكراهيته ، وهو يقول :

ـــ وهذا من أجل الثاني .

كان من الواضح أن اللكمتين عنيفتان للغاية ، فقد جحظت عينا

(بوركوف) في شدة ، ثم سقط على وجهه كجوال من الرمل ، وارتطم بالأرض في عنف ، فالتقط (أدهم) نفسًا عميقًا ، وغمغم :

ـــ لولا سيطرتي على نفسي ، لقتلتك بلا رحمة .

ثم التفت يتطلّع إلى (فدوى) في حنان ، وانحنى يلتقط كفها المصابة في رفق ، فانكمشت على نفسها ، قائلة في خوف :

ـــ من أنت ؟

تطلّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول في لهجة أقرب إلى الهمس :

ـــ أما زلت تجهلين من أنا يا عزيزتي ؟

اتسعت عيناها ، وهي تتطلّع إلى ملامحه في دهشة قلقة ، حتى مدّ يده ، فانتزع عن وجهه قناعًا مطاطيًا رقيقًا ، يحمل وجه الجنرال (نايكوف) ، فتفجّرت الدموع من عينيها ، وهي تهتف :

ـــ (أدهم) ؟! .. كنت أعلم أنك ستأتي .. كنت أعلم أنك لن تتركني أبدًا .

احتوى وجهها بكفيه ، وهمس :

ـــ لقد أتيت يا عزيزتي .. أتيت لأنه واجبي .. فلماذا أتيت أنت ؟

أجابته وهي تبكي في حرارة :

ـــ أتيت لأكون إلى جوارك .. أريد أن أبقى إلى جوارك دائمًا .

ربّت على وجهها في حنان ، ثم راح يحلّ وثاقها في سرعة ، وهو يقول :

ـــ المهم أن نخرج من هنا أوّلًا .

سألته :

ـــ كيف دخلت إلى هنا ؟

أجابها في بساطة مدهشة :

ـــ كنت أعلم ، من تحريات مخابراتنا ، أن الجنرال (نايكوف) يقوم بجولة تفتيشية في (لينينجراد) ، فصنعت قناعًا لوجهه ، وانتحلت شخصيته

هناك ، وأقنعت قائد طائرته بحملى إلى هنا ، بحجة أن زيارتى التفتيشية قد انتهت مبكرًا ، ولقد كشفوا الخدعة الآن .

سألته فى ذعر :

ـــ كيف سنخرج من هنا إذن ؟

أجابها فى هدوء :

ـــ بالوسيلة نفسها .

رأته ينحنى على جثة (شيلنكو) ، ويخرج من جيبه تلك الزجاجة ، التى رأتها فى حقيبته ، فسألته :

ـــ ما هذه الزجاجة ؟

أجابها فى اقتضاب :

ـــ سلاحنا .

أخرج من جيبه فرشاة صغيرة ، استخدمها لطلاء وجه (شيلنكو) بالسائل ، الذى جفّ فى سرعة ، ليصنع طبقة رقيقة على وجه السوفيتى الصريع ، وبعدها أخرج بعض المساحيق ، وراح يطلى ذلك القناع المطاطى الرقيق بألوان خاصة ، تتفق تمامًا مع لون بشرة (شيلنكو) ، ثم أخرج لفة كبيرة من الشاش ، وقال مبتسمًا :

ـــ من المؤسف أننى لا أحمل شعرًا مستعارًا .

ارتدى قناع وجه (شيلنكو) ، وأحاط باقى وجهه بالضمادات ، ثم أمسك كفها السليمة فى رفق ، وهو يقول :

ـــ هيا يا عزيزتى .

وفتح الباب ، وخرج منه إلى الممر ، وهو يمسك ذراعها ، وهتف به أحد الضباط :

ـــ (شيلنكو) .. لماذا الضمادات ؟ .. ماذا أصاب وجهك ؟

كادت تطلق شهقة دهشة ، عندما خرج من بين شفتى (أدهم) صوت مدهش ، لايمكن تمييزه عن صوت (شيلنكو) ، وهو يقول :

ـــ إصابةعمل يا رجل .

قهقه الضابط ضاحكًا ، وابتعد دون أن يضيف شيئًا ، فهمست (فدوى) مبهورة :

ـــ كيف تفعل هذا ؟

أجابها فى حزم :

ـــ اصمتى .. سأخبرك فيما بعد .

لاذت بالصمت ، واستسلمت له تمامًا ، وهو يقودها عبر ممرات وسلالم طويلة ، إلى سطح المبنى ، حيث لاحت أمامها الهليوكوبتر الخاصة بالجنرال (نابيكوف) ، وإلى جوارها حارسان ، رفع أحدهما فوهة مدفعه فى وجه (أدهم) ، قائلًا :

ـــ إلى أين أيها الرفيق الضابط ؟

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـــ سأخرج هذه الأسيرة من هنا يا رجل ، فما جاء ذلك الجاسوس ، الذى ينتحل شخصية الجنرال (نابيكوف) إلا من أجلها .. سأبتعد بها عن هنا ، حتى يتم إلقاء القبض عليه ، أو ..

قاطعته فجأة صرخة (نوفا) :

ـــ أوقفوه .. إنه الجاسوس ، الذى نبحث عنه .

وارتفعت فوهات البنادق الآلية بسرعة فى وجه (أدهم) و (فدوى) ..

واشتعل الموقف .

★ ★ ★

٢١ ــ الصفقة ..

تفجّر الموقف كله دفعة واحدة ، فوق سطح مبنى المخابرات السوفيتية ، بعد أن أطلقت (نوفا) صرختها ..

ولكن من جانب (أدهم) ..

كان أوّل وأسرع من تحرّك ، فهوى بقبضته على فك الجندى ، الذى يصوّب إليه مدفعه الآلى ، وانتزع منه المدفع فى حركة سريعة ، ثم استدار يطلق بعضًا من رصاصاته نحو (نوفا) ، والبعض الآخر نحو جندى الحراسة الثانى ..

وعندما انحنى الجميع لتفادى رصاصاته ، التى تعمّد ألا يصيب بها أحدًا ، أسرع يحمل (فدوى) ، وانطلق نحو الهليوكوبتر ، وهى تهتف به :

ــ ماذا ستفعل ؟

أجابها ، وهو يضعها داخل الهليوكوبتر فى سرعة :

ــ سنستمر فى خطتنا .

ثم قفز نحو الحارس الثانى ، وهوى على فكه بكعب مدفعه ، ثم استدار يطلق النار مرة أخرى نحو (نوفا) ورجالها ، فصرخت فى غضب :

ــ أوقفوا ذلك الشيطان .. أوقفوه بأى ثمن .

حاول رجالها رفع رءوسهم ، وإطلاق النار على (أدهم) ، ولكن رصاصاته كانت تنهال عليهم كالمطر ، فهتف أحدهم فى حنق :

ــ أخبرينا كيف ، أيتها الرفيق (نوفا) .

قفز (أدهم) داخل الهليوكوبتر ، وهو يواصل إطلاق النيران ، وضغط أزرار تشغيلها بيده اليسرى ، و (فدوى) تهتف به ، محاولة الارتفاع فوق هدير مراوح الطائرة :

ــ أتظننا سننجح فى الفرار ؟

لم يجب ، وإنما جذب ذراع القيادة فى حزم ، وارتفعت الهليوكوبتر فى بطء ، وصرخت (نوفا) :

ــ أوقفوه .

ولكن الهليوكوبتر ابتعدت فى سرعة ، وأخفى هدير مراوحها صوت ضحكة ساخرة قوية ، انطلقت من حنجرة (أدهم) ، وإن سمعت (نوفا) هذه الضحكة فى أعماقها ، ففجّر غضبها ، وهى تحمل مسدّسها ، وتطلق النار خلف الهليوكوبتر المبتعدة ، صارخة :

ــ أيها الحقير .. أيها الوغد .

اختفت الهليوكوبتر فى سرعة وسط الظلام ، وتلاشى هدير مراوحها تدريجيًا ، واقترب أحد الضباط من (نوفا) ، وقال فى حدة :

ــ هل نبلغ السلاح الجوى ؛ ليتعقبوها ؟

أجابته ، والغيظ يتقاطر من كل حرف من حروف كلماتها :

ــ لا .. اطلب من السلاح الجوى أن يرسل أقوى هليوكوبتر مقاتلة لديه .

عقد الضابط حاجبيه مستنكرًا ، وهو يقول :

ــ أليس من الأفضل أن ..

قاطعته صارخة :



ولكن الهليكوبتر ابتعدت في سرعة ، وأخفى هدير مراوحها صوت ضحكة ساخرة قوية ، انطلقت من حنجرة (أدهم) ..

— نفذ ماأمرتك به .

أسرع يبتعد لتنفيذ الأمر ، في حين انعقد حاجباها في غضب عنيف ، وهي تتطلّع إلى النقطة ، التي اختفت عندها الهليكوبتر ، وغمغمت في شراسة :

— سأظفر بهذا الشيطان وحدي .. وحدي أنا .

★ ★ ★

لا أحد يمكنه تفسير عواطف المرأة ..

لقد كانت (فدوى) تمرّ بأكثر مواقف حياتها خطورة ، وعلى الرغم من ذلك ، فهي لم تشعر بالأمان ، في عمرها كله ، مثلما شعرت به في هذه اللحظة ، وهي تجلس إلى جوار (أدهم) ، في الهليكوبتر ..

كان خنصرها وبنصرها منتفخين ، متورّمين ، بعد أن انتزع (بوركوف) ظفريهما ، وجسدها متخم بالكدمات والرضوض ، من أثر التعذيب ، ولكنها تشعر بسعادة غامرة ، وارتياح لاحدّ له ..

ها هوذا الرجل الذي أحبّته ، يجلس إلى جوارها ، على قيد خطوة واحدة منه ..

فارس أحلامها ..

حلم عمرها ..

وتمنّت لحظتها لو احتواها بذراعيه ، وضمّها إلى صدره القوي ، بكل الحنان الذي يملأ كلماته ، وكل الدفء المطلّ من عينيه ..

وعلى ضوء القمر ، تطلّعت إلى وجهه ، الذي خلا من أي انفعال ،

وسألته في حنان :

ـــ ألديك خطة محدودة ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ نعم .. ستتجه مباشرة إلى الحدود الفنلندية ، وبمجرّد عبورنا لها ، سنصبح في أمان بإذن الله .

ابتسمت مغمغمة :

ـــ يا للبساطة !

تنهّد وهو يجيب :

ـــ الأمر ليس بالبساطة التي تتصوّرينها .. إنهم سيطلقون مقاتلاتهم خلفنا حتمًا .

كان المفروض أن يصيبها هذا بالرعب ، إلا أنها لم تشعر ـــ إلى جواره ـــ بأدنى خوف ، وهي تغمغم :

ـــ حقًا ؟!

ثم سألته في روتينية :

ـــ وماذا ينبغي أن نفعل ؟

أجابها في هدوء :

ـــ إنني أحلّق على ارتفاع منخفض ، بحيث تعجز راداراتهم عن التقاط صورتنا ، وتعجز طائراتهم عن كشف أمرنا .

ابتسمت في هيام ، وربّتت على كفه ، قائلة :

ـــ كيف تجيد كل هذا ؟

صمت لحظات ، وقد أدرك حقيقة مشاعرها ، وبدأ قلبه يخفق من

أجلها ، ثم قال في اقتضاب :

ـــ إنه عمل .

لاذت بالصمت تمامًا ، وهي تتطلّع إليه ، وصمت هو بدوره ، حتى تذكّرت أمرًا ، فاعتدلت تسأله في اهتمام :

ـــ وماذا عن الصندوق ؟ .. هل استعدته ؟

هزّ رأسه نفيًا في ضيق ، وقال :

ـــ ليس بعد .

هتفت في أسف :

ـــ إذن فقد فاز به السوفيت .

هزّ رأسه نفيًا مرة أخرى ، وقال :

ـــ الصندوق الذي حصل عليه السوفيتي صندوق زائف ، خدعنا به (ويلكوكس) جميعًا .

سألته في حيرة :

ـــ أين الصندوق الحقيقي إذن ؟

انعقد حاجباه في ضيق ، وهو يجيب :

ـــ مخلوق واحد ، في العالم كله ، يمكنه أن يجيب عن سؤالك هذا يا عزيزتي .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف :

ـــ (ماري) .. (ماري الدموية) ..

* * *

التقى حاجبا سير (مايكل أوليفر) فى توتر ، وهو يتطلّع إلى وجه (مارى) ، بشعرها الأحمر النارى ، وثوبها القصير للغاية ، وهى تدخل إلى مكتبه الخاص ، فى إدارة المخابرات البريطانية ، وقال بلهجة جافة :

— ماذا تريدين يا (مارى) ؟ .. لماذا أردت مقابلتى ؟

ابتسمت فى سخرية ، وهى تقول :

— ياله من استقبال سخيف ، يفتقر إلى اللياقة يا سير (مايكل) !! ألم تتعلّم أبدًا ، كيف تستقبل سيّدة فى مكتبك ؟

قال فى صرامة :

— لكل سلعة ميزان يا (مارى) .

ضحكت فى سخرية ، قائلة :

— وأنا سلعة ثمينة .. ثمينة للغاية .

جلست دون أن يدعوها إلى الجلوس ، ووضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى ، واشعلت سيجارتها فى بطء ، ثم نفثت دخانها فى وجهه ، وهى تقول :

— ولدى سلعة أخرى ، تهمك فى شدة .

أشعل غليونه بدوره ، وكأنما ينافسها فى تلك العادة القبيحة ، قبل أن يقول فى برود :

— لم تعد لديك سلع يهمنى أمرها يا (مارى)

أطلقت ضحكة ساخرة ، هى تقول :

— هل تظن هذا ؟

أجابها فى برود شديد :

— بكل تأكيد .

اعتدلت تلتقط شيئًا من حقيبتها ، ناولته إياه ، قائلة :

— هناك جهاز عرض لشرائط الفيديو حتمًا .. أليس كذلك ؟

التقط شريط الفيديو ، الذى قدمته إليه ، وهو يقول فى حذر :

— بلى .. هناك واحد يابانى الطراز .

أدرك أنها تريد منه مشاهدة الشريط ، فنهض يضعه فى جهاز العرض ، وأشعل التلفاز الذى يعلوه ..

ثم اتسعت عيناه فى ذعر وذهول ..

كان الشريط ينقل ، بكل وضوح ، تفاصيل ماحدث فى الليلة الأخيرة ، فى قبو قصر (ويلكوكس) ..

الصراع الذى دار بين الجميع ..

كشف أمر (مايكل) ، واعترافه بالعمل لصالح السوفيت ..

قتله لـ (آرثر) ..

كل شىء ..

وفى حدة مبالغة ، أغلق (مايكل) الجهاز ، والتفت إلى (مارى) فى شراسة ، وهو يصوّب إليها مسدسه ، قائلًا :

— أهناك نسخة أخرى ؟

لم يرمش لها جفن ، أمام تهديده ، وإنما قالت بابتسامة ساخرة :

— نسخة واحدة ؟! .. بل قل عدة نسخ ، كل نسخة منها فى مكتب محام مختلف ، وهناك نسخة فى خزانة خاصة ، فى البنك الملكى المركزى ، وأخرى فى بنك (انجلترا) ، وثالثة فى مكان سرى بـ (الولايات المتحدة الأمريكية) ، ورابعة فى ..

قاطعها فى عصبية :

ـــ ما الذى تريدينه يا (مارى) ؟

أجابته فى استهتار :

ـــ لا شىء

قال فى حدة :

ـــ ماذا تطلبين ، مقابل كل هذه النسخ ؟

رمقته بنظرة واثقة مزهوة ، ثم مالت نحوه ، وقالت فى همس :

ـــ صداقتك .

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى عصبية :

ـــ ماذا ؟

أجابته مبتسمة :

ـــ صداقتك يا سير (مايكل) .. هذا هو الثمن الذى أطلبه .

تطلّع إليها لحظات فى حيرة عصبية ، ثم أعاد مسدسه إلى جيبه ، وألقى جسده على المقعد المقابل لها ، مغمغمًا :

ـــ لست أفهم شيئًا .

التقطت نفسًا عميقًا من سيجارتها ، وألقت رأسها إلى الخلف ، وهى تنفث الدخان فى بطء وعمق ، قبل أن تتطلّع إليه بنظرة خبيثة ، قائلة :

ـــ إنها صفقة مناسبة لكلينا يا سير (مايكل) .. أنا أملك الدليل ، الذى يدينك بتهمة التجسس ، وأنت تملك السلطة والقوة .. فليحصل كل منا على مالدى الآخر إذن .

تطلّع إليها فى تساؤل ، فتابعت :

ـــ سأحتفظ بالشريط ، ولن يحصل عليه أى مخلوق ، مادمت حية ، وسأخفى تمامًا أمر خيانتك ، وفى المقابل ستبسط علىّ حمايتك ، وتمدنى بالمعلومات ، وتستغل سلطتك وقوتك ، لإحاطتى بحصانة خاصة ، تتيح لى حرية العمل .

سألها فى استسلام :

ـــ أى عمل ؟

نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، وأجابت :

ـــ لقد أورثنى سير (ويلكوكس) قصره ، وكل ثروته ، بناء على اتفاق مسبق بيننا ، وأنا أنوى أن أرث زعامة المنظمة أيضًا ، ولكن بشكل جديد ، يحيطها بإطار قوى منيع .

ومالت نحوه ، مستطردة :

ـــ وأنت هذا الإطار المنيع ياسير (مايكل) .

مضت لحظات طويلة من الصمت ، وكلاهما يتطلّع إلى عينى الآخر ، قبل أن يخفض سير (مايكل) عينيه ، ويتمتم :

ـــ كما تشائين يا (مارى) .

تألقت عيناها فى ظفر ، ونهضت قائلة :

ـــ رائع ياسير (مايكل) .

ثم أضافت فى خفوت :

ـــ واحتفالاً بتوقيع اتفاقنا الشفهى هذا ، سأمنحك هدية لم تحلم بها .

سألها فى مرارة :

ـــ أية هدية ؟

أجابته بابتسامة جذّابة :

ـــ الصندوق الأسود .. الحقيقى .

تطلّع إليها فى دهشة ، وقال :

ـــ أى صندوق .. لقد حصلت (نوفا) على الصندوق ، و ..

قاطعته ضاحكة :

ـــ إذن فهى لم تخبرك بعد .. صدقنى يا عزيزى (مايكل) .. لن تلبث (نوفا) أن تخبرك بأمر الخدعة الرهيبة ، التى أوقعكم فيها سير (ويلكوكس) ، قبل أن يلقى مصرعه .. إن ذلك الصندوق ، الذى حصلتم عليه من القبو ، ليس سوى صندوق زائف ، يحمل أيضًا رتاجًا سريًا ، ذا تسعة أرقام ، ولكنه لا يحوى سوى ورقة بيضاء ، عليها عبارة ساخرة ، كتبها سير (ويلكوكس) بنفسه .

اتسعت عيناه ، وهو يهتف :

ـــ يا للشيطان !!

أطلقت ضحكة جذلة ، وقالت :

ـــ لا تجعل هذا يقلقك يا عزيزى (مايكل) .. قلت لك إننى سأمنحك الصندوق كهدية صداقة ، فى حفل خاص ، لن يحضره سوانا ـــ أنا وأنت ـــ فى قصر سير (ويلكوكس) ، مساء الغد .

قال فى اهتمام :

ـــ ولِمَ لا يكون الحفل مساء اليوم ؟

أطلقت ضحكة أخرى ، وقالت :

ـــ لن يستعد القصر ، قبل مساء الغد .

ثم لوّحت بكفها ، مستطردة :

ـــ إلى اللقاء مساء الغد .

وغادرت مكتبه فى جذل ..

وظفر ..

* * *

مضى الوقت فى بطء مثير ، والهليوكوبتر تنطلق وسط الظلام ، على ارتفاع منخفض ، فى اتجاه الحدود الفنلندية ، وسألت (قدرى) (أدهم) فى قلق :

ـــ ألم نبلغ الحدود بعد ؟

أجابها فى هدوء :

ـــ سنبلغها بعد نصف الساعة على الأكثر .

ثم هزّ رأسه فى حيرة ، مستطردًا :

ـــ والواقع أن هذا يدهشنى كثيرًا .

سأله فى حيرة :

ـــ ما الذى يدهشك ؟

أجابه بعد لحظة من الصمت :

ـــ يدهشنى أنهم لم يرسلوا مقاتلاتهم خلفنا بعد ، و ..

وفجأة أتاه الجواب من أعلى ..

أتاه على هيئة صاروخ صغير ، انطلق من هليوكوبتر حربية حديثة ، تقودها (نوفا) ..

انطلق نحو الهليوكوبتر التى يقودها هو ..

* * *

٢٢ ــ مطــاردة جوية ..

لو أن الرفيق (نوفا) تجيد استخدام تلك الأسلحة الحديثة ، التى تحيط بها ، داخل الهليوكوبتر الحربية ، لأنتهت قصتنا عند هذا الحد ، بانفجار هليوكوبتر (أدهم) ، ومصرعه مع (فدوى) ..

ولكن لحسن الحظ أنها لا تجيد استخدامها ..

لقد مرق الصاروخ على قيد متر واحد من الهليوكوبتر ، ورآه (أدهم) يعبر أمامه كلسان من نار ، وأطلقت (فدوى) صرخة هلع ، وهى تقول :

ـــ ما هذا ؟

مال (أدهم) بالهليوكوبتر جانبًا ، وهو يقول فى حزم واقتضاب :

ـــ هجوم .

اندفع بالهليوكوبتر بين تلال قصيرة ، فى خط متعرّج ، وانخفضت خلفه (نوفا) بالهليوكوبتر الحربية ، هاتفة :

ـــ لن تنجح أيها المصرى .. لن تفلت من (نوفا) هذه المرة .

أصبحت خلفه تمامًا ، واقتربت منه فى سرعة شديدة ، بسبب الفارق الكبير بين سرعتى الطائرتين ، ثم ضغطت زر الإطلاق فى عصا القيادة ..

وانهالت الرصاصات على هليوكوبتر (أدهم) ، ولكن هذا الأخير جذب عصا القيادة فى حسم ، وهو يميل إلى اليسار ، فارتفعت الهليوكوبتر فى سرعة ، وتجاوزت الطلقات النارية ، فصاحت (نوفا) :

ـــ يا للشيطان !!

وارتفعت بدورها خلف الهليوكوبتر ، ولكن (أدهم) عاد ينخفض فى مهارة مدهشة ، جعلتها تفقد سيطرتها على الهليوكوبتر لحظة ، ثم لم تلبث أن استعادتها بسرعة ، وقالت فى غضب :

ـــ أتظن نفسك ملك المهارة أيها المصرى ؟

ضغطت زر الإطلاق فى عصا القيادة ، على نحو متصل ، وهى تنطلق خلف الهليوكوبتر ، وسمعت (فدوى) صوت ارتطام الرصاصات بجسم الهليوكوبتر ، فقالت فى توتر :

ـــ لقد أصابتنا .

أجابها وهو ينحرف فى مناورة حادة :

ـــ لا تجعل الأمر يقلقك .. الرصاصات لم تبلغ منطقة حساسة ، من جسم الهليوكوبتر بعد .

سألته فى قلق :

ـــ ألا تملك أية أسلحة ؟

رفع مسدسه بيده ، وقال :

ـــ بلى .. أملك مسدسى .

سألته متوترة :

ـــ أقصد الهليوكوبتر .. من المؤكد أنها تحوى مدفعًا آليًا ، أو ..

قاطعها فى حسم :

ـــ فقط مسدسى .

اتسعت عيناها فى ذعر ، وهى تهتف :

— مسدسك ؟! .. فقط مسدسك ؟! .. يا إلهى ! .. هل ستواجه هليوكوبتر حربية بمسدس ؟

قال فى هدوء :

— ولمَ لا ؟!

مرق إلى جوارهما صاروخ ثان ، فى اللحظة نفسها ، وانحرف (أدهم) يتجنبه فى مهارة ، ورأته (فدوى) يتجاوزهما ، ويواصل طريقه إلى تل قريب ، فيرتطم به ، وينفجر بدوى شديد ، فهتفت :

— لن تنجو هذه المرة .

صاح بها (أدهم) فى صرامة :

— قلت لك : لا تنطقى هذه العبارة أبدًا .

وانخفض فى اللحظة نفسها ، متفاديًا سيلًا من الرصاصات ، أطلقته نحوهم هليوكوبتر (نوفا) ، وشعرت (فدوى) بقلبها يقفز من بين ضلوعها ، مع هذا الهبوط المباغت ، وهتفت و (أدهم) يعتدل بالهليوكوبتر :

— ربما أتوقف عن نطقها ، ولكن هذا لا يعنى أن أعماقى ستكتمها .. هل لك أن تخبرنى كيف سننجو من هذا الوحش الآلى ، الذى يطاردنا بكل هذه الشراسة ؟

قال فى حزم :

— اتركى هذا لله (سبحانه وتعالى) .

كان هذا القول فصل الختام ، فلاذت (فدوى) بالصمت التام ، وتركته ينطلق بالهليوكوبتر ، ويناور هليوكوبتر (نوفا) ، التى شعرت

بغضب شديد ، عندما عجزت عن اصطياد هليوكوبتر (أدهم) ، على الرغم من فارق القوة بين الطائرتين ، فصاحت فى عصبية ، وهى تراجع أسلحة الهليوكوبتر :

— ألا تحوى تلك اللعينة أسلحة أكثر قوة ؟

تألقت عيناها فى شدة ، عندما وقع بصرها على زر خاص ، وافتر ثغرها عن ابتسامة شرسة ، وهى تقول :

— هذا هو السلاح المطلوب .

وعلى شاشة الهليوكوبتر الخاصة ، رأت طائرة (أدهم) تواصل مناوراتها ، فأضافت فى سخرية عصبية :

— ناور كما يحلو لك أيها المصرى .. المهم أن تكون أسرع وأذكى من كل التكنولوجيا السوفيتية .

وضغطت الزر فى حزم ..

* * *

جلس سير (مايكل أوليفر) فى حجرة مكتبه صامتًا ، يدخن غليونه العتيق ، الذى ملأ سماء الحجرة بالأدخنة الكثيفة ، وإن لم يلتقط هو إلا القليل من أنفاسه ، فى ساعات شروده الطويلة ، التى قضاها وحيدًا ، بعد انصراف (مارى) ..

وللمرة العاشرة ، ضغط زر تشغيل جهاز العرض ، وتعلّق بصره بشاشة التلفاز ، التى تعرض أحداث ليلة مصرع (ويلكوكس) بكل تفاصيلها ..

وللمرة العاشرة أيضًا ، أغلق الجهاز ، وتنهّد في عمق ومرارة ، وهو يغمغم :

ـــ لقد وقعت أخيرًا يا (مايكل) .

كان واثقًا من أن (ماري) لن تبلغ إدارة المخابرات بالفعل ..

المنطق والعقل يؤكدان هذا ..

إنها لن تتخلّى أبدًا عن فرصة نادرة كهذه ، للحصول على مساندة شخص مثله ، له مكانته وقوته وسطوته ، في عالم المخابرات ..

ذلك العالم الغامض الرهيب ، الذى لا يتصوّر من خارجه إمكانية حدوث كل هذه المعارك والصراعات ، التى يخوضها من داخله ..

عالم الذكاء ، والدهاء ، والحنكة ، والقوة ..

عالم الثعالب ..

ولكن أسلوب (مارى) هذا لا يمنحه الثقة أو الأمان أبدًا ..

ماذا لو لقيت مصرعها ، لأى سبب كان ؟ ..

إنها تحيا ـــ مثله ـــ في عالم قاس عنيف ، لا مكان فيه للضعفاء أو المبتدئين ..

عالم قد يلقى المرء فيه مصرعه ، في لحظة واحدة ، مهما بلغت مهارته وحنكته ..

بل ربما تلقى مصرعها في حادث سيارة ، أو حتى بنوبة قلبية مباغتة ، بسبب تلك الحياة المفرطة في الاستهتار ، التى تحياها ..

لو حدث هذا ـــ لأى سبب ـــ ستكون نهايته ..

سيظلّ عنقه دائمًا بين أصابعها ..

ولكن ما البديل ؟ ..

نهض من مقعده ، واتجه إلى نافذة مكتبه ، وتطلّع منها إلى الخارج في شرود ، وهو يفكّر في عمق ، ويبحث عن قرار ..

قرار حاسم ..

★ ★ ★

هوى قلب (فدوى) بين ضلوعها للمرة الألف ، عندما شاهدت ذلك الصاروخ الجديد ، الذى انطلق من هليوكوبتر (نوفا) ، واتجه نحو طائرة (أدهم) ، وهتفت في هلع :

ـــ احترس يا (أدهم) .

انحرف بالهليوكوبتر في حركة حادة ، متفاديًا مسار هذا الصاروخ الجديد ، الذى انقضّ عليه في سرعة ، ورأت (فدوى) الصاروخ يعبر على قيد متر واحد من نافذتها ، فتنهّدت في ارتياح ، وقالت :

ـــ حمدًا لله .. ها هوذا صاروخ آخر يتجاوزنا ، و ..

اتسعت عيناها في ذهول ، وهي تحدّق في ذلك الصاروخ ، الذى توقّف عن الانطلاق ، وانحرف مساره في مرونة ، ثم عاد يرتفع نحو الهليوكوبتر ..

ومرة أخرى تفادى (أدهم) الصاروخ في اللحظة الأخيرة ، ثم اندفع بالهليوكوبتر في سرعة ، و (فدوى) تهتف :

ـــ ما هذا الشيء ؟ .. إنه يطاردنا .

أجابها وهو يناور الصاروخ ، بكل ما يملك من قدرة ومهارة :

— إنه صاروخ موجّه .

هتفت :

— نعم .. لقد قرأت شيئًا عن هذه الصواريخ ، أيام حرب أكتوبر .. إنه يطارد محركات الطائرات .. أوقف المحرّك بسرعة .

ارتفع متفاديًا الصاروخ ، وهو يقول :

— هذا ينطبق على صواريخ (سام — ٦) ، التى استخدمناها نحن ، أثناء حرب أكتوبر .. فهى مزوّدة برأس حساس للحرارة ، يستقبل حرارة محركات الطائرات المقاتلة النفاثة ، ويطاردها فى إصرار ، حتى يقتحمها ، ويدمّرها ، وينسفها نسفًا ، أما هذا الصاروخ ، الذى يطاردنا ، فهو نوع من القنابل التليفزيونية ، يحوى آلة تصوير صغيرة فى مقدّمته ، يسترشد بها قائد الطائرة ، لتوجيهه نحو الهدف .. إنه شىء أشبه بالألعاب الأليكترونية ، التى تغزو أسواق (أوروبا) و (أمريكا) الآن (*)

سألته فى ذعر :

— وكيف يمكن مواجهة شىء كهذا ؟

أجابها ، وهو ينحرف فى عنف :

— نخدعه .

صاحت ، وقد خُيّل إليها أنها لم تسمع جيدًا :

(*) انتشرت هذه الألعاب فيما بعد ، فى أوائل الثمانينات ، وحازت قبولاً واهتمامًا كبيرين ، وعُرفت باسم (ألعاب الفيديو) .

— ماذا ؟

هتف ، وهو يتجه فى خط مباشر ، نحو قمة تل قريب :

— نخدعه .

صاحت ، وهى تراقب الصاروخ ، الذى انطلق نحوهما فى سرعة :

— كيف ؟ .. كيف نخدع هذا الشىء ؟

لم يجب هذه المرة ، وواصل انطلاقه نحو قمة التلّ فى سرعة كبيرة ، جعلت (نوفا) نفسها تقول فى حيرة ودهشة :

— ما الذى يفعله هذا الأحمق ؟

وصرخت (فدوى) :

— احترس يا (أدهم) .. سنرتطم بالتلّ .

ولكنه واصل انطلاقه نحو التل ، والصاروخ يقترب من مؤخرة الهليوكوبتر أكثر وأكثر ..

وفجأة جذب عصا القيادة فى قوة ..

وارتفعت الهليوكوبتر فى حركة حادة عنيفة ..

وصرخت (فدوى) فى رعب :

— سنرتطم بالتلّ ..

وخُيّل إليها أن الهليوكوبتر لن تنجح فى الإفلات ، وأنها سترتطم بقمة التلّ حتمًا ، وكذلك تصوّرت (نوفا) ، التى حاولت الارتفاع بالصاروخ ، على نفس النحو الحاد ، ولكن ..

فى نفس اللحظة ، التى تجاوزت فيها الهليوكوبتر قمة التل ، على نحو أشبه بالمعجزة ، ارتطم بها الصاروخ ، وانفجر انفجارًا عنيفًا ..

واتسعت عينا (فدوى) ، فى سعادة غامرة ، وهى تهتف :
ـ يا إلهى ! .. لقد نجحت يا (أدهم) .. لقد نجحت أيها البطل .
أما (نوفا) ، فقد أصابها ذهول شديد ، جعلها تردّد :
ـ مستحيل ! .. مستحيل .
ثم انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تصرخ :
ـ مستحيل !
رأت هليوكوبتر (أدهم) تبتعد فى سرعة ، فاستدارت إليها ، وانطلقت خلفها ، وهى تضغط زر إطلاق مدفع الهليوكوبتر الآلى ، صارخة :
ـ لن تفلت أيها الشيطان .
ولكن (أدهم) انخفض بالهليوكوبتر فى سرعة ، ورأت (فدوى) هليوكوبتر (نوفا) تندفع فوقهما ، وتتجاوزهما بسرعتها الفائقة ، وتواصل انطلاقها لمائتى متر على الأقل ، قبل أن تتوقف ، وتستدير لمواجهة هليوكوبتر (أدهم) مرة أخرى ..
وفى هذه المرة ، خيّل لـ (فدوى) أن عينيها تخدعانها ، فقد رأت (أدهم) ينطلق نحو هليوكوبتر (نوفا) ، بدلًا من أن يفرّ منها ..
واتسعت عيناها فى ذهول ، وكذلك فعلت عينا (نوفا) ، وهى تهتف :
ـ ما هذا ؟
وفى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها عبارتها ، كان (أدهم) يرفع فوهة مسدّسه نحو زجاج الهليوكوبتر ، فيحطمه برصاصة أولى ، ثم يبرز المسدس

عبر الجزء المحطّم ، ويطلق ثلاث رصاصات متتالية ، نحو هليوكوبتر (نوفا) ، قبل أن يرتفع بطائرته فى سرعة ..
وسمعت (نوفا) صوت ارتطام الرصاصات الثلاث بجسم الهليوكوبتر ، إلا أنها لم تبال بهذا ، وإنما هتفت :
ـ مسدّس ؟! .. يا للسخافة !! .. هل تتصوّر أنك تستطيع مواجهة هليوكوبتر حربية بمسدّس واحد .
سمعت فجأة فرقعة مزعجة ، تنبعث من محرّك الهليوكوبتر ، فارتفع حاجباها فى ذهول ، وهى تهتف :
ـ اللعنة !
أدركت لحظتها فقط أن مسدسًا واحدًا يمكنه أن يسقط هليوكوبتر حربية ..
لو أصابها فى الموضع المناسب ..
وبكل الغضب فى أعماقها ، صرخت (نوفا) :
ـ أيها الحقير .
واندفعت بكل ما تبقّى فى محرّكها من قوة نحو هليوكوبتر (أدهم) ، وضغطت زر إطلاق النار فى عنف ، صارخة :
ـ لن أخسر المعركة وحدى .
انهالت رصاصات مدفع الطائرة على هليوكوبتر (أدهم) كالمطر ، وانكمشت (فدوى) فى مقعدها ، وهى تطلق صرخة رعب ، وتناثرت قطع الزجاج المحطّمة على وجهها وجسدها ، قبل أن ينحرف (أدهم) بالطائرة فى حدة ، بعيدًا عن مرمى النيران ..

وارتفع لسان من اللهب ، من محرك هليوكوبتر (نوفا) ، التي اندفعت في سرعة نحو قمم التلال ، وقالت (نوفا) في غضب :

ــ إنك لم تربح بعد أيها المصرى .

وتشبثت بحقيبة كبيرة إلى جوارها ، وهي تتطلع إلى التلال ..

وهتفت (فدوى) ، في الهليوكوبتر الأخرى :

ــ لقد أسقطتها يا (أدهم) .

عقد حاجبيه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وبلغ مسامعه دوى انفجار الهليوكوبتر ، وهي ترتطم بقمم التلال ، وصوت (فدوى) ، وهي تهتف :

ــ لقد انت[illegible] انتصرنا [illegible] (أدهم) .

والتفتت [illegible] دة [illegible] :

ــ لقد فعلتها مرة أخرى يا (أدهم) .. يالك من رجل [illegible] .. إنه انتصار مذهل .. أروع انتصار شعرت به في حياتي .

أجابها في لهجة جامدة :

ــ اسم انتصار لا يناسب هذا الموقف يا (فدوى) .. إنه يتوافق في الواقع مع صفة التعادل .

هتفت :

ــ أي تعاد[illegible] .. إ[illegible] انتصار [illegible] .. لقد أصا[illegible] طا[illegible] ، و قاطعها في [illegible]

ــ وهي أصابت طائرتنا أيضًا ، ومؤشر الوقود أمامي يشير إلى أننا نفقده في سرعة ، و ..

صمت لحظة ، ثم أضاف ، في لهجة جمدت الدماء في عروقها :

ــ وتهوى ؟!

★ ★ ★

مطّ مدير (الموساد) شفتيه في حنق ، وهو يعقد حاجبيه في غضب ، متطلعًا إلى شاب وسيم ، جامد الملامح ، يقف أمامه صامتًا ، وقال في حدة :

ــ لا يا (موشى) .. لا مبرّر لاستمرارنا في هذه العملية .. لقد حصل السوفيت على الوثائق ، وهذا يعني أننا قد خسرنا اللعبة هذه المرة .

قال الشاب في جمود :

ــ ولِمَ لا نحاول يا سيّدى ؟ .. إن لنا عميلًا في قلب المخابرات [illegible]فيتية ، وقد يمكنه استعادة الوثائق ، قبل أن يطالعها رجالهم .

هزّ مد[illegible]ر (الموساد) رأسه نفيًا ، قبل أن يجيب :

ــ [illegible] العميل بالذات ، هو السبب في ثقتي أننا خسرنا اللعبة يا (موشى) .. لو راجعت ملف عميلنا (شيلنكو) ، لوجدت أنه من الضرورى أن يتمّ اتصال يومى ، بينه وبين مكتبنا السرى في (موسكو) ، إلا لو لقى مصرعه ، أو ألقى القبض عليه .

وتراجع في مقعد[illegible] ، [illegible]ردفًا [illegible] حزم :

ــ [illegible] هذ[illegible] الاتصا[illegible] لم [illegible]

[illegible] ([illegible]) ضابط (الموساد) الشاب حاجبيه ، وهو يقول :

ــ هذا يعني أن عميلنا قد لقى مصرعه ، أو ألقى القبض عليه .

ضرب مدير (الموساد) سطح مكتبه براحته ، مضيفًا :

ــ وأن العملية كلها قد فشلت .

قلب (مواشى) شفته السفلى ، وهو يقول فى برود :

ـــ يا للخسارة ! .. لقد قرأت التقارير الخاصة بالعملية ، وكلها تشير إلى أن ذلك الضابط المصرى ، الذى يقاتل لصالح المصريين ، رجل من طراز خاص ، وخصم قوى ، يحلو للمرء أن يواجهه .

ثم هز كتفيه ، مستطردًا بلا انفعال :

ـــ ولكن من يدرى ؟ .. ربّما دارت الأيام والأحداث ، والتقيت به يومًا .. ربّما .

لم يدر لحظتها أن القدر قد استجاب لمطلبه هذا ، وادخر له أكثر من مغامرة ، مع (أدهم صبرى) ..

ولم يدرك لحظتها أن حديثه لم يكن مجرّد أمنية ..

بل كان نبوءة(*) ..

* * *

اتسعت عينا (فدوى) فى رعب ، وهى تتطلّع إلى قمم الأشجار ، التى تقترب فى سرعة ، والهليوكوبتر تهوى كالحجر ، وصرخت :

ـــ (أدهم) .. إننا لن ..

انتزعها من مقعدها بغتة ، وهو يقول فى حزم :

ـــ ليس مرة أخرى يا عزيزتى .. لن أسمح لك بنطقها ثانية .

(*) راجع سلسلة (رجل المستحيل) .. المغامرات رقم (٦٥) ، و (٦٦) ، و (٦٧) تحت عناوين (الجليد المشتعل) ، و (ألف وجه) ، و (الجحيم المزدوج) .

رأته يفتح باب الهليوكوبتر ، فسألته فى رعب :

ـــ ماذا تفعل ؟

أجابها فى اقتضاب ، وهو يحيط خصرها بذراعه :

ـــ أقاوم .

هتفت :

ـــ تقاوم ماذا ؟

ثم أطلقت صرخة ذعر وفزع ، وهوى قلبها معها ، وهو يقفز من الهليوكوبتر ، نحو قمم الأشجار ، وتشبثت به فى قوة ، وأغلقت عينيها فى رعب ..

وارتطم جسداهما بقمة شجرة كثيفة ، وانزلقا بسرعة مخيفة فوق أغصانها الضخمة ، قبل أن يهوى جسداهما مرة أخرى ..

كان (أدهم) مصابًا بعدة جروح وكدمات ، وخدوش من رصاصة أو رصاصتين ، كادتا تسلبانه حياته ، وعلى الرغم من ذلك ، كان يحيط (فدوى) بذراعيه فى حزم وحنان ، وكأنما يقيها بجسده كل الإصابات المحتملة ..

وأخيرًا استقرّت قدماه أرضًا ، وانثنت ركبتاه ، ثم اعتدلتا فى مرونة ، وأوقف (فدوى) أمامه ..

وعلى قيد أمتار منهما ، ارتطمت الهليوكوبتر بقمم الأشجار .. وانفجرت ..

وعلى ضوء اللهب المتراقص ، تطلّعت (فدوى) إليه .. إلى وجهه ..



ثم أطلقت صرخة ذعر وفزع ، وهوى قلبها معها ، وهو يقفز من الهليوكوبتر ، نحو قمم الأشجار ، وتشبث به فى قوة ..

وإلى عينيه ..

وخفق قلبها بين ضلوعها ..

على الرغم من كل مامّرت به من مخاطر وأحداث ، لم تنته بعد ، نبض قلبها بالحب ، هناك ، عند جذع الشجرة ، وإلى جوار لهيب النيران ..

كانت تشعر أنها بين ذراعى بطل أسطورى ..

عملاق من عمالقة التاريخ ..

ووسط كل هذا ، ابتسمت (فدوى) ..

ابتسمت وهى تتطلّع إلى عينيه الدافئتين ، المفعمتين بالحنان ، كصوته العميق ، وهو يسألها :

ـــ أأنت بخير ؟

تمنّت ألا يتركها من بين ذراعيه أبدًا ، وهى تتمتم :

ـــ بخير ، مادمت إلى جوارك .

حرّرها من ذراعيه فى بطء ، وربّت على شعرها الكستنائى فى رقة ، وبدا وكأن عواطفه كلها ستنفجر فجأة ، وتفرّ من عقالها ، ولكنه لم يلبث أن سيطر على مشاعره ، واعتدل فى حزم ، قائلًا :

ـــ ينبغى أن نتحرّك فى سرعة ، فهذه المنطقة تكتظّ بدوريات حراسة الحدود ، ولن تلبث إحدى الدوريات السوفيتية أن تهرع إلى هنا ، بعد سقوط الهليوكوبتر ، وانفجارها .

سألته :

ـــ وأين سنذهب ؟

أشار بيده ، مجيبًا :

— إلى الشمال الغربي .. هناك سنجد الحدود الفنلندية .

تطلّعت إلى حيث أشار ، وبدت لها معالم المنطقة كلها متشابهة ، فغمغمت :

— وكيف نعلم أن هذا هو الشمال الغربي ؟

أشار إلى نجم شديد التألّق ، في كبد السماء المظلمة ، وهو يجيب :

— هذا هو النجم القطبي ، وهو يشير دائمًا إلى الشمال .

ثم أمسك يدها ، مستطردًا :

— هيا يا عزيزتي ، فالطريق أمامنا طويل .

استسلمت له في ارتياح ، وتركته يقودها ، عبر الغابة المظلمة ، نحو الأمل ..

أو الموت ..

★ ★ ★

سقطت أضواء المصابيح القوية ، لسيّارة الدورية السوفيتية ، على حطام الهليوكوبتر ، التي تعلّقت مراوحها بين الأشجار العالية ، وارتطم ذيلها الرفيع بالأرض ، وتحطّمْ تمامًا ، واشتعلت فيها النيران ، حتى لم يكن من السهل تبيّن طراز مابقي من هيكلها ..

وهبط ضابط الدورية من السيّارة ، وصحبه ثلاثة من الجنود إلى الحطام ، وراحوا يفحصونه على ضوء مصابيح السيارة ، ثم قال الضابط :

— لقد كنت على حق يا (فيزوف) .. إنها هليوكوبتر .

وتلفّت حوله ، مستطردًا :

— وربما كانت نفس الهليوكوبتر ، التي أخبرونا عنها .

قال أحد الجنود في اهتمام :

— من الواضح أنها قد سقطت ، إثر قتال جوي ، ولقي ركّابها مصرعهم .

اقترب الضابط يفحص هيكل الطائرة المحترق ، ثم قال :

— أشك في هذا يا (ميخائيلوفيتش) ، فلا توجد أية بقايا بشرية محترقة .

قال (ميخائيلوفيتش) :

— ربما احترقوا عن آخرهم ، أو ..

قاطعه صوت ساخط ، يقول :

— لا تنطق بعبارة غبية أيها الرفيق الجندي ، وإلا فصلتك من الخدمة .

التفت الجنود وضابطهم في سرعة إلى مصدر الصوت ، وصوّبوا فوهات أسلحتهم إلى تلك الشقراء الفاتنة ، التي ترتدي زيًّا عسكريًّا ، وتحيط جبهتها بضمادة صغيرة ، اصطبغ نصفها بدمائها القانية ..

وفي برود صارم ، تطلّعت الشقراء إلى الأسلحة المصوّبة إليها ، وقالت :

— استجابة جيّدة أيها الرفاق ، ولكنكم أخطأتم الهدف .

سألها الضابط في صرامة :

— من أنت ؟

قالت في لهجة قوية ، شأن من اعتاد إصدار الأوامر :

— الميجور (نوفا ماليوف) ، من الـ (كي . جي . بي) .

كان لذكر عملها أثر رهيب على الضابط وجنوده ، فقد اتسعت عيونهم فى ذعر ، وانخفضت أسلحتهم فى سرعة ، فانعقد حاجبا (نوفا) فى غضب ، وهى تقول :

ـــ لماذا خفضتم أسلحتكم ؟ .. هل تأكدتم من حقيقة شخصيتى بعد ؟

قال الضابط فى ارتباك :

ـــ معذرة أيتها الرفيق .. لقد خشينا أن ..

صاحت فى حنق :

ـــ خطأ .. لابد وأن تتأكد من شخصيتى أيها الضابط ، مهما كانت الأسباب .. إننى أطارد الآن شيطانًا ، استطاع انتحال شخصية الجنرال (نابيكوف) ، فى مهارة مذهلة ، نجحت فى خداعى أنا شخصيًّا .

وعضّت شفتها السفلى فى غيظ وندم ، وهى تستطرد :

ـــ ولو أننى طالبته بإثبات شخصيته ، لما حدث كل هذا .

ارتبك الضابط ، ولم يدر ماذا يفعل ، ثم لم يلبث أن استجمع شجاعته ، وقال :

ـــ حسنًا أيتها الرفيق الضابط ، هل لى فى رؤية هويتك العسكرية ؟

قالت فى صرامة :

ـــ لا وقت لهذا العبث .

تراجع فى دهشة ، وامتلأت نفسه بالغيظ ، فى حين تجاوزته هى فى خشونة ، واتجهت إلى الهليوكوبتر ، وأخذت تفحصها فى اهتمام ، فقال الضابط :

ـــ إنها إحدى طائراتنا على الأرجح ، ولقد سقطت فى معركة جوية ، و ..

قاطعته فى صرامة :

ـــ أعلم هذا ، فأنا التى أسقطتها .

ثم اعتدلت مستطردة فى مقت :

ـــ وكدت ألقى حتفى أنا أيضًا ، لولا أن قفزت من طائرتى ، فى اللحظة الأخيرة ، مستخدمة مظلة هبوط قديمة ، كادت توردنى حتفى ، من هذا الارتفاع الصغير .

صمتت لحظات ، وشرد بصرها بنظرة كراهية ، وكأنها تسترجع ذكرى ماحدث ، ثم انحنت تفحص الأرض حولها فى اهتمام ، وقالت :

ـــ لا توجد آثار أقدام حول الحطام ، كما لا يوجد أثر للجثتين ، وهذا يعنى أنهما قد نجوَا .

ثم رفعت رأسها فى توتر ، مستطردة :

ـــ ولكن كيف ؟

صمتت لحظات أخرى مفكّرة ، ولزم الضابط وجنوده الصمت ، احترامًا لصمتها ، قبل أن ترفع هى رأسها إلى قمم الأشجار ، قائلة :

ـــ أعطنى مصباحًا يدويًّا .

ناولها الضابط مصباحه اليدوى ، فأشعلته ، وصوّبته إلى قمم الأشجار ، وراحت تفحصها فى اهتمام بالغ ، ثم لم تلبث أن توقفت ، عند قمة شجرة ، تحطمت أغصانها ، ومالت إلى أسفل ، فأسرعت إلى جذعها ، وخفضت مصباحها ؛ لتفحص الآثار العميقة عند قاعدة الشجرة ، ثم نهضت فى حركة حادة ، وأدارت رأسها إلى الشمال الغربى ، مغمغمة :

ـــ يا للشيطان !

والتفتت إلى الضابط ، تسأله فى حسم :

ـــ هل تحمل جهازًا لاسلكيًا ؟

أجابها فى سرعة :

ـــ بالطبع .

قالت فى لهجة آمرة ، وهى تسرع نحو سيارة الدورية :

ـــ اتصل بأقرب دورية ، عند الحدود الفنلندية ، ومرهم بتشديد المراقبة على منطقتهم ، وإطلاق النار على كل من يقترب من الحدود .

تبعها الضابط والجنود فى خطوات سريعة إلى السيّارة ، وقفزت هى داخلها ، وهى تقول :

ـــ هيا .. أسرعوا .. ينبغى أن نلحق بهما ، قبل أن يبلغا الحدود .

التقط الضابط مسماع جهاز اللاسلكى ، ليبلغ أوامرها لنقاط الحدود ، وهو يقول لسائق السيارة فى حزم :

ـــ انطلق إلى الشمال الغربى .

وأطاع السائق الأمر ، وانطلق بالسيارة نحو الحدود ، فى حين تألّقت عينا (نوفا) ببريق شرس ، وهى تكرّر جملتها المعهودة :

ـــ لن تفلت أيها المصرى .. لن تفلت أبدًا ..

★ ★ ★

« فلنتوقّف قليلاً .. »

هتفت (فدوى) بالعبارة فى إرهاق ، وهى تشير إلى (أدهم)

بالتوقّف ، فقال فى خفوت ، وهو يتطلّع إليها بنظرة مشفقة :

ـــ المفروض ألا نتوقّف الآن ، فلقد أصبحت الحدود الفنلندية على مسافة كيلو متر ونصف فقط ، ومن الخطر أن نتوقّف قبل بلوغها .

لوّحت بكفها ، وألقت جسدها أرضًا ، وهى تقول :

ـــ لا فائدة .. لم أعد أستطيع الاستمرار .

تطلّع إليها لحظة فى صمت وعطف ، ثم جلس إلى جوارها ، عند جذع شجرة قديمة ، وقال فى هدوء :

ـــ ربما لا تقدرين خطورة الموقف يا (فدوى) ، فنحن هنا فى أخطر مناطق (الاتحاد السوفيتى) ، حيث تنتشر دوريات حراسة شرسة ، لديها أوامر صارمة ، بإطلاق النار على كل من يقترب من الحدود ، وخصوصًا أولئك الذين يسأمون النظم الشيوعية ، ويحاولون الفرار إلى دول أخرى ، وهذا يعنى أننا معرّضون لكشف أمرنا فى أية لحظة ، لو بقينا هنا .

أراحت جبهتها على راحتها ، وهى تقول :

ـــ إننى مقتنعة بكل حرف نطقت به ، ولكن ..

رفعت عينين منهكتين إليه ، وهى تستطرد فى لهجة أقرب إلى الضراعة :

ـــ لم أعد أحتمل .

ارتفع حاجباه فى حنان ، وربّت على كتفها ، مغمغمًا :

ـــ فليكن يا عزيزتى .. سنبقى بعض الوقت ، ثم نواصل الطريق .

ارتكنا إلى جذع الشجرة فى صمت ، وتطلّعت هى إلى السماء بنجومها اللامعة ، التى بدت أشبه بقطع من الماس ، تتألّق على ثوب مخمل أسود ، وهمست :

ـــ يا إلهى !.. كم أتمنى لو انتهى كل هذا .

غمغم :

ـــ سينتهى على خير حال بإذن الله .

تنهدت وقالت :

ـــ أتمنى هذا .

ثم لاذا بالصمت ، وكأنما يخشى كل منهما إفساد المشهد الصامت ..

وأسبلت (فدوى) جفنيها ، وهى تتساءل فى دهشة ، عن سر تلك الرومانسية ، التى ترتع فى أعماقها ، وسط كل هذا الخطر ..

لم يكن من الممكن أبدًا ، قبل أن تلتقى بـ (أدهم) ، أن تتصوَّر نفسها وسط كل هذا ..

ولا أن تشعر بما تشعر به الآن ..

لقد أصابها تغيير كبير بالتأكيد ..

هاهى ذى ، بعد كل ما خططته لحياتها ، تجلس عند جذع شجرة ، إلى جوار رجل مخابرات مدهش ، تتطلَّع إلى السماء والنجوم ، وسط غابة كثيفة ، عند الحدود الفنلندية السوفيتية ، والموت يحيط بها من كل جانب ، وعلى الرغم من كل هذا ، فهى تجد الوقت للتفكير فى الحب ، والعواطف ، ولواذع القلوب ..

أى جنون أصابها ؟ ..

أى تغيير عصف بها ؟ ..

أى ..

قاطعتها فجأة زمجرة مخيفة ، فالتفتت إلى مصدرها فى حركة سريعة ، وأطلقت صرخة رعب ، عندما انقضَّ عليها ذئب أبيض ضخم ، وهو يتجه بأنيابه نحو عنقها ..

ونحو حياتها ..

* * *

٢٤ ـــ أنياب ..

أوقفت (نوفا) سيارة الدورية للمرة الثالثة ، وهبطت منها تفحص الأرض فى اهتمام ، ثم اعتدلت ، ووضعت قبضتيها فى وسطها ، وهى تدير عينيها فى المكان ، وغمغمت فى عصبية :

ـــ ترى أين ذهب ذلك الشيطان ؟

انحنت مرة أخرى تفحص الآثار ، وسألها الضابط :

ـــ هل وجدت شيئًا ، أيتها الرفيق (نوفا) ؟

التفتت إليه لحظة فى صمت ، ثم أجابت :

ـــ هناك أمر ما ، يثير القلق والشك ، فلو أن ذلك الشيطان قد اتخذ طريق الشمال الغربى مباشرة ، لكان من الضرورى أن تمتد آثار أقدامه وأقدام زميلته إلى هنا ، ولكننى لا أجد أدنى أثر لهما ، وهذا يعنى أنهما قد اتخذا طريقًا آخر .

سألها الضابط فى حذر :

ـــ أليس من المحتمل أن ..

قاطعته فى صرامة ، قبل أن يتمّ سؤاله :

ـــ لا ..

عقد حاجبيه فى ضيق ، فاستطردت فى برود :

ـــ حاول ألا تنسى أبدًا ، أيها الرفيق الضابط ، أن العلوم والخبرات ، التى تلقَّاها فى الـ (كى . جى . بى) ، تفوق بألف مرة على الأقل ، كل ما تلقَّاه أنت من علوم ، منذ التحاقك بالجيش السوفيتى ، وحتى حصولك

على رتبة جنرال .. هذا لو أنك تملك الذكاء الكافى ، لبلوغ هـذا المنصب .

قال الضابط فى حدة ، وقد ساءه أن تتحدث إليه بهذا الأسلوب ، أمام جنوده :

ـــ وما الذى أخبرتك به خبرات الـ (كى . جى . بى) ، أيها الرفيق الضابط ؟

قالت فى حسم :

ـــ هذا المصرى خبير فى إزالة آثار أقدامه .

تمتم فى حنق :

ـــ بالعبقرية !

لم تنتبه ، فى غمرة تفكيرها ، بالنبرة الحنقة الساخرة ، التى نطق بها كلمته ، فتابعت بكل اهتمام :

ـــ فى هذه الحالة ، ينبغى أن نضع أنفسنا فى موضع الشخص ، الذى نطارده ، ونسأل أنفسنا : ماذا يمكن أن نفعل ، لو كنا فى موضعه ؟

تمتم الضابط .

ـــ سؤال جيّد .

راحت تفكّر مرة أخرى فى عمق وصمت ، قبل أن تسأله :

ـــ ألديك خريطة للمنطقة ؟

أجابها فى ضجر :

ـــ بالتأكيد .

وانحنى يلتقط الخريطة ، مستطردًا :

ـــ كل ضباط الدوريات يملكون خرائط تفصيلية واضحة للمنطقة .

التقطت منه الخريطة ، وفردتها أمامها ، على مقدّمة السيارة ، وصوّبت المصباح اليدوى إليها ، وهى تفحصها فى اهتمام بالغ ، ثم أشارت إلى نقطة ما ، قائلة :

ـــ لو أننى فى موضع ذلك المصرى ، وقررت الانحراف عن المسار التقليدى ، لتضليل فرق المطاردة ، التى تنطلق خلفى ، فمن الطبيعى أن انطلق إلى هنا ، فى الشمال ، حيث الحدود أقل اتساعًا ، و ..

وفجأة دوت طلقة رصاص ، شق صوتها سكون الليل ..

وتجمّدت (نوفا) فى مكانها لحظة ..

وابتسم الضابط فى سخرية ؛ فقد كانت الطلقة آتية فى اتجاه مخالف تمامًا ، لذلك الاتجاه ، الذى اقترحته (نوفا) ..

من الغرب ..

★ ★ ★

فى نفس اللحظة ، التى كاد فيها الذئب الأبيض يطبق بأنيابه على عنق (فدوى) ، جذبتها يد (أدهم) بعيدًا فى قوة ، فارتطم الذئب بجذع الشجرة ، وأطلق عواءً غاضبًا ، وهو يتراجع فى حدة ..

ومن خلفه ، برزت ست عيون أخرى ، من وسط الظلام ..

ثم برزت الأنياب الحادة ..

كانت أربعة ذئاب ، تتطلّع فى وحشية إلى (أدهم) و (فدوى) ..

والتصقت (فدوى) بـ (أدهم) فى رعب ، وهى تقول :

— ماذا نفعل ؟

أجابها فى خفوت :

— لست أدرى .

لم يكن يدرى حقًّا ما الذى ينبغى أن يفعله ، وهو الذى بذل أقصى جهده ، لاتخاذ مسار متعرّج ، وتضليل مطارديه ..

إنه لن يستطيع إطلاق النار على الذئاب ، حتى لا يكشف موضعه .. ولا يستطيع أن يفرّ منها أيضًا ، فى وجود (فدوى) ..

وزمجرت الذئاب مرة أخرى ..

وتحفّزت للانقضاض ..

وفى حزم ، قال (أدهم) لـ (فدوى) :

— عندما يبدأ القتال ، انطلقى إلى تلك الشجرة ، ذات الأغصان الطويلة ، وتسلّقيها ، و ..

قاطعته فى عناد :

— سأبقى معك .

صاح فى غضب :

— هذا أمر .

ومع صيحته ، انقضت الذئاب ..

وأطلقت (فدوى) صرخة رعب ، عندما انغرزت أنياب أحد الذئاب فى كم سترتها ، وجذبها الذئب فى قوة ، فى نفس الوقت الذى انقضت فيه الذئاب الثلاثة الأخرى على (أدهم) ، وكأنها تدرك فارق القوة ، بين إناث وذكور البشر ..

ودفع (أدهم) الذئب الأوّل فى قوة ، ثم لكم الثانى فى وجهه ، كما لو كان خصمًا بشريًا ، فى حين أنشب الثالث مخالبه فى صدر سترته ..

وصرخت (فدوى) ، والذئب يلقيها أرضًا ، ويجذبها بعيدًا فى قوة :

— النجدة يا (أدهم) ! النجدة !

وأمام ذلك المشهد ، تلاشت من ذهن (أدهم) كل احتياطات الأمن ، التى تعلّمها فى عمره كله ، ولم يعد هناك ما يهم ، سوى أمر واحد ..

أن تنجو (فدوى) ..

وبأى ثمن ..

وفى سرعة ، حسم أمره ، وانتزع مسدّسه من جيبه ، وأطلق النار على ذلك الذئب ، الذى يجذب (فدوى) ..

وكانت الرصاصة ، التى سمعها رجال الدورية السوفيتية ، وعلى رأسهم الرفيق الميجور (نوفا مالينوف) ..

وقبل أن يتلاشى دوى الطلقة ، كانت (نوفا) تقفز داخل السيارة ، صائحة :

— اسرعوا .. لقد كشف مكانه .

أما (أدهم) ، فقد أدرك ، فور إطلاقه الرصاصة الأولى ، أن الاختفاء لم يعد مجديًا ، فأدار فوهة مسدّسه إلى رأس ذئب ضخم ، تشبّث بأنيابه فى صدر سترته ، وأطلق عليه رصاصة ، ألقته جثة هامدة ..

وتراجع الذئبان الآخران فى سرعة ، وراحا يدرسان خصمهما من جديد ..

هكذا الحال في عالم الحيوان ..

كل حيوان في الغابة ، لا يقاتل إلا الحيوانات الأضعف منه فحسب ..

هذا هو قانون القوة ..

وفي صرامة ، لوّح (أدهم) بمسدسه في وجه الذئبين ، صائحًا :

— هيا .. ابتعدا .

والعجيب أنهما أطاعا أمره ، وانطلقا يعدوان مبتعدين ، فأسرع هو إلى حيث سقطت (فدوى) ، وعاونها على النهوض ، قائلًا في قلق :

— هل أصابك مكروه ؟

أجابته في خفوت ، وهي تتطلّع إليه في انبهار :

— وهل من الممكن أن يصيبني مكروه ، وأنا بصحبتك ؟

تطلّع إلى عينيها الجميلتين لحظة ، ثم قال في حسم :

— لقد كشفنا أنفسنا بهذه الطلقات ، والأفضل أن نسرع بالابتعاد عن هنا ، قبل أن تنقضّ علينا الدوريات السوفيتية ، من كل صوب .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى غمرهما ضوء سيارة دورية سوفيتية ، وارتفع صوت صارم ، يقول باللغة الروسية :

— لقد سقطتما .. ألقيا أسلحتكما ، أو نطلق النار على الفور .

وأسقط في يد (فدوى) ..

وانهار الأمل في أعماقها ..

ولكن فجأة ارتفع صوت (أدهم) ، يقول بلغة روسية سليمة :

— مهلًا أيها الرفيق .. إنني ضابط من ضباط الـ (كي . جي . بي) ، أطارد تلك الهاربة .

لم تفهم (فدوى) حديثه ، ولكنها فوجئت به يمسك ذراعها في قوة ، ويتقدّم نحو سيارة الدورية ، ممسكًا مسدسه باليد الأخرى ، في حين قال ضابط الدورية في تردد :

— ولماذا تطاردها هنا ، أيها الرفيق الضابط ؟

أجابه (أدهم) بلغته :

— كانت تحاول عبور الحدود .

كانت لغته سليمة للغاية ، ولم يكن قد تخلّص بعد من الزي العسكري السوفيتي ، الذي بدا متهدلًا ، بعد أن انتزع منه الكرش الصناعي ، الذي استخدمه لانتحال شخصية الجنرال (نابيكوف) ، مما جعل ضابط الدورية يميل إلى تصديقه ، ويتطلّع إلى (فدوى) بنظرة فاحصة ، قائلًا :

— لقد تلقينا بلاغًا بشأنها ، وكنا نبحث عنها ، وعن زميل لها .

كان (أدهم) قد بلغ موضع السيارة ، في هذه اللحظة ، فتوقف أمام الضابط ، وهو يقول :

— لن تبحث عنه طويلًا .

سأله الضابط في لهفة :

— هل أوقعت به أيها الرفيق ؟

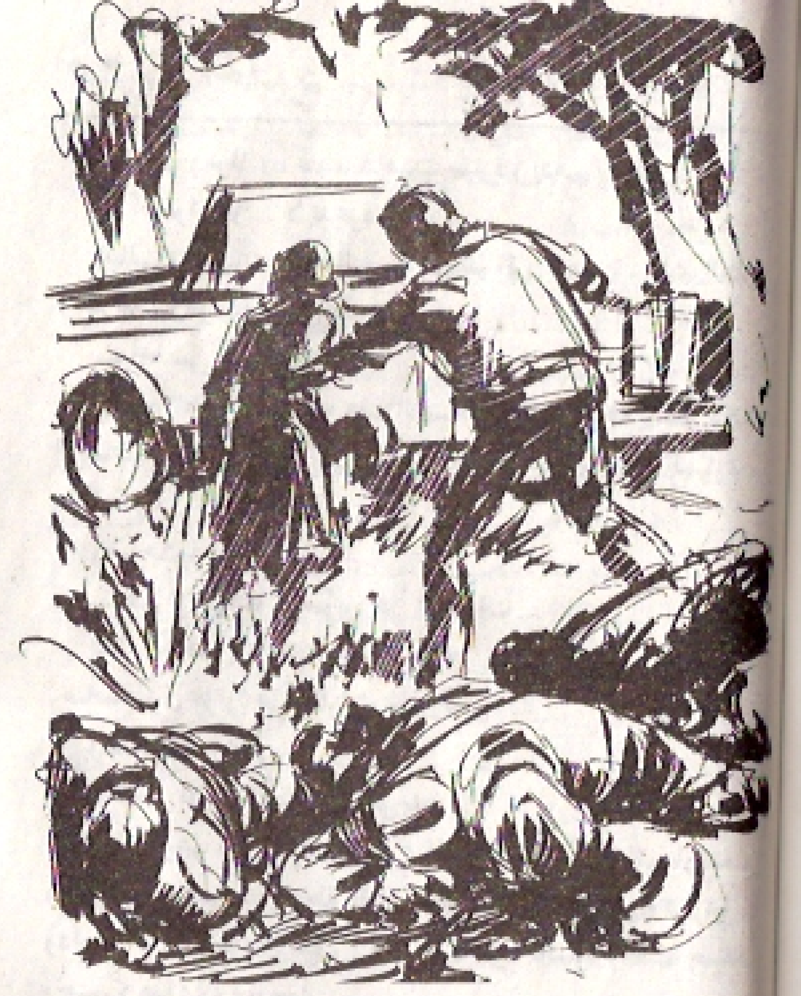
هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال :

— لم يكن هناك داع لذلك .

ثم انطلقت قبضته كالقنبلة ، في وجه الضابط ، وهو يستطرد :

— فهو أنا .

رفع جنود الدورية الأربعة فوهات مدافعهم الآلية ، في وجه



لم يجب سؤالها ، وإنما جذبها من يدها إلى السيارة ، وهو يقول فى حزم :
ــ هيا ..

(أدهم) ، فور حدوث هذا ، ولكن (أدهم) دفع (فدوى) بعيدًا ، ثم قفز داخل السيارة ، وسط خصومه الأربعة ..

وكانت تجربة فريدة للجنود الأربعة ..

لقد خُيِّل إليهم أن (أدهم) هذا ليس سوى قنبلة موقوتة ، لم تكد تحتل سطح سيارة الجيب ، حتى انفجرت فى وجوههم بغتة ..

لقد تلقى أحدهم لكمة ساحقة ، ألقت به من فوق السيارة ، وتفجَّر أنف الثانى ، إثر لكمة كالقنبلة ، أفقدته الوعى على الفور ، وفى اللحظة نفسها تقريبًا تحطَّم فك الجندى الثالث ، بضربة من كعب بندقية زميله ، التى انتزعها (أدهم) ، ودفعها فى أسنان الرابع ..

وانتهى القتال فى لحظة واحدة تقريبًا ..

وفى ذهول تام ، حدَّقت فيه (فدوى) ، هاتفة :

ــ يا إلهى !! .. كيف فعلت هذا ؟

لم يجب سؤالها ، وإنما جذبها من يدها إلى السيارة ، وهو يقول فى حزم :

ــ هيا .

وأدار محرِّك السيارة فى سرعة ..

وفجأة ، وقبل أن ينطلق بالسيارة ، سقط ضوء سيارة أخرى على جانب وجهه ، وارتفع فى المكان صوت (نوفا) ، وهى تصرخ .

ــ ها هوذا ! .. لقد أوقعنا به .. أوقفوه يا رفاق .. أوقفوه بأى ثمن .

ولكن (أدهم) انطلق بالسيَّارة بلا تردد ..

لقد قرَّر مواصلة القتال ..

حتى آخر رمق ..

★ ★ ★

٢٥ ـ الحدود ..

صرخت (نوفا) ، عندما شاهدت سيارة (أدهم) تنطلق :

ـ أطلقوا النار .. لا تدعوه يفلت .

انهالت رصاصات جنود الدورية على سيارة (أدهم) ، الذى انطلق فى سرعة ، وهو يهتف بـ (فدوى) :

ـ اخفضى رأسك .

لم يكن يحتاج إلى توجيه هذه النصيحة إليها فى الواقع ، فلم تكد الرصاصات تنطلق فوق رأسها ، حتى ألقت نفسها فى جوف السيّارة ، وانكمشت فى رعب ..

وصاحت (نوفا) :

ـ على الإطارات .. صوّبوا على الإطارات ..

شعر (أدهم) بالقلق ، عندما أطاعها الجنود ، وراحوا يطلقون رصاصاتهم فى غزارة على إطارات السيارة ..

وانفجر إطار خلفى ..

ثم انفجر الإطار الأمامى الأيسر بغتة ..

وعلى الرغم من مهارة (أدهم) المدهشة ، فى قيادة السيارات ، وأصابعه التى تطبق على عجلة القيادة كالفولاذ ، فقدت سيارته توازنها ، ودارت حول نفسها فى عنف ، ثم انقلبت على جانبها ، وألقت جسده وجسد (فدوى) خارجها ..

وصرخت (نوفا) فى انتصار :

ـ لقد ظفرت به .. أخيرًا ظفرت به .

ولكن (أدهم) نهض فى سرعة ، واندفع يواجه السيارة الأخرى بجسده ، وهو يرفع رصاصاته فى وجهها ..

وصرخ الضابط :

ـ ماذا يفعل هذا المجنون ؟

أما (نوفا) فقد تذكّرت مواجهتها السابقة مع (أدهم) ، عندما أصاب طائرتها بمسدّسه ، فى مهارة مذهلة ، فصرخت :

ـ اخفضوا رءوسكم .

ولم تكد تخفض رأسها ، حتى أطلق (أدهم) النار ..

كان ضوء مصباحى السيارة يغمره ، ويمنعه من رؤية هدفه بدقة ، وعلى الرغم من ذلك فقد أصابت رصاصاته مصباحى السيارة ، وذراع سائقها ، الذى أطلق صرخة ألم ، وانحرف بالسيارة فى حركة غريزية عنيفة ، فارتفع إطاراها الأيمنان ..

وانقلبت على جانبها الأيسر ..

وبينما كانت (نوفا) تقاتل ، للخروج من السيّارة المقلوبة ، اندفع (أدهم) نحو (فدوى) ، وعاونها على النهوض ، ثم هتف :

ـ اجرى .. اجرى من أجل حياتك .

انطلقت تعدو إلى جواره ، نحو بحيرة تلوح من بعيد ، مع أضواء الفجر الأولى الخافتة ، فى حين هتفت (نوفا) من خلفهما :

ـ أوقفوهما .

انشغل الجنود لحظات فى الخروج من السيارة ، ثم راحوا يطلقون النار

خلف (أدهم) و (فدوى) ، وصاحت (فدوى) :

— إلى أين نذهب ؟

هتف بها (أدهم) :

— إلى تلك البحيرة هناك .. المهم أن نبلغها ، وبعدها ينتهى كل شىء .

هتفت فى مرارة :

— لن يمكننى هذا .. لن يمكننى أبدًا .

صاح بها :

— ابذلى أقصى جهدك .

ولكنها تعثرت بغتة ، وسقطت على وجهها ، فتوقف ليعاونها على النهوض ، وسمعها تقول فى مرارة :

— لا فائدة .. لن يمكننى الاستمرار .

ألقى نظرة قلقة ، على الجنود الذين بدأوا مطاردتهما ، وقال :

— بل يمكنك .. حاولى ، و ..

قاطعته فى حزن :

— لن أستطيع .. إننى أعرف قدراتى جيدًا .. اهرب أنت يا (أدهم) .. اهرب قبل فوات الأوان .

انحنى يحملها فى سرعة ، وهو يقول فى صرامة :

— محال .

حملها على ذراعيه ، كما لو كانت طفلًا صغيرًا ، وانطلق يعدو نحو البحيرة ، وخلفه (نوفا) ، تطلق رصاصات مسدسها ، وتصرخ :

— الحقوا به .. اقتلوه .

وأخذت البحيرة تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

والرصاصات من حول (أدهم) تنهال فى غزارة ، وسخاء ..

ثم بلغ (أدهم) شاطىء البحيرة ..

وبلا تردد ، ألقى (أدهم) جسده فى البحيرة ، وأخذ يسبح بقدميه بعيدًا عن شاطئها ، وهو يحمل (فدوى) بذراعيه ..

وعندما بلغت (نوفا) ورجالها شاطىء البحيرة ، كان هو قد ابتعد عنه عشرين مترًا على الأقل ، فهتفت (نوفا) ، وهى ترفع مسدسها نحوه :

— خسرت هذه المرة أيها المصرى .. لن أخطئ هدفًا بمثل حجمك من هذه المسافة أبدًا .

وضغطت الزناد ..

* * *

انتفضت (منى) فى قوة ، عند هذا الجزء من الرواية ، وهتفت :

— هل أطلقت النار ؟

تطلع إليها (قدرى) فى دهشة ، وقال :

— ما الذى أفزعك إلى هذا الحد ؟ .. أنت تعلمين حتمًا أنها لم تقتل (أدهم) ، وإلا لما شاركته مغامراته بعدها .

قالت فى توتر :

— لست أقصد (أدهم) .

ثم مالت نحوه ، مستطردة ، فيما يشبه الهمس :

— بل أقصد (فدوى) .

تطلّع إليها لحظة فى صمت ، ثم سألها :

— لماذا توقّعت هذا ؟

تراجعت فى بطء ، ثم هزّت كتفيها ، وقالت :

— لست أدرى .. لقد بدا لى هذا طبيعيًا .

ثم :

— عجبًا !

جعلتها كلمته تعتدل فى حركة حادة ، وتقول :

— هل حدث هذا بالفعل ؟

سألها فى دهشة :

— حدث ماذا ؟

تردّدت ، قبل أن تقول :

— هل .. هل قتلت الرصاصة (فدوى) ؟

قال فى دهشة أكبر :

— ما الذى جعلك تتوقعين هذا ؟

أشارت إليه ، قائلة :

— أنت .. أسلوبك أوحى إلىّ بهذا ، عندما ردّدت كلمة (عجبًا) .

أطلق ضحكة طويلة ، وقال :

— قلت هذا ؛ لأن أسلوب تفكير النساء يدهشنى .

عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى حدة :

— اسمع يا (قدرى) .. صحيح أنك واحد من خبراء المخابرات ،

ولكنك لست محترفًا مثلى ، وأنا أعلم جيدًا — بحكم خبرتى — أنه من المستحيل تقريبًا أن يُخطئ فرد من أفراد المخابرات ، أيًا كانت الدولة التى ينتمى إليها ، فى إصابة هدف بشرى ، من مسافة عشرين مترًا فحسب ، وهذا يعنى أنه ما دامت (نوفا) قد أطلقت رصاصاتها ، فقد أصابت هدفها حتمًا ، ومادام هذا الهدف ليس (أدهم) ، كما تعلم الآن ، فهو حتمًا (فدوى) .

مطّ شفتيه ، وهو يقول فى خبث :

— يا للذكاء !

عقدت حاجبيها أكثر ، وسألته فى حدة :

— قل لى : هل أطلقت (نوفا) رصاصتها أم لا ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

— لقد أطلقتها .

رفعت ذراعيها هاتفة :

— من أصابت إذن ؟

ضحك لثورة أعصابها ، وقال :

— لا داعى لكل هذا التوتر ، يا عزيزتى (منى) ، كان يمكنك أن تستمعى إلى القصة ، بدلًا من مقاطعتى على هذا النحو ، وكنت ستعرفين الجواب حتمًا .

زفرت فى حدة ، وقالت :

— حسنًا .. حسنًا .. لقد وعيت الدرس .. أقسم لك .. هيا .. لن أقاطعك مرة أخرى ، واصل قصتك .

رفع سبابته فى تردد ، وقال :

ـــ هل يمكننى أن أطلب فطيرة جبن أولًا ؟

صاحت به :

ـــ بل ستروى على الفور .

اعتدل قائلًا :

ـــ فليكن .. سأطيعك هذه المرة .

وعاد يروى ..

★ ★ ★

فى نفس اللحظة ، التى ضغطت فيها (نوفا) زناد مسدّسها ، انقضّت يد الضابط على معصمها ، ورفعته إلى أعلى ، فطاشت الرصاصة فى الهواء ، والتفتت إليه (نوفا) ، صارخة فى جنون :

ـــ ماذا فعلت ؟ .. هل جننت ؟

أجابها فى حدة :

ـــ كنت أحاول منعك ، من الوقوع فى خطأ جسيم ، أيتها الرفيق .

صرخت فى غضب :

ـــ أى خطأ أيها الغبى ؟ .. إن الجاسوس سيفلت .

ودفعته عنها ، صائحة :

ـــ ابتعد .. إنك تعيق عملى .

ورفعت مسدّسها مرة أخرى نحو (أدهم) ، الذى اقترب من الشاطئ الآخر للبحيرة ، ولكنها لم تكد تضغط الزناد هذه المرة أيضًا ،

حتى رفع الضابط فوهة مسدّسها إلى أعلى ، وأضاع رصاصتها ، فصرخت :

ـــ ماذا أصابك ؟

قال فى صرامة غاضبة :

ـــ ليس من حقك إطلاق النار عليه أيتها الرفيق .

صرخت ثائرة :

ـــ من قال هذا ؟

أشار إلى لافتة قريبة ، مجيبًا فى صرامة :

هذه اللافتة .

التفتت إلى اللافتة فى حدة ، وانعقد حاجباها فى شدة ، ثم عادت تدير عينيها فى غضب ، إلى الشاطئ الآخر للبحيرة ، حيث صعد (أدهم) و (قدرى) ، وأسرعا يعدوان إلى الغابة القريبة ، وعضّت شفتيها قهرًا وغيظًا ..

لقد خدعها ذلك المصرى مرة أخرى ..

خدعها الخدعة الأخيرة ..

★ ★ ★

ارتجف جسد (قدرى) ، و (أدهم) يعاونها على الصعود إلى الشاطئ الآخر ، وقالت فى توتر :

ـــ يا إلهى .. لقد تصوّرت لحظة أنهم سيلحقون بنا إلى هنا .

ابتسم وهو يقول فى ارتياح :

ـــ اطمئنى .. لن يمكنهم هذا .

سألته في دهشة :

ــ لماذا ؟

أجابها ضاحكًا :

ــ لأننا ، ومنذ هبوطنا إلى البحيرة ، لم نعد داخل الحدود السوفيتية .

هتفت فرحة :

ــ حقًا ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم يا عزيزتي ، فشاطيء البحيرة البعيد هذا ، هو الحد الفاصل بين الحدود السوفيتية ، والحدود الفنلندية ، والقانون الدولي يحظر على أي جندي سوفيتي عبور هذا الحد الفاصل ، وإلا اعتُبِر هذا عملًا عسكريًا ، موجهًا إلى (فنلندا) ، أو إعلان حرب بين الدولتين ، وهذا ينطبق أيضًا على إطلاق النار من أحد جانبي البحيرة ، إلى الجانب الآخر ، ومنذ لحظة هبوطنا إلى البحيرة ، لم يكن من الممكن ــ قانونًا ــ أن يُطلق علينا جندي سوفيتي واحد رصاصة من مسدسه .. هل فهمت لماذا اخترت هذه المنطقة بالذات ؟

ابتسمت في وجهه ، قائلة في هيام :

ــ أنت عبقري .

ألقى جسده فوق العشب الطري ، وأسبل جفنيه ، وهو يغمغم :

ــ لا تبالغي يا عزيزتي .. إنها بعض المعلومات البسيطة ، حول الحدود الجغرافية ، وقوانين السياسة الدولية .

تطلعت إليه في حب وحنان ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة خافتة ،

وهي تتمتم :

ــ هل اعتدت اعتبار كل الأمور بسيطة هكذا ؟

أجابها ، دون أن يفتح عينيه :

ــ إنها كذلك بالفعل .

استلقت على الحشائش إلى جواره ، وقالت :

ــ بل أنت الرائع يا (أدهم) .. إنك تؤدي أعمالًا يعجز عنها أعتى الرجال ، ولكنك تفعلها في بساطة متناهية ، توحي بأنها مجرَّد أعمال عادية بسيطة .. ألا تدرك أنك واحد من قلائل ، نجحوا في اجتياز السور الحديدي ذهابًا وإيابًا .

ارتفع فجأة صوت أنثوي غاضب ، يقول :

ــ وواحد من عديدين ، لقوا مصرعهم أثناء هذا .

وأطلقت (فدوى) صرخة رعب .

★ ★ ★

٢٦ ـ الأحمر والأشقر ..

حلّقت طائرة مائية خاصة ، فوق تلك الجزيرة الصغيرة ، التي يندر وجودها على خرائط المحيط الأطلنطي ، ونقل الهواء رسالة لاسلكية من الطائرة ، إلى قلعة قديمة ، ترتفع فوق أعلى قمم الجزيرة ، تقول :

ـــ هنا طائرة (ماري ويلكوكس) ، تطلب الإذن بالهبوط.

ارتفع من القلعة نداء يقول :

ـــ من (سكورپيون) إلى (ماري ـــ ويلكوكس) .. لديك الإذن بالهبوط .

أجابت الطائرة ..

ـــ عُلِم ، وسنهبط على الفور ، في المكان المعتاد .

انحدرت الطائرة في نعومة ، حتى استقرت على سطح الماء ، بين زورقين بخاريين ، يحتلهما عدد من الرجال الأشداء ، المسلحين بالمدافع الآلية ، وفُتح بابها في بطء ، وبرزت على عتبته (ماري) ، في ثوب أحمر قصير كعادتها ، وشعرها الناري يلتهب تحت أشعة الشمس ، وألقت نظرة ساخرة على الرجال الأشداء ، ثم قفزت داخل أحد الزورقين ، وأشعلت سيجارتها ، وهي تقول :

ـــ هيا .. انطلق .

انطلق بها الزورق بالفعل ، حتى بلغ الجزيرة ، فاستقبلها أربعة رجال مسلحين ، نقلها اثنان منهم ، في سيارة خاصة ، إلى القلعة ، حيث عبرت ممرات طويلة معقدة ، أشبه بمتاهات ألعاب الأطفال ، إلى أن وجدت

نفسها أمام حجرة مغلقة ، ذات باب خشبي ضخم ، حُفر فوقه نحت بالغ الدقة ، لعقرب أسود مخيف ، يرفع ذنبه في تحفز ، مستعدًا للدغ خصومه ..

وكان النحت دقيقًا ، إلى حد كفيل بإثارة الرعب ، ولكن (ماري) تطلّعت إليه في لا مبالاة ، والحارس المصاحب لها يقول في صرامة :

ـــ انتظري هنا لحظة واحدة .

انتظرته في ضجر ، وغاب هو بعض الوقت ، داخل الحجرة ، قبل أن يعود إليها ، قائلًا :

ـــ سيستقبلك الزعيم الآن .

دلفت إلى الحجرة شبه المظلمة ، إلا من مصباح واحد صغير ، خلف مقعد الزعيم ، الذي بدا مظلمًا مخيفًا ، يوحي بأنه مجرّد مقعد خالٍ ، لولا دخان السيجار الضخم ، الذي يتصاعد من موضع جلوس الزعيم ..

وفي صوت عميق ، قال الزعيم :

ـــ اجلسي يا (ماري) .

لم يكن هناك سوى مقعد واحد ، جلست عليه (ماري) ، وحاولت أن تخترق حجب الظلام ببصرها ، وهي تتطلّع إلى حيث يجلس الزعيم ، الذي استطرد :

ـــ ماذا تريدين يا (ماري) ؟

قالت في هدوء :

ـــ لقد لقي (ويلكوكس) مصرعه .

أجابها بصوته العميق :

— أعلم هذا .
قالت :
— هذا يعني أنني قد أصبحت الزعيمة الفعلية للمنظمة .
قال في برود :
— وماذا بعد ؟
مالت إلى الأمام ، وهي تقول :
— أريد تأييدكم .
ران الصمت على المكان لحظات ، ثم قال الزعيم :
— هل يهمك كثيرًا الحصول على تأييد منظمة (سكوربيون) ؟
أجابته في هدوء :
— كثيرًا جدًا .
ثم استرخت في مقعدها ، مستطردة :
— لن أخفي عنك أنني كنت أحلم ، منذ زمن طويل ، بزعامة منظمتنا ، وكنت أعلم دائمًا بوجود منافسة خفية ، بينكم وبيننا ، وكان سير (ويلكوكس) يجد متعته في هذه المنافسة ، ولكنني أختلف عنه .. أختلف كثيرًا .
ومالت مرة أخرى ، مستطردة في حزم :
— إنني أريد أن أحيا .
ولوّحت بكفها ، هاتفة :
— لن أعرض حياتي للخطر ، لأنني أنوي التمتع إلى أقصى حد ، بتلك الثروة ، التي تركها لي سير (ويلكوكس) .

ران الصمت لحظات أخرى ، ثم قال الزعيم :
ألهذا تسعين لمصادقة المخابرات البريطانية ؟
شحب وجهها ، وهي تقول :
— من أخبرك بهذا ؟
أجابها بصوته البارد العميق :
— إنني أعرف فحسب .
تنهّدت ، وقالت :
— ليس المخابرات البريطانية ، وإنما (مايكل أوليفر) فحسب .
سألها في اقتضاب :
— وما الفارق ؟
صمتت لحظات ، ثم قالت :
— لدي أسبابي الخاصة .
قال في صرامة :
— أريد معرفتها .
صمتت لحظات أخرى ، ثم قالت في عصبية :
— اسمع أيها الزعيم .. لقد قطعت المحيط كله لألتقي بك ، وسأقطعه مرة أخرى بعد ساعة أو أكثر ، عائدة إلى موطني ، وكل هذا للحصول على تأييدكم ، وليس لطرح أوراقي على مائدتكم .
أجابها في برود :
— فليكن .. إننا سنؤيدك يا (ماري) .
تألقت عيناها في ظفر ، وهي تنهض قائلة :

ـــ أشكرك أيها الزعيم .. أشكرك كثيرًا .

واستدارت لتنصرف ، ولكن الزعيم استوقفها ، قائلًا :

ـــ لحظة يا (مارى) .

التفتت إليه فى تساؤل ، فأضاف :

ـــ أبلغى تحياتى إلى سير (مايكل أوليفر) ، وأخبريه أننى قد أرسلت إليه تحية أخرى منذ أيام ، عبر أصدقاء مشتركين .

واكتسى صوته بنبرة ساخرة ، وهو يضيف :

ـــ أصدقاء من السوفيت .

وأطلق ضحكة ساخرة عالية ، ردّدت الجدران صداها ، ولم تحتملها (مارى) ، فاندفعت خارج الحجرة ، وأغلقت الباب خلفها فى قوة ، ثم راحت تلهث فى انفعال ، وقد أدركت أنها ما تزال مجرّد تلميذه فى اللعبة .. لعبة الجاسوسية ..

* * *

هبّ (أدهم) جالسًا ، فور سماعه صوت (نوفا) ، وأطلقت (فدوى) صرخة رعب ، وهى تحدّق مع (أدهم) فى وجه السوفيتية ، التى ابتلّ شعرها الأشقر الذهبى ، والتصق بجبينها وعنقها ، وهى تصوّب مسدّسها إلى (أدهم) و (فدوى) فى غضب وحزم ..

وعقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ إنك ترتكبين أكبر خطأ فى حياتك يا (نوفا) ، فأنت الآن على

أرض فنلندية .

قالت فى شماتة :

ـــ فليكن .. أعلم أننى لست على أرض (الاتحاد السوفيتى) ، ولكن لا تعتمد على هذا كثيرًا ، فلست أبالى بالقوانين والأعراف ، عندما تشتعل رغبتى الشخصية فى الانتقام .

قال وهو ينهض فى بطء :

ـــ وماذا لو رآك أحد رجال حرس الحدود الفنلندية ؟

أجابته فى سخرية :

ـــ سأقتله .

ثم أدارت فوهة مسدّسها إليه ، واستطردت فى وحشية :

ـــ كما سأقتلك الآن .

وفجأة انقضّ عليها (أدهم) ، ومال جانبًا ، متفاديًا رصاصة أطلقتها عليه ، ثم ركل مسدّسها فى قوة ، فألقى به بعيدًا ، عند قدمى (فدوى) ، التى تراجعت فى ذعر ، مطلقة صرخة فزع ..

وانتزع (أدهم) مسدّسه ، ولكن (نوفا) ركلته بدورها ، وألقت به بعيدًا ، ثم وقفت تواجه (أدهم) ، قائلة فى شراسة :

ـــ لا تتصوّر أنك ستهزمنى ، لمجرّد أنك رجل .

قال فى سخرية :

ـــ وهل تتصوّرين أنك إمرأة ؟

قالت مشيرة إلى جسدها المتناسق :

ـــ أنا كذلك ، على الرغم منك .



قفز جانبًا ، متجاوزًا انقضاضتها ، ثم دفعها مرة أخرى ، قائلًا :
ــ قلت كفى يا (نوفا) ..

ثم انقضّت عليه فجأة ، صارخة :
ــ ولكننى سأتجاهل هذا .
هوت على عنقه بضربة قوية ، ولكنه تلقّاها على ساعده ، ودفع صاحبتها بعيدًا ، وهو يقول :
ــ كفى يا (نوفا) .. لا أستطيع مقاتلة امرأة .
صاحت ، وهى تهاجمه ثانية :
ــ بالتأكيد ، لأنها أقوى منك .
قفز جانبًا ، متجاوزًا انقضاضتها ، ثم دفعها مرة أخرى ، قائلًا :
ــ قلت كفى يا (نوفا) .
أطلقت صيحة غضب ، عندما سقطت على ظهرها ، ثم لم تلبث أن هبّت واقفة على قدميها ، وصاحت :
ــ لا تسخر منى .
زفر (أدهم) فى ضيق ، وقال :
ــ حسنًا يا (نوفا) .. ارحلى ، ولن أسخر منك .
قفزت (نوفا) فجأة ، والتقطت مسدّس (أدهم) ، وصوّبته إليه من بعيد ، هاتفة :
ــ لقد خسرت أيها المصرى .
باغتته مبادرتها ، فتراجع فى حركة حادة ، وقال :
ــ كفى يا (نوفا) .
أطلقت (نوفا) ضحكة ساخرة عالية ، وهتفت :
ــ لقد وقعت أيها المصرى ، والآن سأقتلك ، سأقتلك بلا رحمة .

رفعت مسدسها نحوه ، واستطردت :

ـــ الوداع أيها الشيطان .

وانطلقت رصاصة مدوية ..

* * *

لم تكد طائرة (مارى) ترتفع من الجزيرة ، حتى أضاء زعيم منظمة (سكوربيون) حجرته ، وبدا وسيمًا أنيقًا ، وهو يلتفت إلى مساعده ، ويسأله :

ـــ ما رأيك فى عرض (مارى) ؟

أجابه مساعده فى هدوء :

ـــ أظنها جادة فيما عرضته ، فهى ترغب فى العيش طويلًا ، والتمتع بثروة (ويلكوكس) الطائلة بالفعل .

مطَّ الزعيم شفته السفلى ، وكأنما لا يروق له هذا الرأى ، وقال :

ـــ أتظن التعاون معها مجديًا .

أجابه مساعده :

ـــ إنه لن يضرّنا على الأقل .

قال الزعيم :

ـــ من قال هذا ؟ .. إنه لمن عظيم الضرر أن يتعاون المرء مع من هم أقل منه منزلة .

هزَّ المساعد كتفيه ، دون أن يجيب ، فتطلَّع الزعيم إلى السقف لحظات فى صمت ، ثم قال :

ـــ فليكن .. سنمنحها الفرصة لإثبات قدراتها ، بعد أن تبدأ عمليتها الأولى ، فإما أن تحقِّق نجاحًا جيِّدًا ، يغرينا بالتعاون معها ، أو ..

فرقع إصبعيه ، وأضاف :

ـــ أو تبقى (سكوربيون) وحدها ، على ساحة العمل السرى الخاص .

* * *

عندما دوت تلك الرصاصة ، تصوَّر (أدهم) أنها قد اخترقت جسده ، لما يعلمه عن (نوفا) من المهارة ، فى إصابة الهدف ، ولكنه سمع صرخة تنطلق من هذه الأخيرة ، ورآها تلقى مسدسها فى ألم ، فأدار عينيه فى سرعة إلى (فدوى) ، ورآها شاحبة الوجه ، تصوِّب مسدس (نوفا) إليها ، والأدخنة تتصاعد من فوهته ، فى حين تنزف كتف (نوفا) ، وهى تهتف فى سخط :

ـــ اللعنة !

ثم رآها تنحنى لتستعيد مسدسها فى سرعة ..

وفكَّر (أدهم) فى مهاجمتها ، ولكن المسافة التى تفصله عنها لم تكنْ تسمح بهذا ، وأدرك أنها ستطلق النار على (فدوى) أوّلًا ، انتقامًا منها .. وأنه لن ينجح فى إنقاذها ..

ولذلك كله ، صرخ (أدهم) فى (فدوى) :

ـــ أطلقى النار يا (فدوى) .. أطلقى النار .

كانت (فدوى) جاحظة العينين ، تمسك المسدس بقبضتها فى قوة ،

وتصوّبه إلى (نوفا) ، فى حين كانت هذه الأخيرة ترفع فوهة مسدسها نحو (فدوى) فى سرعة المحترفين ..

وبكل ما يملك من قوة ، صرخ (أدهم) :

ـــ أطلقى النار يا (فدوى) .

وانطلقت رصاصات متتالية سريعة ..

وأصابت كلها هدفها ..

★ ★ ★

هبطت الطائرة القادمة من (فنلندا) فى مطار (هيثرو) بـ (لندن) ، فى الصباح التالى ، وهبط ضمن ركابها شاب وسيم حليق ، أخفى عينيه بمنظار داكن ، وكأنما لا يرغب فى أن يتعرّفه أحد ، أو أنه يخفى انفعالاً خاصًا ، عجز عن كتمانه فى أعماقه ، فقفز إلى عينيه ..

وعندما فحص ضابط الجوازات جواز سفر هذا الشاب ، طلب منه خلع منظاره ، ثم تطلّع إلى عينيه لحظة ، وقال :

ـــ إقامة سعيدة فى الجزر البريطانية يا مستر (أدهم) .

شكره (أدهم) بإيماءة صامتة من رأسه ، ثم حمل حقيبته الوحيدة ، وغادر المطار ..

وفى الخارج استقلّ (أدهم) سيارة من سيارات الأجرة ، انطلق بها إلى فندق عادى ، من فنادق العاصمة العريقة ، وهناك استأجر حجرة واسعة ، وقال لموظف الاستقبال ، وهو يوقّع الأوراق المطلوبة :

ـــ لا أحب أن يزعجنى أحد .

أجابه الموظف فى حماس :

ـــ بالطبع ياسيّدى .. إننا هنا نحترم خصوصيات النزلاء جيدًا .

صعد (أدهم) إلى حجرته ، وألقى حقيبته فوق الفراش ، ثم خلع منظاره الداكن ، ووضعه على منضدة مجاورة للفراش ، وتطلّع إلى ساعته ، مغمغمًا :

ـــ المفروض أن تكون هنا الآن .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى سمع دقات خافتة على باب الحجرة ، فأسرع يفتح الباب ، وابتسم فى ارتياح ، عندما وقع بصره على (فدوى) ، وهتف :

ـــ حمدًا لله على سلامتك .

دلفت إلى الحجرة ، وهى تقول :

ـــ لقد استأجرت الحجرة المجاورة لك .

قال فى خفوت :

ـــ عظيم .

تجنّبت النظر إليه ، وهى تقول :

ـــ لماذا تحرّك بهذا الأسلوب المعقّد ؟

أجابها فى هدوء :

ـــ لأن خصمنا ، سير (مايكل أوليفر) ، مايزال نائب رئيس المخابرات ، فى هذا البلد ، ولأنك تصرين على اللقاء معى ، حتى نهاية المهمة .

أشاحت بوجهها ، مغمغمة :

ـــ لست أدرى ما إذا كنت سأحتمل أم لا .

وتفجرت الدموع من عينيها بغتة ، وهي تستطرد :

ـــ إن ذلك المشهد لا يفارق خيالى أبدًا .

ربَّت على كتفها مشفقًا ، وهو يقول :

ـــ لم يكن لديك خيار يا عزيزتى ، فلو لم تطلقى أنت النار أوَّلا ، لقتلتك هي بلا رحمة .

بكت فى حرارة ، وهي تقول :

ـــ ولكننى أطلقت عليها ست رصاصات دفعة واحدة .

قال فى حنان :

ـــ لم يكن لديك خيار ، فى هذه النقطة أيضًا ، فالمسدَّس من النوع الآلى .

هزَّت رأسها ، وكأنها تحاول نفض المشهد عن رأسها ، وهي تقول :

ـــ كنت أعلم طيلة عمرى أن القتل أمر بشع ، ولكننى لم أشعر بهذه البشاعة ، فى عمرى كله ، مثلما شعرت بها الآن .

ودفنت رأسها فى صدره ، مستطردة :

ـــ كانت تجربة رهيبة يا (أدهم) .. رهيبة بحق .

ربَّت على ظهرها فى حب وحنان ، وقال :

ـــ لا بأس يا عزيزتى .. يمكنك الرحيل على الفور ، و ..

رفعت رأسها عن صدره ، هاتفة :

ـــ لا .

ثم جففت دموعها فى سرعة ، مستطردة :

ـــ سأبقى معك إلى النهاية .

وحاولت أن تبتسم ، وهي تتابع :

ـــ المهم ألا تضطرَّنا النهاية إلى السفر للمريخ هذه المرة .

رفع رأسه فى حزم ، وهو يقول :

ـــ لا يا عزيزتى .. أنا واثق من أن الصندوق الحقيقى هنا ، بين يدى (مارى) ، وغدًا سنواجه تلك الدموية ، ونستعيد وثائقنا فى جولة جديدة .

وخفض عينيه ؛ لتلتقيا بعينيها ، وهو يضيف :

ـــ وأخيرة .

* * *

٢٣ — الحفل ..

أوقف سير (مايكل أوليفر) سيارته الخاصة ، أمام بوّابة السور الكبير ، المحيط بقصر سير (ويلكوكس) ، وقال لحارس البوّابة في ضيق :

— هل سنعبر الإجراءات المعتادة ؟

أجابه الحارس في برود :

— لا يا سير (مايكل) .. لقد أمرت السيّدة (مارى) باستثنائك منها .

وفتح أمامه بوّابة السور ، فانطلق (مايكل) بسيّارته عبر الحديقة الواسعة ، حتى بلغ القصر ، وهناك استقبلته (مارى) بابتسامة واسعة ، ونظرة خبيثة كالمعتاد ، وهي تقول :

— مرحبًا بك للمرة الثانية ، في هذا القصر يا سير (مايكل) .

كانت تبدو فاتنة هذه الليلة ، وقد التمع شعرها النارى تحت الأضواء ، كشعلة من لهب ، ووضعت في أذنيها قرطين كبيرين من الماس ، تألقا كعشرات الشموس الصغيرة ، مع ثوب السهرة الضيق ، ذى اللون القرمزى ، والنجوم الفضية الدقيقة ..

ولقد ألقى سير (مايكل) عليها نظرة سريعة ، قبل أن يقول :

— أتعشم ألا تكون هذه المرة شبيهة بسابقتها .

ابتسمت (مارى) ، قائلة :

— اطمئن .. لن يتكرّر هذا .

قادته إلى حجرة واسعة ، اكتظّت بالتحف واللوحات الثمينة ، وقالت

لرجالها في حزم :

— اتركونا وحدنا .

أخلى رجالها الحجرة على الفور ، وأغلقوا بابها خلفهم ، فالتفتت هي إلى سير (مايكل) ، وقالت :

— إنني أمنحك بهذا دليل على ثقتي بك يا سير (مايكل) .

اتخذ مقعدًا وثيرًا ، وأشعل غليونه ، قائلًا :

— لم تعد الثقة بيننا تحتاج إلى دليل يا عزيزتي (مارى) ، فالآن تربطنا أمور أكثر قوة من الثقة ، وأعنى المصالح المشتركة .

أطلقت ضحكة قصيرة ، وقالت :

— هذا صحيح ، وأنا أفضّل ذلك الأسلوب .

ثم اتجهت إلى لوحة ثمينة ، وأشارت إليها ، قائلة :

— هل تعرف صاحب هذه اللوحة ؟

ألقى نظرة سريعة على اللوحة ، وأجاب :

— بالطبع ، فهذا الأسلوب الجنونى ، الشبيه بالحلم ، الذى يمزج ما بين الواقعية والسريالية ، لا يتميّز به سوى شخص واحد .. (سلفادور دالى) .

هتفت :

— رائع يا سير (مايكل) .. إنك تمتلك ثقافة فنية جيّدة .

ثم تحسّست اللوحة بأناملها ، مستطردة :

— أنا أيضًا أميل إلى اللوحات الزيتية ، وبالذات إلى اللون الـ ...

قاطعها في برود :

— الأحمر .
تطلّعت إليه بنظرة ساخرة ، وقالت :
— تمامًا .. من الواضح أنك أصبحت تفهم ذوق جيّدًا .
وضغطت بقعة حمراء كبيرة ، فى أرضية اللوحة ، ثم رفعت يدها عنها فى حركة أنيقة ، وتراجعت خطوة إلى الوراء ، وهى تتطلّع إلى الصورة ، التى انزاحت جانبًا ، لتكشف عن خزانة حديدية صغيرة ، تختفى خلفها داخل الجدار ، وانعقد حاجبا سير (مايكل) فى شدة ، وهو يتطلّع إلى الخزانة ، فقالت (مارى) فى زهو :
— من يتصوّر أن يبتاع سير (ويلكوكس) لوحة من لوحات (سلفادور دالى) ؛ ليصنع منها ستارًا لخزانته .
وأدارت قرص الخزانة فى سرعة ، ثم فتحتها ، والتقطت من داخلها ذلك الصندوق الأسود الصغير ، وهى تستطرد :
— ولكن الأمر يستحق .
هتف (مايكل) فى لهفة :
— أهذا هو ..
قاطعته مبتسمة :
— الصندوق الحقيقى .. نعم يا سير (مايكل) .. هذا هو الصندوق الحقيقى .
ووضعته على المنضدة أمامه ، مستطردة :
— أقدّمه لك كهدية صداقة .. وبلا مقابل .
تألّقت عينا سير (مايكل) ، وهو يتحسّس الصندوق فى لهفة ، ثم

اعتدل قائلًا فى حزم :
— ولكننى لا أستطيع قبول هذه الهدية بلا مقابل يا (مارى) .
هزّت كتفيها ، قائلة :
— لماذا ؟ .. إننى أمنحك إياه راضية .
قال فى حزم :
— لا يا (مارى) .. لم أعتد الحصول على شىء بلا مقابل .. إننى مصرّ على دفع الثمن .
أطلقت ضحكة مستهترة ، وقالت :
— وما الثمن الذى يمكنك دفعه يا سير (مايكل) ؟
انتزع مسدّسه فجأة ، وصوّبه إليها ، قائلًا فى صرامة :
— ها هوذا ..

* * *

أشار (أدهم) ، من منطقة مرتفعة ، إلى قصر سير (ويلكوكس) ، وهو يقول لـ (قدرى) :
— ها هوذا القصر .. كل ما أطلبه منك هو أن تراقبه من هنا ، بهذا المنظار الخاص ، حتى ترينى أندفع عبر بابه ، إلى حديقته الواسعة ، وهنا انطلقى بالسيارة إلى بوّابة القصر ، وسأعمل على أن أبلغ البوّابة فى نفس اللحظة ، التى تبلغينها فيها ، لننطلق مبتعدين على الفور .
قالت فى لهفة :
— سأفعل يا (أدهم) .. سأفعل كل ما تأمرنى به .. لا يمكنك أن

تصوّر مدى سعادتى ؛ لأننى أشاركك المهمة هذه المرة .

ابتسم فى حنان ، وهو يمسك كتفيها ، ويتطلّع إلى عينيها مباشرة ، قائلاً فى مرح هادىء :

— سيقتلوننى فى الإدارة ، لو علموا أننى أفعل هذا .

قالت فى حماس :

— سأعمل على أن يمنحونك وساماً .

ربّت على كتفيها فى رفق ، ثم استدار ليتجه إلى القصر ، ولكنها استوقفته فى لهفة قلقة ، وهى تقول :

— ألا تخبرنى بخطتك على الأقل ؟ .. أم أن هذا يدخل ضمن دائرة الأسرار ؟

ابتسم مغمغماً :

— وهل أصبحت هناك أسرار ؟

ثم أشار إلى الجزء الجنوبى من القصر ، قائلاً :

— هناك ، عند منطقة الإسطبلات ، يوجد ممر صغير ، يستخدم لنقل الأعلاف إلى الخيول ، وهذا الممر ينتهى بفجوة صغيرة فى السور ، سأحاول العبور منها إلى الإسطبلات ، ومن هناك إلى المولّد الكهربى ، الذى يمدّ السور بالتيار ، حيث سأزرع قنبلة موقوتة ، وبعدها أتسلل إلى القصر نفسه ، وأحاول استعادة الصندوق ، قبل أن تنفجر القنبلة ، وعند انفجارها تماماً سأستغل الهرج الحادث ، وانطلق إلى البوّابة ، حيث أجدك بالسيارة ، فنبتعد معاً عن المكان .. هل فهمت خطتى ؟

أومأت برأسها إيجاباً ، فمنحها ابتسامة أخرى ، وهم بالانصراف ، ولكنها استوقفته مرة ثانية ، وقالت :

— (أدهم) .. احترس .

اتسعت ابتسامته ، دون أن يُعلّق ، ثم أسرع يهبط المرتفع فى مرونة ، متجهاً نحو القصر ، فى حين غمغمت هى فى لوعة :

— إلى اللقاء يا (أدهم) .. إلى اللقاء فى عالم الأحياء ، لو شاء العلىّ القدير .

لم يسمع (أدهم) عبارتها ، وهو يبتعد فى سرعة ، واقترب فى حذر من السور الجنوبى للقصر ، واختفى بين الأعشاب الطويلة ، يراقب المكان فى خبرة ، حتى تأكّد من خلوه من رجال الحراسة ، ثم أسرع إلى الفجوة الصغيرة ، وأزاح كومة من القشّ عنها ، ثم فحصها فى سرعة ، وغمغم :

— المفروض ألا تسمح هذه الفجوة بمرور رجل بالغ .

ولكنه رفع ذراعيه أمامه ، ودفعهما عبر الفجوة ، ثم ضمّ كتفيه فى مرونة مدهشة ، وراح يعبر الفجوة كثعبان بشرى ..

ولم يكن ذلك بالأمر السهل أو اليسير ..

لقد كانت الفتحة ضيقة بالفعل ..

ولكنه عبرها ..

عبرها فى مرونة أشبه بالمعجزة ، وضمّ ركبتيه إلى صدره ، وهو ينتقل إلى الجانب الآخر من السور ، داخل اسطبلات الخيل ، وتمتم فى سخرية :

— هأنذا أعبر ثقب الإبرة .

وفجأة التصقت فوهة مدفع آلى برأسه ، مع صوت يقول فى خشونة :

— أهنئك يا فتى .. إننى أراقبك منذ ربع الساعة ، حتى نجحت فى الدخول .. والآن ماذا تفضّل ؟ .. رصاصة فى الرأس ، أم طعنة خنجر فى

القلب ؟ هيا إننى أمنحك حق الاختيار .

كانت مقدمة مسرحية طويلة ، أكثر مما ينبغى ، ولم يكد صاحبها ينتهى من إلقائها ، حتى تراجع (أدهم) برأسه فى حركة حادة ، وانقضت يده على ماسورة المدفع الآلى ، فأمسكت به فى قوة ، ودفعت كعبه فى معدة صاحبه ، ثم ارتفعت قدمه تركل وجهه ، وأمسكت يده الأخرى سترة الرجل ، ودفعت رأسه نحو السور ، ليرتطم به فى عنف ، ويسقط فاقد الوعى ..

وفى حركة سريعة ، نهض (أدهم) واقفًا على قدميه ، وقال فى سخرية :

ـ لماذا تميلون إلى المقدمات الطويلة أيها الأوغاد ؟

ثم تطلّع إلى الرجل لحظات فى صمت ، وابتسم مستطردًا :

ـ والعجيب أنك منحتنى وسيلة أفضل يا رجل .

انحنى ينزع ثياب الرجل فى سرعة ، ثم أحكم وثاقه ، وكمّم فمه جيدًا ، وارتدى ثياب الرجل ، وهو يقول :

ـ هكذا يمكننى التجوّل فى حرية أكثر .

حمل المدفع الآلى فوق كتفه ، وغادر الإسطبلات فى خطوات هادئة واثقة ، وعبر عددًا من رجال الحراسة ، انهمكوا فى حديث جانبى ، دون أن يعيرهم أدنى اهتمام ، واتجه إلى المولّد الكهربى ، حيث استقبله حارسه فى بساطة ، قائلاً :

ـ أهو أنت يا (جو) ؟ .. هذه الليلة مثيرة للملل .. أليس كذلك ؟

ثم انتبه إلى ملامحه فجأة ، فهبّ واقفًا ، ورفع مدفعه ، قائلاً :

ـ ولكن .. ولكنك لست (جو) .

هوى (أدهم) على فكه بلكمة كالقنبلة ، وهو يقول :

ـ بالطبع لست هو .

وسقط الرجل فاقد الوعى ، فاتجه (أدهم) إلى المحرّك الكبير ، الذى يدير المولّد ، وراح يثبت فيه قنبلته فى عناية فائقة ، وضبط توقيتها ، ثم اعتدل يتطلّع إليها ، قائلاً :

ـ الآن يا (أدهم) ، ومنذ هذه اللحظة ، تبدأ جولتك الأخيرة ، وأمامك نصف الساعة فقط ، لتفوز بالضربة القاضية ، أو ...

صمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ أو تخسر المباراة كلها .

* * *

انعقد حاجبا (مارى) فى توتر ودهشة ، وهى تحدِّق فى فوهة المسدس ، الذى يصوِّبه إليها سير (مايكل) ، ثم رفعت عينيها إلى وجه هذا الأخير ، هاتفة فى عصبية :

ــ ما الذى تعنيه بهذا يا سير (مايكل) ؟ .. هل جننت ؟

هزَّ (مايكل) رأسه نفيًا فى برود ، وقال :

ــ على العكس يا عزيزتى (مارى) .. لقد أصبحت أكثر عقلًا .

ونفث دخان سيارته فى هدوء ، وهو يستطرد :

ــ لقد جلست ، بعد انصرافك من مكتبى أمس ، أدرس الموقف ، وأقلبه على كل الوجوه ، حتى اتخذتُ قرارى هذا .

ردَّدت فى عصبية :

ــ أى قرار ؟

تابع وكأنه لم يسمعها :

ــ صحيح أنك لا تطلبين سوى صداقتى ، وحمايتى ، وبعضًا من سلطاتى الواسعة ، وفى مقابل هذا تمنحيننى الصندوق الأسود المصرى ، الذى يساوى ثروة ، فى نظر المخابرات السوفيتية على الأقل ، ولكنك تصرين على الاحتفاظ بشريط خاص ، يمكنه تحطيم حياتى كلها ، فى أية لحظة .

قالت فى حدة :

ــ ولكننى وعدتك بعدم تقديمه إلى أحد .

قال فى برود :

ــ ولكن محاميك سيفعلون ، عند إصابتك ، أو موتك فى أى حادث ، حتى ولو كان قضاءً وقدرًا ، ولن أقضى حياتى خائفًا ، أنتظر خبر مصرعك فى ذعر وتوتر .. لا يا عزيزتى (مارى) .. قلت لك أننى درست الأمر جيِّدًا ، ووجدت أنه من الضرورى أن أعترف بالواقع ، وبأننى أصبحت ورقة محترقة ، لا يمكنها أن تربح فى ملعبها التقليدى ، وأن أفضل ما أفعله هو أن أنتهز الفرصة ، وأرحل إلى (الاتحاد السوفيتى) ، حيث أقضى أيامى الأخيرة فى منتجع خاص ، أملك فيه منزلًا أنيقًا فاخرًا ، وسيارة أمريكية ضخمة ، كما وعدنى الأصدقاء هناك ، ولاشك أن السوفيت سيرحبون بى هناك ، خاصة عندما أذهب إليهم حاملًا الصندوق الأسود ، الذى تصوَّر (الموساد) أنه قد وقع فى أيديهم بالفعل ، وتصوَّروا هم أنه قد دُمِّر ، فى مبنى مخابراتهم ، أثناء قتال دار هناك أمس ..

لوَّحت بذراعها فى عصبية ، قائلة :

ــ حسنًا .. ها هوذا الصندوق أمامك .. احمله وارحل عن هنا .

ابتسم قائلًا :

ــ لا يا عزيزتى (مارى) .. إننى رجل لا ينسى ثأره أبدًا ، ولا يقبل أن تهزمه امرأة ، حتى ولو كانت تحمل اسم (مارى الدموية) .. إننى لن أرحل من هنا ، قبل أن أراك أمامى جثة هامدة .

نفثت دخان سيجارتها فى توتر ، وهى تقول :

ــ وهل تتصوَّر أنك تستطيع الخروج من هنا حيًا ، بعد قتل ؟

أجابها فى ثقة :

— بالتأكيد يا عزيزتى (مارى) ، فلقد أعددت لكل شىء عدّته ، بكل الدقة والعناية ، وسيارتى الأنيقة ، التى تقف الآن أمام القصر ، هى أحدث مبتكرات جهازنا العلمى ، التابع للمكتب الخامس ، فبمجرّد توقّف محرّكها عن العمل ، اشتعلت قنبلة زمنية ضخمة ، تحتلّ حقيبتها الخلفية كلها ، وبعد ساعة واحدة من توقّف السيارة ، ستنفجر انفجارًا مروّعًا ، يطيح بواجهة القصر كلها ، ونصف رجالك تقريبًا ؛ وأثناء الهرج والمرج ، اللذين سيسودان المكان حتمًا ، بعد الانفجار ، سأسرع أنا إلى السطح ، حيث تلتقطنى هليوكوبتر خاصة ، تحملنى إلى المطار ، ومن هناك أستقلّ طائرة خاصة إلى (موسكو) .

أطفأت سيجارتها فى عصبية ، وهى تقول :

— خطة منمّقة يا سير (مايكل) .

قال بابتسامة باردة :

— أشكرك يا عزيزتى (مارى) .

أخرجت سيجارة أخرى ، دستها بين شفتيها ، وهى تلتقط قدّاحة مكتب كبيرة ، قائلة :

— إنك تريد أن تضرب كل العصافير بضربة واحدة .. تقتلنى ، وتستعيد الصندوق ، وتنسف القصر ، وتهرب إلى (موسكو) .. أليس كذلك ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

— بلى يا عزيزتى (مارى) ، وخطتى تمنحنى القدرة على أن أضرب كل العصافير معًا .. ألا توافقيني على هذا ؟

مطّت شفتيها بالسيجارة ، وهى تقول :

— لست أنكر أنها خطة منمّقة مدروسة .

ثم رفعت القدّاحة إلى سيجارتها ، مستطردة :

— ولكنها تحوى ثغرة واحدة .

سألها ساخرًا :

— ماهى ؟

ضغطت قدّاحتها فى قوة ، وهى تقول فى مقت :

— هاهى ذى .

انطلقت من القدّاحة رصاصة صغيرة ، عبرت الحجرة إليه فى جزء من الثانية ، واخترقت جمجمته بفرقعة مزعجة ..

واتسعت عينا سير (مايكل أوليفر) فى ذهول وألم ، ثم تحجّرتا ، وتفجّرت الدماء من ثقب جمجمته ، و ...

وهوى جثة هامدة ..

وفى ازدراء كامل ، وضعت (مارى) القدّاحة على سطح المكتب ، وهى تقول :

— أيها الحقير .. هل تصوّرت أننى أستطيع منحك ثقتى بالفعل ؟

ثم بصقت على جثته ، مستطردة :

— غبىّ .

واتجهت فى هدوء إلى حيث الصندوق الأسود ، وتحسّست رتاجه ، وهى تضيف :

— أما أنت يا صندوق الصغير ، فستبقى معى ، حتى أحل لغز شفرتك

سرية ، و ...

قاطعها صوت صارم ساخر ، يقول :

ــ لا تقلقى نفسك يا عزيزتى (مارى) .. سأتولى عنك هذه المهمة .

التفتت فى سرعة إلى مصدر الصوت ، وانعقد حاجباها فى شدة ، عندما وقع بصرها على (أدهم) ، وهتفت :

ــ أنت ؟

قفز من النافذة إلى داخل الحجرة ، وهو يصوّب إليها مسدسه المزوّد بكاتم للصوت ، قائلاً :

ــ نعم يا (مارى الدموية) .. إنه أنا .

وألقى نظرة سريعة على جثة سير (مايكل) قبل أن يستطرد :

ــ يبدو أنك تصرين على ممارسة هوايتك ، حتى مع الأوغاد ، الذين على شاكلتك .

قالت فى عصبية :

ــ إنك تريد الصندوق .. أليس كذلك ؟ .. حسنًا .. خذه .. إننى أهبه لك .

هتف ساخرًا :

ــ حقًا ؟! .. يا لكرم أخلاقك وسخاء طبعك يا عزيزتى (مارى) .

واتجه فى حذر إلى الصندوق ، وضغط أرقام شفرته السرية فى سرعة ، دون أن يبعد بصره ومسدسه عنها ، ورأت هى الصندوق يُفتح أمامه فى

ليونة ، فيلتقط هو منه الوثائق والصور ، ويدسّها فى جيبه ، فقالت فى عصبية :

ــ أخيرًا انفتح الصندوق .

ومدّت يدها نحو قدّاحة المكتب ، مستطردة :

ــ هل تسمح لى بإشعال سيجارة ؟

انطلقت رصاصة تطيح بالقدّاحة ، فأبعدت يدها عنها فى ذعر ، وهى تطلق شهقة خافتة ، فى حين قال هو فى سخرية :

ــ معذرة يا عزيزتى (مارى) ، فالتدخين عادة ضارة ، تسبّب لصاحبها الكثير من الأمراض ، وكذلك للآخرين .

وأشار إلى جثة (مايكل) ، مردفًا :

ــ مثل عزيزنا سير (مايكل) .

أدركت أنه يعرف طبيعة القدّاحة ، فعقدت حاجبيها فى حنق ، وجلست على طرف المكتب ، قائلة :

ــ حسنًا .. لقد فهمت .

ثم لوّحت بذراعها ، وهى تهتف مستطردة :

ــ والآن ماذا تريد ؟ .. لقد حصلت على الأوراق .. انصرف إذن .

أجابها فى هدوء :

ــ لم يحن وقت الانصراف بعد .

ابتسمت فى شماتة أدهشته ، وهى تقول :

ــ ولن يحين أبدًا .

وفجأة انفتحت أبواب الحجرة ، واقتحم المكان ستة رجال مسلحين

بالمدافع الآلية ، صوّبوا جميعًا مدافعهم إلى (أدهم) ، مع ضحكة ساخرة عالية ، أطلقتها (مارى) ، قبل أن تقول :

ـــ هل رأيت أنه من المستحيل أن يدرك إنسان واحد ، كل مالدينا من وسائل الخداع أيها المصرى ؟ .. لقد انتبهت فى ذكاء إلى طبيعة قداحتى الخاصة ، التى أهداها لى سير (ويلكوكس) ، فى عيد ميلادى الأخير ، ولكنك لم تنتبه إلى أن جلوسى على حافة المكتب يشعل جهازًا خاصًا ، يضىء عددًا من شاشات المراقبة ، فى حجرة الحرّاس ، وينقل إليهم كل ما يدور هنا ، وهم يدركون ما ينبغى عليهم فعله ، فى مثل هذه الظروف .

ثم أشارت إليه فى زهو ، مستطردة :

ـــ والآن هيا أيها المصرى .. ألق مسدّسك ، واعترف بهزيمتك ، فقد خسرت معركتك .

قال (أدهم) فى هدوء ، وهو يختلس النظر إلى عقارب الساعة :

ـــ وماذا لو لم أفعل ؟

هزّت كتفيها فى استهتار ، قائلة :

ـــ سيطلق رجالى النار عليك بلا تردّد ، وسيؤسفنى أن تمزّق رصاصاتهم تلك الوثائق ، التى أخذتها من الصندوق ، ولكن أعدك أن أضع باقة من الورود البنفسجية على قبرك ، للتعبير عن امتنانى لفتحك الصندوق ، بعد كل ما تجشمناه لفتحه .

أطلق ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :

ـــ يا لغرورك يا عزيزتى (مارى) ! .. يبدو أنك تتصورين نفسك الوحيدة فى هذا العالم ، التى تمتلك بعض وسائل الخداع .. أنسيت أننى

أيضًا رجل مخابرات ؟ وأن وسائلى تفوق وسائلك حتمًا .

قالت ساخرة :

ـــ هكذا ؟! .. ما رأيك لو قدمت لنا عرضًا خاصًا ؟

ألقى نظرة أخيرة على ساعته ، ورفع يده قائلاً :

ـــ فليكن يا عزيزتى (مارى) .. سأقدّم لك عرضًا خاصًا .. عرضًا سحريًا .

وفرقع سبّابته وإبهامه ..

ودوى الانفجار ..

انفجرت القنبلة ، التى وضعها فى المولّد الكهربى ، فى نفس اللحظة ، على نحو بعث انتفاضة قوية فى أجساد الرجال ، وجسد (مارى) ، من فرط المفاجأة ، التى استغلها (أدهم) خير استخدام كعادته ، فرفع مسدّسه فى سرعة ، وأطلق منه أربع رصاصات سريعة ، أطاحت بمدافع أربعة من الرجال الستة ، قبل أن يقفز فى خفة ورشاقة ومرونة ، عبر النافذة المفتوحة ، التى دخل منها إلى الحجرة ..

وصاحت (مارى) كالمجنونة :

ـــ أوقفوه .. لا تسمحوا له بالفرار .

وقفزت بدورها خلفه من النافذة ، وراحت تطلق رصاصات مسدّسها نحوه ، ولكنه واصل انطلاقه نحو البوّابة ، وهو يتمنى أن تلتزم (فدوى) بالخطة الموضوعة ، وتستقبله بالسيارة هناك ..

ولكن (مارى) انتبهت إلى خطته ، وهتفت :

ـــ اقطعوا عليه الطريق إلى البوّابة .. لا تسمحوا له ببلوغها أبدًا .

تركّز هجوم الجميع على البوّابة ، في محاولة مستميتة لمنع (أدهم) من بلوغها .

ولقد نجحت محاولتهم بالفعل ، وأدرك (أدهم) أنه من المستحيل أن يبلغ البوّابة ، فتوقّف في مكانه لحظة ، ثم اندفع عائدًا إلى الإسطبلات ..

وصاحت (مارى) :

ـــ حاصروه عند الإسطبلات .. اقتلوه هناك .

ولكن (أدهم) لم يكن ينوى البقاء في الإسطبلات ، كما تصوّرت (مارى) ، بل كان يرغب في مغادرة القصر ، بنفس الوسيلة التي دخله بها ..

عبر الفجوة الصغيرة ..

وعندما بلغ موضعها ، انحنى ليعبرها ..

ولكن صوت ارتطام عنيف بلغ مسامعه ..

ارتطام أدرك مغزاه على الفور ..

لقد عدّلت (فدوى) الخطة ..

واقتحمت ساحة القتال ..

* * *

٢٥ ـــ الفارس ..

لم يكد الانفجار يدوى ، في حجرة المولّد الكهربي ، حتى دقّ قلب (فدوى) في عنف ، وراحت تراقب القصر بمنظار (أدهم) الخاص في لهفة ..

ورأت رجلًا من الحرّاس يقفز عبر النافذة ، ثم رأت (مارى) تقفز خلفه ، وتطلق النار عليه ، وهو يعدو نحو البوّابة ..

وأدركت على الفور أنه (أدهم) ..

ودون أن تضيع لحظة واحدة ، قفزت (فدوى) إلى سيارة (الجيب) الضخمة ، التي تركها (أدهم) ، وأدارت محرّكها ، وانطلقت بها نحو القصر ..

كانت تعلم أن الخطة تقتضى إلتقاط (أدهم) ، من أمام بوّابة القصر ، والابتعاد به سريعًا عن المكان ، ولكنها لم تجده هناك ، عندما بلغت البوّابة ..

وبنظرة واحدة فهمت الموقف الجديد ..

لقد عجز (أدهم) عن بلوغ البوّابة لسبب ما ..

ولكنه ما زال على قيد الحياة ..

ذلك القتال المحتدم في الداخل ، يؤكّد أنه ما يزال على قيد الحياة ..

ولكن أين هو ؟ ..

لم تحتمل فكرة البقاء في الخارج ، وهو يواجه الموت وحده في الداخل ، فتراجعت بالسيارة في سرعة ، ثم انطلقت بها نحو البوّابة ..

وهبّ رجال الحراسة يطلقون عليها رصاصاتهم ، ولكن الدروع الصلبة ، التي أضافها (أدهم) إلى جسم السيارة ، توقّعًا لحدوث هذا ،

صدت الرصاصات فى قوة ، وسمحت لها بالارتطام بالبوابة فى عنف ، وتحطيمها ..

ووجدت (فدوى) نفسها داخل الحديقة الواسعة ..

وارتبكت ..

لم تكن تدرى أى اتجاه ينبغى عليها أن تتخذه ، بحثا عن (أدهم) ..

وكانت (مارى) تصرخ فى ثورة :

ــ اقتلوا تلك اللعينة .. اقتلوها .

انهالت الرصاصات على السيارة ، وأصابت (فدوى) بالرعب ، فراحت تدير عجلة القيادة فى شتى الاتجاهات ، وهى تصرخ :

ــ أين أنت يا (أدهم) .

وانفجر بغتة إطار السيارة الأمامى ، ففقدت توازنها فى عنف ، ومالت على نحو مخيف ، جعل (فدوى) تصرخ :

ــ النجدة !! النجدة يا (أدهم) !

وانقلبت بها السيارة رأسا على عقب ..

وشاهد (أدهم) هذا المشهد الأخير .. شاهد سيارة (فدوى) تنقلب ..

وهوى قلبه بين ضلوعه ..

كان يلتهب رغبة فى الانطلاق إليها ، على الرغم من الرجال الذين يحاصرونه ، والخطر الذى يحيط به من كل جانب ..

وسمع صوت (مارى) تصرخ :

ــ اقتلوها .. لا تتركوها حية .

ورأى (فدوى) تخرج من السيارة فى صعوبة ؛ وتحاول العدو مبتعدة عنها ، فهتف لنفسه :

ــ لن أتركك وحدك يا (فدوى) .

وبسرعة ، اتجه إلى جواد عربى أبيض أصيل ، وجذب لجامه ، وهو يقول فى حسم :

ــ هيا يا صديقى .. أنت عربى مثلى ، فساعدنى على هزيمة هؤلاء الأوغاد .

وبوثبة رائعة ، اعتلى صهوة الجواد ، الذى أطلق صهيلًا قويًّا ، وضرب الأرض بقوائمه فى حزم وحماس ، وكأنما فهم عبارة (أدهم) ، وقرر الوقوف إلى جانبه .

وجذب (أدهم) عنان الجواد ، هاتفًا :

ــ هيا أيها البطل .

انطلق الجواد يعدو عبر الإسطبلات الواسعة ، ثم جذب (أدهم) لجامه فى حزم ، وهو يلكزه بكعبيه فى قوة ، فوثب الجواد يعبر سور الإسطبلات ، ورءوس رجال (مارى) ، الذين تولاهم الفزع من المشهد المهيب ، فانحنوا فى خوف ورهبة ، ورأوا الجواد الأبيض وراكبه يهبطان على الأرض ، ثم ينطلقان نحو السيارة المقلوبة ..

أما (فدوى) ، فقد رأت الموت يحيط بها من كل صوب ..

لقد انقلبت السيارة وسط الحديقة ..

ورجال (مارى) يعدون خلفها ، بأسلحتهم القاتلة ..

و (مارى) نفسها تصرخ فى جنون :

ـــ اقتلوها .. اقتلوها ..
وبدا أنه ما من أمل فى النجاة ..
ثم فجأة أتاها صوته ..
صوت (أدهم) ، وهو يهتف :
ـــ (فدوى) ..
التفتت إلى مصدر الصيحة ، وقد انتعش أمل كبير فى قلبها ..
ورأته ..
وعلى الرغم من كل ما يحيط بها ، توقفت (فدوى) عن العدو ، وتطلعت إليه مبهورة ..
ها هوذا ..
نفس المشهد الذى يراود أحلامها ، منذ التقت به ..
الخطر يحيط بها من كل جانب ..
الموت يستعد لاختطافها من عالم الأحياء ..
ثم يبرز (أدهم) بغتة ..
على متن جواد أبيض ..
وينقذها ..
نفس الصورة التى تمنت أن تحلم بها ، دون أن تتصور إمكانية تحوّلها يومًا إلى حقيقة ..
ورأته أمامها أشبه بالفارس ..
أمير الأحلام القادم على جواده الأبيض ..
وخيّل إليها أنها أميرة ، يطاردها تنين وحشى ، فتهرع إلى فارس



فوثب الجواد يعبر سور الإسطبلات ، ورءوس رجال (مارى) ، الذين تولاهم الفزع من المشهد الرهيب .

أحلامها ، الذى ينقذها من براثنه ..

وانتزعت نفسها من جمودها ، وهى تعدو نحوه ، هاتفة :

ـ (أدهم) .

كان وجهها يحمل ابتسامة واثقة كبيرة ، وهى تتجه إليه ..

وفى مرونة منقطعة النظير ، ومهارة يحسده عليها فرسان العرب القدامى ، مال (أدهم) يلتقطها من وسط الحديقة ، ويرفعها إلى صهوة الجواد ، وهى تهتف :

ـ كنت أعلم أنك ستأتى .. كنت أعلم أنك ستنقذ ..

ولكن (مارى) أطلقت تلك الرصاصة الغادرة ، التى جعلت (فدوى) تبتر عبارتها ، وتطلق شهقة ألم ، وعيناها تجحظان فى شدة ..

ورأى (أدهم) بقعة الدم الكبيرة ، التى تفجّرت فى ظهر (فدوى) ، وصرخ :

ـ لا .. لا يا (فدوى) .

واستدار فى غضب إلى حيث تقف (مارى) ، ممسكة مسدسها ، وصرخ :

ـ أيتها اللعينة .

كانت (مارى) تبتسم فى ظفر وشماتة ، وهى تقف أمام باب القصر ، مصوّبة مسدسها إليه ، وهاتفة :

ـ اطمئن أيها المصرى .. ستلحق بها الآن ..

ولكنها لم تطلق رصاصتها التالية ..

لم تطلقها أبدًا ..

لقد أنساها القتال ما أخبرها به (مايكل) قبل مصرعه ، بشأن سيارته ، التى تركها أمام باب القصر ..

ولقد كانت (مارى) تقف على قيد خطوة واحدة من السيارة ، عندما حدث الانفجار ..

انفجار رهيب مروّع ، أطاح بـ (مارى) ، ورجالها ، ونصف القصر الأمامى ، وجعل جواد (أدهم) يطلق صهيلًا قويًّا ، ثم يندفع نحو بوّابة القصر ، فارًّا بحياته ، قبل أن تشتعل النيران ، وتتصاعد ألسنة اللهب ..

وبكل ما يملك من قوة ، جذب (أدهم) عنان الجواد ، ليسيطر على مخاوفه ، ويجبره على التوقّف ، ثم قفز من فوقه ، حاملًا (فدوى) ، التى تتأوّه فى ألم ، وأرقدها فى رفق على الحشائش الرطبة ، وهو يقول فى جذع وحنان :

ـ استريحى يا حبيبتى .. استريحى .. ستنجين بإذن الله .

أمسكت كفه بأصابعها المتهالكة ، وهى تبتسم ابتسامة واهنة ، وتقول :

ـ أخيرًا يا (أدهم) .. أخيرًا نطقتها .. يا إلهى .. ما أجمل الكلمة ، وهى تخرج من بين شفتيك !! كلمة حبيبتى .

التقط أصابعها ، ولثمها بقبلة حانية محبة ، وهو يقول :

ـ سأظلّ أقولها حتى تسأمينها يا حبيبتى ..

تنهّدت فى ألم ، وقالت مبتسمة فى وهن :

ـ لست أظننى سأجد ما يكفى من العمر لسماع المزيد منها يا (أدهم) ، فأنا أعلم أن هذه الرصاصة قد أصابتنى فى مقتل .

همّ بقول شيء ما ، ولكنها وضعت أناملها على شفتيه ، تمنعه من قوله ، وهى تستطرد :

ـــ ولكننى لست نادمة يا (أدهم) .. صدقنى .. تكفينى تلك الأيام القليلة ، التى قضيتها معك ، وتكفينى الكلمة ، التى سمعتها الآن من بين شفتيك .. صدقنى يا (أدهم) .. لقد عشت معك أسطورة حيّة .. أسطورة عمرى كله .

واغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تضيف متهالكة :

ـــ إننى أحبك يا (أدهم) .

أجابها فى مرارة ، وهو يتحسس شعرها :

ـــ أنا أيضًا أحبك يا (فدوى) ، وستشفين بإذن الله ، و ...

لم يتمّ عبارته ، عندما تهالكت أصابعها فى راحته ، وفقدت عيناها بريق الحياة ، على الرغم من الابتسامة الواهنة ، التى تظلّل شفتيها ، فصرخ فى مرارة :

ـــ (فدوى) .. (فدوى) ..

وردّد المكان كله صدى صرخته ..

ولكن ما من مجيب .

* * *

٢٦ ـــ الختام ..

تطلّع (قدرى) ، فى صمت وإشفاق إلى دموع (منى) ، التى سالت على وجهها حارة غزيرة ، وشعر بنحيبها يمزّق نياط قلبه ، حتى كادت الدموع تقفز من عينيه أيضًا ، وهو يتمتم :

ـــ لم أتصورك عاطفية إلى هذا الحد .

قالت فى أسى :

ـــ الآن عرفت لماذا لم يتزوّج (أدهم) (فدوى) .

قال فى تردد :

ـــ عجبًا ! .. كنت أتصوّر أنك ستغارين منها .

لوّحت بكفها ، قائلة فى استنكار :

ـــ أتظننى أغار من فتاة ، لم تعد تنتمى إلى عالمنا ؟

ثم هزّت رأسها ، مستطردة :

ـــ مسكين (أدهم) .. على الرغم من كل ما يبذله ، فى سبيل الآخرين ، فالقدر لم يمنحه سعادة حقيقية قط .

هزّ (قدرى) كتفيه ، وقال :

ـــ من يدرى ؟ .. ربما يمنحه إياها معك .

تمتمت :

ـــ من يدرى ؟

تأمّلها لحظة فى عطف ، ثم قال :

ـــ ألا تحبين معرفة ماحدث ، بعد عودة (أدهم) ، وكشف أمر

الجاسوس ، الذى كان يعمل لحساب (الموساد) فى الإدارة ؟

قالت فى صوت لا يحمل نبرة الفضول الأنثوى المعتاد :

ـ أظنهم قد ألقوا القبض عليه ، وتمت محاكمته ، و ...

قاطعها قائلًا :

ـ على العكس .. لقد أدرك أننا سنكتشف أمره ، بعد أن أبلغه الإسرائيليون أن (أدهم) نجح فى الحصول على الوثائق ، ففرّ على أوّل طائرة إلى (أوربا) ، وانطلق (أدهم) خلفه ؛ لإعادته إلى هنا ، وكانت مغامرة أخرى ، يمكننى أن أقصها عليك لو أردت .

لوّحت بكفها قائلة :

ـ فيما بعد يا (قدرى) .. فيما بعد .

ثم سألته فى اهتمام :

ـ المهم ماذا أصاب (أدهم) ، بعد مصرع (فدوى) ؟

هزّ كتفيه المكتظين ، وهو يقول فى أسف :

ـ لم يسامح نفسه لفترة طويلة ، وتصوّر أنه المسئول عن مصرعها ، بإقحامه لها فى جولته الأخيرة ، مع (مارى الدموية) ، ورفض بعدها تمامًا العمل مع أية فتاة .

ثم ابتسم وهو يتطلّع إليها ، مستطردًا :

ـ حتى أتيت أنت .

قالت فى مرارة :

ـ أتعنى أنه قد وجد فىّ بديلًا عن (فدوى) ؟

ابتسم قائلًا :

ـ بل وجد فيك الحب الحقيقى .

وتلاشت ابتسامته ، واكتسى صوته بنبرة عاطفية جادة ، وهو يقول :

ـ صدقينى يا (منى) .. إننى أعرف (أدهم) منذ فترة طويلة للغاية ، ويمكننى أن أجزم أنه لم يحب امرأة فى عمره كله ، كما أحبك .

عادت الدماء إلى وجنتيها ، وهى تقول :

ـ حقًا ؟!

هتف فى مرح :

ـ هل تسألينني ؟

تورّد وجهها خجلًا ، فمنح وجهها جاذبية خاصة ، وهى تقول :

ـ شكرًا يا (قدرى) .. أشكرك كثيرًا .

غمغم فى حنان :

ـ عفوًا يا عزيزتى (منى) .. إننى أجد سعادة غامرة فى التحدّث معك .

ابتسمت فى ارتياح ، وقالت :

ـ وأنا كذلك يا (قدرى) .. إلى اللقاء ، سأزورك مرة أخرى قريبًا ، لتقصّ علىّ مغامرة (أدهم) فى (أوربا) ، خلف الجاسوس .

لوّح بكفه قائلًا :

ـ بالتأكيد .

أغلقت الباب مع انصرافها ، وابتسم هو فى تعاطف ، وهو يلتقط بطاقة (الموساد) الزائفة ، ويفحصها فى اهتمام ، مغمغمًا :

ـ ما زالت تحتاج إلى بعض التعديلات .

وتنهد وهو يلتهم قطعة كبيرة من فطيرة جبن طازجة ، قائلًا :
كلكن تهمن غرامًا بـ (أدهم صبرى) .. لست أدرى ما الذى يملكه هو ، ولا أملكه أنا ؟
ثم هز كتفيه فى لا مبالاة ، وعاد يواصل عمله فى انهماك ..

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

رجل المستحيل

صدر من هذه السلسلة :

١ . الاختفاء الغامض .
٢ . سباق الموت .
٣ . قناع الخطر .
٤ . صائد الجواسيس .
٥ . الجليد الدامى .
٦ . قتال الذئاب .
٧ . بريق الماس .
٨ . غريم الشيطان .
٩ . أنياب الثعبان .
١٠ . المال الملعون .
١١ . المؤامرة الخفية .
١٢ . حلفاء الشر .
١٣ . أرض الأهوال .
١٤ . عملية مونت كارلو .
١٥ . إمبراطورية السم .
١٦ . الخدعة الأخيرة .
١٧ . انتقام العقرب .
١٨ . قاهر العمالقة جـ١ .
١٩ . أبواب الجحيم جـ٢ .
٢٠ . ثعلب الثلوج .
٢١ . مضيق النيران .
٢٢ . أصابع الدمار .
٢٣ . فارس الثوار .
٢٤ . الضباب القاتل .
٢٥ . الفجر الدامى .
٢٦ . آخر الجبابرة .
٢٧ . الجوهرة السوداء .
٢٨ . قلب العاصفة .
٢٩ . الصراع الشيطانى .
٣٠ . الرمال المحرقة .
٣١ . الخطوة الأولى .
٣٢ . خيط الذهب .
٣٣ . القوة (أ) .
٣٤ . مارد الغضب .
٣٥ . قراصنة الجو .
٣٦ . ذئب الأحراش .
٣٧ . مخلب الشيطان .
٣٨ . لعبة المحترفين .
٣٩ . أعماق الخطر .
٤٠ . مهنتى القتل .
٤١ . الانتحاريون .
٤٢ . الهدف القاتل .
٤٣ . المخاطر .
٤٤ . العين الثالثة .
٤٥ . القضبان الجليدية .
٤٦ . لهيب الثلج .
٤٧ . الرصاصة الذهبية .
٤٨ . شيطان المافيا .
٤٩ . الضربة القاضية .
٥٠ . مهمة خاصة .
٥١ . سم الكوبرا .
٥٢ . جبال الموت .
٥٣ . ذئاب ودماء .
٥٤ . رحلة الهلاك .
٥٥ . أفعى برشلونة .
٥٦ . عملية الأدغال .
٥٧ . الفهد الأبيض .
٥٨ . إعدام بطل .
٥٩ . انتقام شبح .
٦٠ . دونا كارولينا .
٦١ . ملائكة الجحيم .
٦٢ . ملك العصابات .
٦٣ . الجاسوس .
٦٤ . تحت الصفر .
٦٥ . الجليد المشتعل .
٦٦ . ألف وجه .
٦٧ . الجحيم المزدوج .
٦٨ . قلعة الصقور .
٦٩ . أجنحة الانتقام .
٧٠ . أباطرة الشر .
٧١ . ضد القانون .
٧٢ . شريعة الغاب .
٧٣ . المعتقل الرهيب .
٧٤ . الدائرة الجهنمية .
٧٥ . أسوار الجحيم .
٧٦ . النهر الأسود .
٧٧ . عمالقة مارسيليا .
٧٨ . صحراء الدم جـ١ .
٧٩ . صفقة الموت جـ٢ .
٨٠ . وكر الإرهاب جـ٣ .

روايات مصرية للجيب

المعركة الكبرى

سلسلة الأعداد الخاصة

المؤلف



د. نبيل فاروق

مغامرة مثيرة ، من مغامرات (رجل المستحيل) ، يواجه خلالها أجهزة مخابرات ثلاث دول دفعة واحدة ، بالإضافة إلى منظمة جاسوسية خاصة ، لتدور بين الجميع معركة طاحنة ، للحصول على وثائق سرية خاصة ، ويبقى السؤال حتى النهاية ..

لمن يكون النصر ، فى (المعركة الكبرى) ؟

الثمن فى مصر ٢٠٠ ص
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقى بالفجالة - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥